

الدكتور محمد منصور

التوراة الحجازية

تاريخ الجزيرة المكنوز



الدكتور محمد منصور

التوراة الحجازية

تاريخ الجزيرة المكنوز



التوراة الحجازية

تاريخ الجزيرة المكنوز

 @YnWhq

الدكتور محمد منصور

الغلاف تصميم الفنانة التشكيلية

خلود القصيبي



ص.ب. 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com

www.alintishar.com

 @Alintishar Alarabi

 @Alintishar Alarabi

بيروت - لبنان

هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-9953-93-326-9

الطبعة الأولى 2020

المحتويات

9	شكر وإهداء.....
11	توطئة.....
51	مقدمة المؤلف.....
16	دواعي الشك بفلسطينية التوراة.....
23	عن التحريف.....
24	مع الدكتور كمال الصليبي.....
24	لماذا تأخر طرح الموضوع حتى اليوم.....
25	خلاصة.....
27	منهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة.....
27	منهج البحث بين لسان كنعان ولهجة كنانة.....
33	تدوين العهد القديم.....
36	الخطوط العربية الأولى.....
37	الموطن المحتمل للأبجديات الأولى.....
41	أهل التوراة.....
41	أبجدية ألواح موسى.....
43	خط المساند.....
44	خط الزبور.....
46	الخطوط الآرامية.....
46	التوراة والتحريف.....
51	مقاربة بين خط نسخي وكوفي وعبري.....
52	قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية تكوين 16 (عبري).....
57	قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية عزير - 5 (آرامي).....
63	خلاصة.....
65	آدم والجنة الأرضية.....

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

67	جغرافية جنة آدم الأرضية.....
71	في جغرافية طوفان نوح.....
71	مقدمة.....
71	مرويات بلاد الرافدين.....
72	طوفان نوح (ع) في التراث العربي الاسلامي.....
74	مصير الفلك.....
76	ذرية نوح (ع).....
77	خلاصة.....
77	نبذة عن شريعة نوح.....
79	هود (ع) وإرم.....
81	إرم ذات العماد.....
85	صالح (ع) وحجر اليمامة.....
85	نسبه.....
85	أرضه.....
87	ناقة صالح واستئناس الجمل.....
88	نهاية الكفرة من قوم صالح.....
89	ذرية صالح.....
91	آرام التوراة لم تكن سوريا.....
97	إبراهيم (ع) وآله في جزيرة العرب.....
97	إبراهيم العبري؛ الآرامي التائه (البدوي المترحّل من نجد).....
100	آلهة قوم إبراهيم (ع).....
101	إبراهيم الخليل ومكة المكرمة.....
103	أول ذكر للجمل.....
104	تساؤلات إضافية حول مصر.....
105	عودة الخليل إلى الحجاز.....
109	ذرية إبراهيم (ع).....
109	إسماعيل.....
109	يعقوب (إسرائيل) وذريته.....
110	ذرية العيص؛ الأخ التوأم ليعقوب.....
112	أقارب إبراهيم (ع) الذين بقوا بالرمة/ نجد وادي الدواسر.....
113	أيوب (ع) نبي آخر من نجد.....
115	مختصر قصة أيوب.....
117	أسماء الأماكن المذكورة في السفر.....
117	ومن الشخصيات الرئيسية.....
118

121	مصر التوراة لم تكن بلاد القبط
122	أول ذكر لمصر بالتوراة
124	الأدلة على أن الحبشة هي مصر التوراة
124	أدلة من التوراة
130	أدلة من القرآن
133	الفراعنة بالتراث العربي
134	من مصر إلى سيناء والته
135	نقد جغرافيا الته التقليدية
136	الجغرافيا الصحيحة المحتملة للته
141	موسى (ع) من مصر للته
141	إخفاء بعض آيات صحف موسى
142	موسى وفرعون
148	الطريق إلى سيناء محطة التشريع
154	محطات الته
156	الأراضي شرق الأغوار التهامية
157	حدود الأرض المباركة
159	خطبة الوداع
161	يوشع بن نون
162	تقسيم الأرض
165	خلاصة:
167	الأسباط (القضاة) الموحى إليهم
167	القضاة:
171	أورشليم داود الحجازية
178	فتنة داود
180	تحديد فلكي لإحداثيات عري/عرش السلام
185	هيكل سليمان التهامي وقدس الأقداس
187	الهيكل
191	طرفة عن سليمان
191	مصير الكعبة في الزمن الغابر
195	تابوت العهد والسكينة
195	الحجر الأسود
197	تابوت العهد
201	المملكة الشمالية بالسامرة من الانشقاق حتى سبي نبوى (930 ق.م - 722 ق.م)

201.....	الملوك
205.....	أهم أنبياء المملكة الشمالية
210.....	نهاية المملكة الشمالية
312	المملكة الجنوبية في هودة من الإنقسام حتى السبي لبابل (930 - 586 ق. م)
213.....	ملخص لملوك هودة بعد سليمان (ع)
215.....	شيشق ملك مصر يغزو (عرش السلام) أورشليم
217.....	النبي الأول: النبي إشعيا (سعيا) (740 - 681 ق. م)
219.....	النبي الثاني: النبي جرم (ارميا) (627 - 586 ق. م)
221.....	نهاية مملكة هودة كما وردت في سفر الملوك الثاني
225	العودة من بابل إلى الحجاز (538 - 430 ق. م)
225.....	العودة كما جاءت بنصوص من أسفار أنبياء من فترة ما بعد السبي
225.....	النبي الأول: ذوالكفل
228.....	النبي الثاني: دانيال
229.....	النبي الثالث: العزيز
230.....	النبي الرابع: نحميا (وفي سفره تشابه كثير عما ورد بسفر عزرا)
233	من الهجرة إلى فلسطين حتى سقوط الهيكل الثاني (400 ق. م - 70 م)
240.....	القبلة
245	الرواية العربية والدور العدناني
245.....	العدنانيون
246.....	ملخص سيرة العيص / أدوم / وذريته بالتوراة
247.....	ذرية العيص
248.....	ومن أسماء ملوك السراة بالألفية الثانية نجد
248.....	زمن معد العدناني
252.....	ما بعد غزوة نبوخذنصر
255	خاتمة
259	المصادر والمراجع
265	الفهارس
267.....	فهرس الآيات القرآنية
275.....	فهرس الاقتباسات التوراتية
283.....	فهرس الأعلام
295.....	فهرس الأماكن والبلدان

شكر وإهداء

الحمد لله وحده أن من "علي بالعافية والعلم لإنجاز هذا العمل،
والإهداء للأعزاء خلود ونيل ووسنى لصبرهم على الأوقات الطويلة
التي أمضيتها بعيداً عنهم في سبيل إنجاز هذا الكتاب.

توطئة

التوراة الحجازية (تاريخ الجزيرة المكنوز): فتح علمي مؤكد وفوز تاريخي ثابت، فبعد أكثر من ثلاثة عقود أمضاها د. محمد منصور في البحث والتدقيق ها هو في كشفه الجديد يلحّ على ثلاثة أقانيم تعدّل الدراسات التوراتية الغربية برمتها: أولها أن فلسطين ليست الأرض المقدّسة التي كتب الله لإبراهيم. ثانيها أن غالبية اليهود اليوم بمن فيهم من هم في فلسطين لا ينتمون إلى نسل إبراهيم. ثالثها أن نصوص التوراة وعلى رأسها ألواح موسى دوّنت بلغة عربية قديمة هي لهجة قبيلة كنانة الأولى التي سكنت تهامة الحجاز منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد، والنصوص كتبت بخط الجزم المختزل؛ بما لا يجوز قراءته بحسب قواعد إملاء سيبويه .

وإذا كان أستاذنا الفاضل كمال الصليبي (1929 - 2011) رحمه الله غير وإلى الأبد مسار الدراسات التوراتية في أثره النفيس التوراة جاءت من جزيرة العرب وفيه زعزع مبادئ الفكر التوراتي الغربي، فإن مبحث د. محمد منصور إضافة إلى كتاب الصليبي وتعديل له: إضافة إلى جهة اللغة وتعديل لجهة الجغرافيا. فالقول بأن العبرية هي «شفة كنعان» هو في حقيقته إقرار بأنها لهجة كنانة العربية العريقة، ولئن دونت بخط الجزم فلا يجوز قراءتها حرفياً كما فعل علماء المأثور اليهود الذين أعادوا ضبط قراءة النصوص العبرية في طبريا بين القرنين السادس والعاشر الميلاديين، وكان موسى ابن ميمون آخرهم، فيما ألح هوذة بن قريش الجزائري في كتابه الرسالة على ضرورة التمسك بدراسة العربية والآرامية لفهم النصوص العبرية القديمة! من هذا المنطلق

يرى د. منصور أن التوراة في شقها العتيق نصّ عربي قديم يعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وعليه فمؤلف التوراة الحجازية لهو أساساً مبحث في تاريخ الجزيرة العربية وأصول أنساب القبائل فيها من نوح حتى غزو نبوخذ نصر للحجاز وتصدي العدنانيين له؛ كما روى الطبري والمسعودي نقلاً عن أهل الأخبار العرب.

لعل كتاب د. منصور إذاً أول صفحة من تاريخ الأدب الجاهلي نصاً من العهد القديم للتوراة، أي الكتاب المقدس، جرياً على منهجية قراءته لنصوص التوراة. وتبين للبحّاث د. منصور أن الجغرافيا الصحيحة لأحداث التوراة هي مكة المكرمة؛ أم القرى وما حولها، ذلك أن مؤرخي مكة القدماء أحصوا أربعين اسماً لها ورَدَ جلّها في التوراة. ولئن كان كمال الصليبي أبا هذا العلم التوراتي في القرن العشرين؛ فإن محمد منصور يسجل فوزاً عظيماً يتوج هذا العلم.

في صيف 2011 كان لقاء أول بين د. منصور وقرينته خلود مع كمال الصليبي إثر اتصال خلود بالمؤرخ هاتفيّاً دون معرفة مسبقة، فرحّب بهما وأشار عليها بأن أرشدهما إلى منزله المطلّ على الجامعة الأميركية وأن أحضر اللقاء المزمع. في هذا اللقاء الأول كان د. منصور قد تقدّم بدراسته وخلص إلى أن التوراة عربية ومركزها مكة. وفي هذا اللقاء مع الصليبي قرأ د. منصور أمامه الإصحاح 16 من سفر التكوين قراءة عربية وليس ترجمة، وعرض عليه خريطة سنبل لمكة وفيها ثلاثة مواقع مذكورة في الإصحاح المذكور مما يثبت وجود سارة مع هاجر في مكة. وفوراً رأى الصليبي صواب منهج منصور ووافق على النهج والنتائج. هذا من جهة اللغة فالنصوص عربية، أما من جهة الجغرافيا فيرى د. منصور أن أحداث التوراة مجراها مكة وعليه فأورشليم/عري السلام هي مكة.

فيما بعد أعلمني الصليبي برغبته في دعوته ثانية للقاءه، وفي اللقاء الثاني هذا أكّد الصليبي ضرورة إتمام مبحث د. منصور ونشره. والدكتور منصور يفترق عن الصليبي في أن مكة وليست عسير هي جغرافيا الكتاب المقدس. إنها تهامة الحجاز وقصبتها الرئيسية في مكة، وبقيت كذلك حتى تأسيس المملكة العربية السعودية الحالية. القصبة مكة هي مركز الإشعاع الفكري منذ زمن الملك سليمان. فيها قدس

يرى د. منصور أن التوراة في شقها العتيق نصّ عربي قديم يعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وعليه فمؤلف التوراة الحجازية لهو أساساً مبحث في تاريخ الجزيرة العربية وأصول أنساب القبائل فيها من نوح حتى غزو نبوخذ نصر للحجاز وتصدي العدنانيين له؛ كما روى الطبري والمسعودي نقلاً عن أهل الأخبار العرب.

لعل كتاب د. منصور إذاً أول صفحة من تاريخ الأدب الجاهلي نصاً من العهد القديم للتوراة، أي الكتاب المقدس، جرياً على منهجية قراءته لنصوص التوراة. وتبين للبحّاث د. منصور أن الجغرافيا الصحيحة لأحداث التوراة هي مكة المكرمة؛ أم القرى وما حولها، ذلك أن مؤرخي مكة القدماء أحصوا أربعين اسماً لها وردّ جلّها في التوراة. ولئن كان كمال الصليبي أبا هذا العلم التوراتي في القرن العشرين؛ فإن محمد منصور يسجّل فوزاً عظيماً يتوّج هذا العلم.

في صيف 2011 كان لقاء أول بين د. منصور وقرينته خلود مع كمال الصليبي إثر اتصال خلود بالمؤرخ هاتفيّاً دون معرفة مسبقة، فرحّب بهما وأشار عليها بأن أرشدهما إلى منزله المطلّ على الجامعة الأميركية وأن أحضر اللقاء المزمع. في هذا اللقاء الأول كان د. منصور قد تقدّم بدراسته وخلص إلى أن التوراة عربية ومركزها مكة. وفي هذا اللقاء مع الصليبي قرأ د. منصور أمامه الإصحاح 16 من سفر التكوين قراءة عربية وليس ترجمة، وعرض عليه خريطة سنبل لمكة وفيها ثلاثة مواقع مذكورة في الإصحاح المذكور مما يثبت وجود سارة مع هاجر في مكة. وفوراً رأى الصليبي صواب منهج منصور ووافق على النهج والنتائج. هذا من جهة اللغة فالنصوص عربية، أما من جهة الجغرافيا فيرى د. منصور أن أحداث التوراة مجراها مكة وعليه فأورشليم/عري السلام هي مكة.

فيما بعد أعلمني الصليبي برغبته في دعوته ثانية للقاء، وفي اللقاء الثاني هذا أكّد الصليبي ضرورة إتمام مبحث د. منصور ونشره. والدكتور منصور يفترق عن الصليبي في أن مكة وليست عسير هي جغرافيا الكتاب المقدس. إنها تهامة الحجاز وقصبتها الرئيسية في مكة، وبقيت كذلك حتى تأسيس المملكة العربية السعودية الحالية. القصبة مكة هي مركز الإشعاع الفكري منذ زمن الملك سليمان. فيها قدس

الأقداس الكعبة الشريفة ببابها العالي الذي يصعد إليه بدرج داخل الهيكل ؛ وكان فيها تابوت العهد الذي فيه ألواح موسى وبقي منها الحجر الأسود!

بقي أن أقول إنني عرفت محمد منصور بدءاً من 1971 في رحاب الجامعة الأميركية في بيروت وفيها تخرج طبيباً بعد ثلاثة عقود على تخرج الصليبي فيها، وبعد قرن على ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية بإشراف كورنيليوس فان دايك أستاذ الطب فيها حين كان اسمها الكلية السورية الإنجيلية، ولئن كان الصليبي كَرّ البصر في جغرافية هذا الكتاب فإنه قيّض لمنصور أن يعيد النظر في لغته فكشَفَ عن تراث عظيم موغل في تاريخ العرب، ولا غنى عنه لفهم حاضر الأمة العربية بحيوية موروثة.

محمود شريح

بيروت / صيف 2019

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين أساس الحضارة، ولا حضارة بدون دين، تاريخ الحضارات القديمة يحتاج لنصوص كي يستقيم، والنصوص تحتاج لمعرفة القراءة، وصحة القراءة تعتمد على المعرفة الصحيحة للغة؛ لغة الحضارة المعنية.

في صيف 2011 سألت الدكتور كمال الصليبي؛ وكان ذلك في لقائنا الأول: إذا كانت التوراة جاءت من جزيرة العرب حقاً، أفما كانت مدونة بلغة عربية؟ وكم كان سروره عظيماً ودهشته كبيرة عندما علم بأن هذا كان منطلق بحثي اللغوي؛ والذي جاء يصب تماماً في صالح نظريته المعروفة من عام 1985⁽¹⁾.

في خريف العام 1971 كانت المرة الأولى التي أمسكت فيها بنسخة من العهد القديم في دروس الحضارات الأولى بالجامعة الأميركية في بيروت. كانت لدي تساؤلات كثيرة أحبطها الأستاذ بقوله إن التوراة كتاب أخلاق ومبادئ لا نصوصاً تاريخية معتمدة! فلما صدر كتاب الدكتور كمال رئيس دائرة التاريخ في الجامعة نفسها شعرت بأن شكوكي وتساؤلاتي القديمة كانت في محلها.

اليوم بات شائعاً بأن التفاصيل التاريخية واللغوية والدينية وأنساب القبائل ومساكنها بالنصوص ليست متطابقة مع الجغرافيا المفترضة في فلسطين. أضف إلى ذلك نتائج الأحماض النووية الحديثة (DNA) التي دلت بوضوح على أن أصول

(1) التوراة جاءت من جزيرة العرب، د. كمال الصليبي.

أكثر الجاليات اليهودية بالعالم لا تنتمي إلى صبغية (J1) التي يرجّح العلماء أنها الأكثر تمثيلاً لصبغيات إبراهيم (ع)! وقد بدأت أفكار تتجمع وتطفو لتصبح ظاهرة للعيان وكلها تشكك في فلسطينية الحدث التوراتي؛ بعدما كان مجرد البحث في هذا الموضوع يعتبر عبثاً علمياً. وقد آليت جمع ما تيسر في هذه المقدمة لأشد انتباه من له رغبة في الاطلاع على هذا الموضوع الجديد نسبياً على الأدبيات العربية.

دواعي الشك بفلسطينية التوراة:

1 - وجود حيوان الجمل المستأنس بقصص الآباء الأولين من إبراهيم (ع) حتى يعقوب (ع) مع العلم أنه لم يكن موجوداً في الحقيقة على أيامهم وحتى القرن (11 ق.م) إلا بنجد والحجاز واليمن وحضرموت وشرق إفريقيا، ولا يبدو في مدونات الرافدين حتى أواخر العصر الآثوري، ولا في تاريخ بلاد القبط القديمة حتى الغزو الفارسي. تأكد هذا من دراسات الدكتور ألبرايت⁽¹⁾ الباحث الأركيولوجي التوراتي الذي أتى من أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشرق الأوسط وقام ببعثات متكررة لدراسة عظام الحيوانات بالكربون المشع لتقدير أعمارها. كما نقرأ عن تحريم لحومها⁽²⁾ بالتوراة، فلماذا يحرم لحم حيوان ليس موجوداً في بيئة من نزل عليهم التشريع؟

2 - لو كان أبو إبراهيم حقاً في بلاد الرافدين وأراد حقاً الهجرة إلى أرض فلسطين لسلك طريق الهلال الخصيب؛ فما حاجته لأخذ طريق هي أطول بكثير بالذهاب عبر حران وهي الآن بتركيا! كما أن المسافة من حران إلى جلعاد المفترضة بشرق الأردن بحاجة لما يقارب ثلاثة أسابيع لقطعها مع المواشي بينما تخبرنا النصوص بأن لبن أدرك يعقوب فيها بعد سبعة أيام فقط!⁽³⁾

3 - البراكين في قصة موسى⁽⁴⁾؛ غير موجودة لا بفلسطين ولا ببلاد القبط ولا بشبه

(1) The camel and the wheel, p: 36.

(2) سفر اللاويين، الإصحاح 11، الجملة: 3.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 31، الجملة: 23.

(4) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 21.

جزيرة سيناء، في وقت نجد أهم مناطق بركانية في الشرق الأوسط بإثيوبيا واليمن والحجاز .

4 - بخروج بني إسرائيل ووجودهم في التيه بحسب سفر الخروج كان بحوزتهم أبقار كثيرة⁽¹⁾؛ وسورة البقرة الأطول بالقرآن تؤكد كثرة وجودها بينهم وهم في التيه، وهو ما ليس ممكناً بسيناء الحالية لعدم تناسب البيئة الصحراوية وطبيعة الأبقار التي لا تتحملها.

5 - الممر البحري الإجباري الذي عبره بنو إسرائيل، وتهديد موسى لهم بأنهم إن لم يلتزموا بشريعة الله فإنهم سيعودون إلى مصر ولكن بالسفن هذه المرة⁽²⁾، وهو ما حدث فعلاً، ولو كانوا في بلاد القبط لعبروا من خلال التواصل الجغرافي بين البر الغربي وبر سيناء ذهاباً وإياباً؛ وهو الأمر الذي كان متاحاً عبر 120 كيلاً برياً قبل شق قناة السويس.

6 - الوصف التوراتي لأرض الموعد أنها كانت أرضاً جبلية بامتياز، وقراها كانت محصنة⁽³⁾ وبها أبراج تعانق عنان السماء، ولا ينطبق هذا مع طبيعة أرض فلسطين التي نعرفها اليوم ؛ بل إن المستوطنين الأوائل من الصهاينة لم يجدوا أفضل من المناطق الساحلية لبدء استيطانهم لأنها مناطق النشاط الاقتصادي الطبيعي من زراعة، وتجارة وتواصل عبر البحر مع العالم ؛ بينما نرى الحال في القصص التوراتي يتغنى بالعزلة الجبلية لما توفره من أمان واستقرار .

7 - يقولون بأن موسى كتب التوراة بالحروف الآرامية القديمة - الفينيقية في وقت كانت الرموز الهيروغليفية هي المستعملة في بلاد القبط والمسمارية هي المستعملة بأرض فلسطين كما دلت رسائل تل العمارنة المعاصرة لعهد موسى (ع) والمرسلة من فلسطين إلى بلاد القبط. فمن أين تعلّم الآرامية التي كتب بها هو وأبناء هارون؟ وكانت نسخة من سفر الشريعة يعتقد بأن أحد أبناء هارون قد نسخها قد وجدت بهيكل سليمان على عهد الملك /يوشيا/ واسية (2 ملوك 22)⁽⁴⁾، وتمكّن الملك والكاهن الأعظم حلقة وكذلك الكاتب سفيان من قراءتها وذاك بالقرن الـ(7 ق. م)، ولو كانت بالهيروغليفية أو المسمارية لما استطاعوا ذلك.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 12، الجملة: 38.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجملة: 68.

(3) سفر العدد، الإصحاح 13، الجملة: 28.

(4) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

8 - من قصة العراف الآرامي بلعوم بن بعير⁽¹⁾ عرفنا بأن أراضي منهب (موآب) تقع على مقربة من (مدين) مدآن ؛ بينما بجغرافيا التوراة التقليدية فإن المسافة بينهما لا تقل عن المسافة ما بين شمال الأردن وأعالي الحجاز ؛ أي ما يقارب الثمانمائة كيلومتر . كما أن من سفر القضاة 6 يتبين بأن أراضي (مدين) المدينة هي على مقربة من أراضي سبط منسى، وهو ما يتناقض تماماً مع ما ذهبوا إليه لأن أراضي سبط منسى هي في شمال الأردن! وهذا يشير إلى أن الجغرافيا المتداولة ليست صحيحة.

9 - في قصة سليمان وملكة سبأ⁽²⁾: المعروف من كتب التاريخ أنه كانت هناك 63 مرحلة للقوافل الضاربة ما بين قتبان بجنوب مأرب وغزة على ساحل فلسطين، فيا ترى كم شهراً استغرقت رحلة ملكة صاحبة أبهة وجلالة غير مضطرة للسفر بوتيرة القوافل التجارية للوصول من سبأ إلى القدس؟ الاحتمال المنطقي أنها ذهبت للقاء سليمان بحاضرتة المجاورة نسبياً لأرض سبأ، وسيتبين لنا من الكتاب أن رحلتها كانت في الواقع أشبه برحلة حج أو عمرة لبيت الله الحرام بمكة.

10 - كانت سفن سليمان تذهب مع ربابنة أحيرام/خيران ملك صور وتعود كل عامين محملة بالعاج والذهب والقردة والطواويس⁽³⁾. والاعتقاد الصحيح أن الوجهة لا بد كانت إفريقيا وشبه القارة الهندية لأن الذهب لا شك أتى من إفريقيا والطواويس من الهند أو سيلان . أما ما لم يوضحوه فهو كيفية بناء خيران أسطول سليمان في إيلات على البحر الأحمر ومن شجر الأرز الذي يصعب حمل ألواح الطويلة والثقيلة ونقلها عبر الصحراء للوصول بها إلى البحر الأحمر، علماً أنه لم تكن للفينيقيين خبرة ملاحية في البحر الأحمر ولم يذكر التاريخ إلا رحلة يتيمة وعلى سبيل التجربة للربان حنون تمت بتمويل من الملوك الأقباط وبعد عصر سليمان بعدة قرون! فالملاحية بالبحر الأحمر لم تصبح عادية جنوباً وشمالاً حتى العصر الروماني عندما وصلت تقنية بناء السفن الكبيرة إلى بلاد القبط، لأن الملاحة خطيرة قرب السواحل لوجود الشعب المرجانية ولأن الموانئ الصالحة للتزود بالمياه الصالحة للشرب كانت قليلة

(1) سفر العدد: الإصحاحات: 22، 23، 24 بالكامل.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 10، الجمل: 1 - 13.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 10، الجملة: 22.

نسبياً، كما أن الرياح الموسمية غير قادرة على دفع السفن شمالاً إلى أبعد من مستوى بلدة الوجه السعودية المقابلة لطرف الحدود الجنوبية لبلاد القبط . كان العُمانيون أمهر ربابنة الشرق الأدنى وسادة بحر العرب، وحافظوا على أسرار الرياح الموسمية التي تهب في أوقات محددة؛ فتأخذ السفن من الجنوب العربي إلى الهند ومن شرق إفريقيا إلى الجنوب العربي في آن والعكس بعد شهرين. فلعل أحيرام/خيران كان ملك صور العُمانية وأعانت بحارته رجال سليمان (ع) الذي كان بالجزيرة لا بفلسطين.

11 - ذكر مفسرو التوراة بأن سليمان (ع) تاجر بالخليل فكان يأتي بها من مصر ويبيعها للحثيين؛ أي لسكان آسيا الصغرى! فكيف هذا وبلاد القبط لم تعرف قط بأنها بلاد مصدرة للخليل، ولا أن سكان آسيا الصغرى استوردوا الخيل من الشرق الأدنى لكون أرمينيا المصدر الدائم لهذه الثروة الحيوانية واقعة على مقربة من بلاد الحثيين. مصدر خيل سليمان (ع) كان الحبشة (وهي مصر التوراة والقرآن) حيث لليوم ما زال الحصان يستعمل للتنقل والحراثة.

12 - مائدة الملك سليمان⁽¹⁾ الموصوفة عددت العجول والخراف والأياثل والظباء واليحامير والطيور البرية المحبوسة واستثنت الطيور الأليفة من الدجاج والبط والإوز وهي الحال بالجزيرة العربية؛ بينما لا تخلو موائد الموسرين في بلاد الشام من هذه الأصناف! كذلك «العجل الحنيد»⁽²⁾ - بقصة إبراهيم (ع) القرآنية - أكلة ما تزال معروفة بتهامة والجنوب وغير معروفة في بلاد الشام.

13 - كثرة الإشارة إلى أسماء الأشجار الصمغية التي تنمو بالجزيرة ولا تنمو ببلاد الشام، وقد قام الدكتور أحمد بن سعيد قشاش بمراجعة وافية للموضوع في كتابه القيم «أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة».

14 - عندما فرغ حَرَم (حيرام) ملك صور السعدي من بناء الهيكل لسليمان⁽³⁾ وقصر أرز اللبنيين كانت مكافأته أراضٍ ب (ج ل ي ل) لم تعجب الباني، ولو كانت

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 4، الجملة: 23.

(2) انظر سورة هود، الآية: 69.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 9، الجملة: 12.

بجليل فلسطين لفرح أشد الفرح لأنها خيرة أرض فلسطين بسبب غناها بالمياه، وهي كانت وجهة المستوطنين الأوائل الذين توجهوا إلى فلسطين ببداية القرن العشرين. لكن ما تلقاه ملك السعديين من ملك مكة ربما كان وادي جلال بحرة رهاط التي طبيعتها بركانية ولا تصلح للزراعة أو حتى الرعي.

15 - كيف عجزت جيوش ثلاثة ملوك أثوريين عن احتلال أورشليم (القدس) على مدى أكثر من قرنين من الزمان ؛ وهي المعروفة في أيامنا بأنها احتلت 28 مرة عبر التاريخ! كذلك التصديق بأن تستصعب جيوش سنحاريب الرهيبة إخضاع لشيش⁽¹⁾ المفروض أن تكون تلة الدوير الفلسطينية! الواقعة حقيقية وإنما كان جيش سنحاريب بجبال تهامة الحجاز الصعبة التضاريس.

16 - قصة النبي يونس (ع) حدثت بمنطقة بحرية تجوبها الحيتان الزرقاء التي لا تبتلع سوى الكائنات الدقيقة، وهي غير موجودة لا بالبحر الأبيض المتوسط، ولا بالبحر الأحمر ؛ بينما توجد على مقربة من سواحل عُمان وجنوبي اليمن المطلة على بحر العرب بشكل شبه دائم على مدى العام . هذا بالإضافة إلى أن النبي كان في طريق عودته من نينوى عاصمة الأثوريين بشمال العراق بعد أن دعاهم إلى الله ؛ فلماذا كان يحتاج لركوب سفينة لو كانت العودة لفلسطين؟ بل كانت الرحلة من شط العرب إلى الشعية جنوب مكة من حيث أقلع.

17 - «معجزة» ارتداد الظل على ساعة الملك أخاذ (آحاز) الشمسية في زمن الملك حدقة (حزقيا) والنبي اسعيا⁽²⁾ (أشعيا) دليل علمي بحسابات فلكية قاطعة على أن الحاضرة الملكية لداود وسليمان لم تكن بقدس فلسطين الواقعة على خط عرض (31.47!) فهذه الظاهرة الفلكية التي فسرت بالقرن 19 لا تشاهد إلا جنوب خط العرض 23 وتحدث فقط يوم الانقلاب الصيفي في 21 من الشهر السادس على التقويم الشمسي!

18 - عاش هيرودوتس؛ أبو التاريخ عدة أعوام في صور، وكتب عن تاريخ سوريا (بالصاد نسبة إلى المدينة الفينيقية المعروفة التي اختصر بها اليونان كل الإقليم بين

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 19، جملة: 8.

(2) سفر الملوك 2، الإصحاح 20، الجملة: 8 - 11.

بابل وبلاد القبط بحسب المعجم التوراتي لسميث) فلم يأت على ذكر إسرائيل⁽¹⁾ أو اليهود أو مدينة اسمها أورشليم، كما لم يأت على سيرة التوراة بتاتاً! والجدير ذكره أنه عاش ودرس وكتب أيضاً عن بلاد القبط وبابل التي وصفها بأعظم مدن العالم قاطبة لكنه لم يصادف يهوداً فيها، وكان الإقليم الشرق الأوسطي الوحيد الذي لم يزره هو الجزيرة العربية بنجدها وحجازها ويمنها. وكانت إقامته بمصر وصور وبابل بين الأعوام 454 - 447 ق.م.، ثم انتقل لأثينا، بينما عزرا كان قد أرجع معظم المسيبين بالعام 458 ق.م.

19 - التنقيبات الأثرية في فلسطين لم تدعم قط وجود عاديات تعود إلى الألفية الثانية وحتى إلى بدايات الألفية الأولى - عدا أريحا التي تعتبر بالطرف الشرقي الأقصى للأرض الموعودة. أما في القدس والمفروض أنها كانت معمورة عند مجيء بني إسرائيل إلى الأرض فما من دليل على وجود هيكل أو أسوار أو بوابات أو قصور مع كثرة الحفريات تحت المسجد الأقصى ومحيطه منذ احتلال الضفة الغربية لنهر الأردن في العام 1967. وقد حدت النتائج ببعض علماء الأركيولوجيا الإسرائيليين العلمانيين مثل إسرائيل فلنكشتين، نيل سيلبرمان⁽²⁾ وزئيف هرتسوغ إلى التشكيك في النصوص التوراتية نفسها ووصفها بالأساطير الشعبية المنسوجة من بنات الخيال في سني السبي ببابل، وأن تأليفها كان لمضاهاة تراث الشعوب الأخرى المسيية معهم، بينما يؤمن المسلمون من القرآن الكريم (الذي دوّن في أنه ولم تعثر نصوصه شكوك) بوجود أصل تاريخي لمعظم قصص الشخصيات الوارد ذكرها بالعهد القديم وخصوصاً للأنبياء والمرسلين.

20 - اسم يوم الجمعة العربي الذي وصلنا من الجاهلية كان «عروبة» وكان يعني الغروب! فقد سجّل المسعودي لنا أسماء أيام الأسبوع قبل الإسلام فكانت: أول (الأحد)، أهون (الاثنين)، جبار (الثلاثاء)، دُبّار (الأربعاء)، مؤنس (الخميس)، عروبة (الجمعة)، شَيّار (السبت). كما جمعها الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني في بيتين من الشعر:

(1) تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح.

(2) The Bible Unearthed.

أؤمل أن أعيش وأن يومي لأول أو لأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار
وقيل بأن البابليين أطلقوا اسم عرب على كل من سكن غرب الفرات، وأن الفينيقيين
أسموا بلاد غرب المتوسط «عروبة» التي صارت «أوروبة» لتخفيف الأجانب نطق
العين، أو لشيوع ذلك في بعض اللهجات العربية كلهجة كنانة. أما بالنسبة لاسم اليوم
فيبدو أنه كان عائداً إلى حقبة زمنية غابرة في تاريخ الجزيرة العربية كان فيه أهم حدث
أسبوعي يوم السبت المقدس الذي تبدأ مفاعيله وقت الغروب باليوم السادس فأطلقوا
على اليوم اسم العروبة ليتذكروا الواجبات الدينية ابتداء من وقت المغرب فيه، وما ذلك
إلا لشيوع بل غلبة الشريعة الموسوية بين أهل الأرض في الزمن الغابر.

21 - أحداث خروج بني إسرائيل من مصر ومكوئهم في التيه لمدة 40 سنة ثم
غزوهم أرض فلسطين تم في حدود القرن 15 بحسب أكثر المراجع التاريخية. في
هذه الفترة كانت بلاد القبط في أوج قوتها وعظمتها بعد دحر جماعات الهكسوس
 وإخراجهم نهائياً من بلاد النيل، وكان الوجود القبطي في سيناء وجوداً قوياً لأنها
خطوط الدفاع الأمامية عن وادي النيل، كما أن السيطرة على فلسطين بشكل واضح
تدعمها رسائل تل العمارنة. فمن المستبعد جداً للجماعات الإسرائيلية أن تكون
استطاعت الخروج من وادي النيل بسهولة ثم المكوئ في شبه جزيرة سيناء لمدة
40 سنة دون أن يتعرض لها أحد سوى العماليق وملك عراد الكناني (كنعان). ولا
نسمع عن أي اشتباك لهم مع حاميات مصرية لا في التيه ولا في فلسطين حيث كانت
السيطرة القبطية قوية في بداية العصر الأمبراطوري الذي مد الحدود خارج بلاد النيل
لأول مرة ليكون الهجوم خير وسيلة للدفاع.

22 - التماث (Phylacteries) و(Tefillin) التي يلبسها اليهود في معابدهم
وصلاتهم تشبه إلى حد بعيد الكعبة المشرفة⁽¹⁾ ويضعون في داخلها أربع كتابات:
اثنان من سفر الخروج واثنان من سفر التثنية، فيلبسونها كعصائب على جباههم،
ويلفون أخرى على سواعدهم لتذكروهم بالله. وقد جاءت التوصية بها وهم بعد في

(1) Return to Mecca, Lipein, PXXi

تیه سیناء⁽¹⁾⁽²⁾⁽³⁾، وهذا يدل على أنهم كانوا يعلمون بوجود بيت الله الحرام بمكة والذي كان موجوداً من أيام إبراهيم (ع).

ويبدو أن مبدأ القبلة لمكة كان معلوماً حتى قبل إخراج موسى لبنى إسرائيل من مصر: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۖ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁴⁾. ممكن فهمها على أن يكون البيتين الجديدين بين مساكن المؤمنين ومكة بحيث تكون صلاة المؤمنين باتجاه البيت الحرام.

عن التحريف

يتخذ البعض من كلمة «التحريف» الواردة بالقرآن حجة لإضعاف مصداقية النصوص؛ فأذكر بأن أئمة كباراً من الأوائل مثل ابن عباس ووهب بن منبه والبخاري وابن تيمية بالفتاوى ذكروا بأن النص التوراتي محفوظ ربانياً وأن التحريف طال المعاني فقط. فعلينا إعادة دراسة النصوص اللادينية بلغتها الأصلية وقراءتها بطريقة صحيحة لا محرفة؛ وهذا فرض كفاية عن الأمة طال انتظاره بعد أن كان يتم النقل من الإسرائيليات ثم الشكوى منها. وهذا الكتاب هو أول محاولة جدية في هذا النحو. وكيف كنا نتوقع من أهل الكتاب أن يسيئوا لنا ما جاء عن المصطفى (ص) في نصوصهم (كما بين القرآن) وهو حجة عليهم! وأوضح بأن تحريف المعاني جاء عن طريق قراءات خاطئة للأسماء ذهبت بالجغرافيا والأنساب إلى مواضع غريبة عن أصولها، وأن الأمر ربما لم يكن بريئاً في البداية ثم صار من المسلمات مع مرور الوقت وقلة العلوم بين الناس.

هناك مبدأ عام لكل النظريات العلمية بأن الواهي منها يتهافت أمام النقد العلمي، أما الثابت فيتماسك وتزيده كثرة الأبحاث صلابة، وهذا ما يحدث مع نظرية الدكتور كمال الصليبي بصدور دراسات متتالية تصب في مصلحة عدم فلسطينية التوراة، وهذا الكتاب منها. وكان لاستخدام منهج لغوي جديد تم شرحه بالفصل التالي

(1) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 9.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 6، الجملة: 8.

(3) سفر التثنية، الإصحاح 11، الجملة: 18.

(4) سورة يونس، الآية: 87.

إثبات حقيقة كانت منفية عند التوراتيين وثابتة عند العرب والمسلمين وهي وجود إبراهيم (ع) بمكة . كما أدت القراءة الجديدة للنص العبري إلى استنتاج أن لغته عربية قديمة وأن معظم أحداث التوراة كانت بمكة أم القرى وما حولها! هذه النتائج كانت اكتشافات من استقراء النصوص ولم تنطلق من أفكار مسبقة.

مع الدكتور كمال الصليبي:

قابلت الدكتور صليبي مرتين بالأربعين يوماً التي سبقت وفاته، في الأولى أقرني على منهج العمل لجهة اللغة، ووافق على رؤيتي الجديدة للجغرافيا الصحيحة . وفي الثانية (وكانت قبل أسبوع من دخوله المستشفى وغيباه) أوصاني بنشر نتائج البحث قائلاً: أنت تكمل عملي.

رحم الله الدكتور كمال فقد كان عالماً رائداً في عروبة التوراة وعملاقاً سمح لنا بالوقوف على كتفيه لرؤية المدى الأبعد.

لماذا تأخر طرح الموضوع حتى اليوم:

لمدة تزيد عن ألفي عام لم تكن المسألة ملحة؛ لأن اليهود عاشوا في بيئات مختلفة كأفراد عاديين وكطوائف في جنسيات مختلفة لا كجاليات غريبة فيها، إلا أن إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين وتأخر ظهور أية لقي أثرية تثبت تاريخية النصوص، وعدم تطابق جينات معظم المنتسبين للديانة اليهودية مع الجينات المشرقية المفترضة لبني إسرائيل بدأ يلقي شكوكاً ويجعل من مراجعة الموضوع مادة ملحة.

وعلى من يريد الخوض في هذا الموضوع أن يكون عنده إلمام جيد في عدة مواضيع في وقت واحد؛ ومنها:

- 1 - معرفة جيدة بالتوراة والديانات القديمة.
- 2 - معرفة جيدة باللغات القديمة خاصة عبرية التوراة وبعض الآرامية.
- 3 - معرفة جيدة بالقرآن الكريم.
- 4 - معرفة جيدة باللغة العربية ولهجاتها خاصة لهجات الجزيرة.

- 5 - معرفة جيدة بالتاريخ العبري لعصري الهيكل الأول والثاني.
- 6 - معرفة جيدة بتاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام.
- 7 - معرفة جيدة ومفصلة بجغرافيا الجزيرة العربية الطبيعية والسياسية.
- 8 - معرفة جيدة بالقبائل العربية وأنسابها ماضياً وحاضراً وأن يكون مطلقاً على آخر الدراسات الجينية التي تتابع التنقلات البشرية.

خلاصة:

تاريخ أهل الكتاب مرحلتان يفصل بينهما تقريباً العام 600 ق.م. وهو يقارب زمن غزوة نبوخذ نصر للجزيرة العربية ووصوله لتهامة:

المرحلة الأولى: مسرحها جزيرة العرب عامة وتهامة الحجاز خاصة ومحورها أم القرى وما حولها. هذا زمن بني إسرائيل؛ زمن الهيكل الأول الذي بناه النبي سليمان (ع) بمكة المكرمة.

المرحلة الثانية: مسرحها فلسطين ومن ثم الانتشار بالشرق الأدنى والعالم، زمن الهيكل الثاني وهو بيت المقدس بالتعبير اليهودي والمسجد الأقصى بالتعبير القرآني والذي بناه الهاشميون المكيون (لا الحشمونيين المكابيين). هنا يبدأ التاريخ اليهودي. ليس من خلاف كبير على المرحلة الثانية، إنما كل الخلاف على المرحلة الأولى التي امتدت من زمن آدم ونوح حتى زمن معد العدناني ببداية القرن 6 ق.م. وهي بيت القصيد لهذا الكتاب.

فالأرض المباركة هي مكة وما حولها وبني إسرائيل الذين وعدت لهم استمروا بوجودهم فيها حتى اليوم كما تبين الدراسات الجينية للشعوب. وُعِدَت الأرض لإبراهيم وذريته والله لا يخلف وعده لرسله، وهُم ما زالوا فيها، لكن بعد انتهاء المرحلة الأولى بالجزيرة دخلوا في فترة من الكفر ثم أسلموا مع محمد (ص).

أما غالبية يهود اليوم فمن أصول غير إبراهيمية، كما أن فلسطين هي من أرض المهاجر الأولى، وهي أرض الهيكل الثاني الذي شيد بعيداً عن الأول بـ 1250 كيلومتراً تقريباً.

التوراة كتاب تسجيلي لتاريخ جزيرة العرب للفترة ما بين نوح ببداية الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى زمن معد العدناني ببداية القرن السادس ق.م. وبنو إسرائيل هم من هذه الفترة؛ وبعدها صاروا من العرب البائدة لجهة كياناتهم السياسية، منهم من غادر ومنهم من تمسك بالأرض فبقي بالجاهلية حتى أسلم مع خاتم النبيين (ص).

وقد صرح علامة الجزيرة حمد الجاسر (ير)⁽¹⁾: إن مما يزيد بلادنا فضلاً وشرفاً نسبة الأنبياء والصالحين من عباد الله إليها. وعن كتاب الصليبي قال: إننا نعزّ بهذا لو كان صحيحاً، وعن مناطق قيل بأن يعقوب والأسباط من بنيه حلّوها فهذا مما تفخر به هذه البلاد ويعتز به سكانها، وإثباته من الأمور التي نحن بحاجة إليها.

وبالإضافة لدورهم الرائد في تقديم الديانات التوحيدية للعالم، نتعرف أيضاً من التوراة على بعض الإنجازات الحضارية للعرب الأوائل كتطوير الأبجديات الأولى وابتكار المراكب العابرة للبحار والعملات المعدنية المسبقة الوزن وتدوين التاريخ بأسفار، واكتشاف وإمداد العالم بطيوب البخور من راتنج نباتات المنطقة. والمأمول به أن يشكّل هذا العمل حافزاً للشباب العربي ليكون حاضره ومستقبله على مستوى إنجازات الأسلاف رجوعاً للعصور الوسطى فالقديمة ووصولاً لفجر التاريخ المدوّن.

بيروت في 14 آب/أغسطس 2019

(1) مجلة العرب ص733 (جمادى الأولى والآخرة 1411هـ).

منهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة

﴿وَالطُّورِ • وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ • فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ • وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ • وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾⁽¹⁾.

يا له من كتاب، يقسم به الله ويضعه بمرتبة البيت المعمور والطور من الأرض والسماء المرفوعة والبحر المسجور. ذهب العلماء مذاهب شتى لكن الغالب عندي أن الكتاب المقصود ههنا هو التوراة التي أنزلت على موسى بجبل الطور حيث كلمه الله جهرة، وكان الوحيد من بين الكتب المقدسة الذي كان منشوراً في رق بأيام نزول سورة الطور بمكة المكرمة في بداية الدعوة المحمدية، وقد نسب بعضهم إلى هذه الآيات سبب إيمان عمر بن الخطاب (ر) لوقعها الشديد عليه عند سماعها لأول مرة!

منهج البحث بين لسان كنعان ولهجة كنانة

قبل سنوات كنت أدرس مخطوطتين اعتبرهما الأقدم بلغتنا العربية؛ إحداهما رسالة النبي محمد (ص) إلى ساوى ملك البحرين، وقد وجدتُ رسمها في كتاب عن الخط العربي، والثانية نسخة ضوئية جاءتني هدية من بلاد القبط عن رسالة النبي محمد (ص) للمقوقس عظيم أقباط الإسكندرية، فاسترعى انتباهي طريقة رسم بعض الحروف التي تشابه إلى حد بعيد الحروف العبرية! فرجعت إلى مخطوطات أخرى للقرآن كُتبت في بداية العصر الأموي بالخط الكوفي ومشكلة على طريقة أبي الأسود الدؤلي، ليتأكد لي بوجه قاطع وجه التشابه الكبير بين الخط الكوفي المنفصل والآرامي المربع المسمى بالعبري.

(1) سورة الطور، الآيات: 1 - 6.

شكلت هذه الملاحظة حافزاً فضولياً كبيراً لإعادة قراءة التوراة لا بالإنكليزية كما درستها بالجامعة؛ ولا بالعربية كما هو متوافر بترجمات متعددة؛ بل بالعبرية! فاستحصلت على نسخة مطبوعة في بريطانيا من النص المأثور العائد إلى القرن العاشر، ودرستها على طريقة الأثاريين الذين يدرسون الكتابات القديمة دون الحاجة لأن ينطقوا بها! وعند قراءة الإصحاح الأول من سفر التكوين شعرت بأن سمتها عروبية، وتذكرت قول فيلبي بأن السامية هي العربية!

تقول أول جمل بالتوراة⁽¹⁾، والنص باللفظ العبري حرفياً:

بالرأسية برأ اللاهم، ءت هاشميم وءت هاءرص. وها ءرص هيت تهى وبهو وخسك على فنى تخوم، وروح اللاهم مرهفة على فنى المايم. وأمر اللاهم: يهى ءور، ويهى ءور. ويرى اللاهم ءت هاءورك طوب، ويبدل اللهم، بين هاءور وبين هاءخسك. وقرأ اللاهم لءور يوم: ولخسك قرأ ليلة، ويهى عرب ويهى بكر يوم أحد. وكانت قراءتي لهذا النص بعد تحريك الحروف الصامتة (أي إعرابها) ووضع النقاط على الحروف بطريقة مناسبة:

بالرئاسة برأ اللاهم (القديم)، آية (كيان) السماين (السماء بتخفيف الهمزة) وآية الأرض. والأرض هيت تيه وبهو، وغسق على فنا (فناء/وجه) التخوم، وروح اللاهم مرهفة على فنا (فناء/وجه) الماي. وأمر اللاهم: ليهي أوار (نور)، وهى أوار. ويرى اللاهم آية الأوار شي طيب. وبزل اللاهم بين الأوار وبين الغسق. وقرأ اللاهم للأوار: يوم، وللغسق قرأ ليلة، وهى غروب وهى بكور يوم واحد!

أما «الترجمة» العائدة إلى دار الكتاب المقدس في العالم العربي فجاءت كالتالي: في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله مرفرفة على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساء وكان صباح يوم واحد.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 1، الجملة: 1 - 5.

هناك فرق بين القراءة والترجمة؛ لأن القراءة العروبية تحافظ قدر الإمكان على روح النص الأصلي بينما الترجمة تعطي المعنى فقط . ومن يفسر الأبيات الشعرية يسرد لنا فهمه؛ لكن تذوق الشعر لا يكون إلا بإبقائه في قالب القوافي الموزونة، كما أن الترجمة تعطينا معنى واحداً للكلمات بينما الصيغة الأصلية قد تحمل أكثر من وجه.

ورد في كتب الحديث أن النبي (ص) رأى مرة عمر بن الخطاب (ر) وهو يحمل صحيفة من سفر الشريعة فغضب منه حتى احمرت وجنتاه، والأمر الذي لم يعلق عليه أحد عند قراءة هذا الحديث هو كيف كان لعمر أن يقرأ الصحيفة علماً أن التوراة لم تكن مترجمة إلى العربية آنذاك ولا عُرف عن عمر قراءته وكتابته لغیر العربية! والشائع أن اليهود كانوا يعلمون من يشاء من أهل المدينة المنورة القراءة والكتابة في مدارسهم ولم يعرف عنهم أنهم كانوا يكتبون بخطين، فلا بد أن الحروف المستعملة يومذاك كانت لكتابة كل من اللغتين العربية والعبرية. قررت أن أدرس النصوص التوراتية بفرض البحث عن أوجه صلة محتملة بين التراثين العبري والعربي، فوجدت بالتوراة أسماء لا حصر لها مما كانت معروفة في الجزيرة العربية إبان الجاهلية وفي الإسلام أمثال: علقمة، عساكر، علي، عكاشة، عبد الملك، بشر، عبيدة، رمية، بكر، عمرو، كلب، سعياء، صدقة، واقم. . . . ، والكثير من العادات المشتركة!

الغريب بالتراث العربي أنه مع كثرة نقل المرويات عن قصص الأنبياء وسيرهم يكتب التاريخ والتفسير ما من أحد من كل علماء الأمة الإسلامية تطوع لفرض كفاية هو دراسة التوراة بلغتها الأصلية! الكل اكتفى بنقل الإسرائيليات عن أهلها، وفيها ما فيها من خلط بين الأخبار والتفاسير التلمودية والنصوص الأصلية التي هي على الأرجح «صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»⁽¹⁾ المشار إليها في القرآن الكريم، فسفر التكوين قد يكون هو صحف إبراهيم، وأسفار الخروج والعدد واللاويين والشئبة قد تكون صحف موسى!

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا﴾⁽²⁾ هذه الآية وبالقياس كانت

(1) سورة الأعلى، الآية: 19.

(2) سورة التوبة، الآية: 122.

الحافظ لي لتعلم عبرية التوراة . ثم علمت بأن الذين يريدون أن يتعلموا عبرية التوراة (وهي تدرس بمعزل عن عبرية الإسرائيليين اليوم) يتم قمعهم بشكل منظم من الدرس الأول؛ بل وتمنع عليهم أية مراهاة بينها وبين العربية ولو على سبيل تذكر المفردات، فالرد الحاسم الجاهز دائماً للتلاميذ العرب: «اللغة العربية ممنوعة في صفّي»! لذلك قررت دراستها على نفسي؛ فقامت بعمل نموذج «ثلاثي» الأسطر:

في السطر الأول تكون الكتابة العبرية الأصلية إنما بحروفنا العربية الدارجة، وفي الثالث المعنى المتعارف عليه، وبين الاثنين كتبتُ الطريقة المثلى لقراءة النص الذي يبين عروبه بشكل واضح. أكثر ما أفادني كان مقارنة أسماء الأنبياء والأشخاص والبلدان بين النصوص التوراتية والقرآنية على طريقة شمبليون الذي فك رموز الهيروغليفية . بالتدريج وبعد عشرات المحاولات على مدى سنوات من العمل بدأ يتضح لي بأن النص عربي بلهجة غرب الجزيرة العربية القديمة (كنانة) ومكتوب بخط الجزم الذي لإملائه خصائص تشابه ببعض الوجوه مع الرسم العثماني الذي كُتبت به المصاحف. ووقعتُ على قصيدة⁽¹⁾ مؤلفة من 22 بيتاً كل بيت منها يبدأ بحرف على ترتيب أبجد هوز؛ وكان موضوعها مواصفات المرأة الفاضلة؛ على لسان ملكة لابنها تعينه فيها على اختيار شريكة الحياة المثالية، وانتبهت إلى أنها أشبه ما تكون كتبت بالشعر النبطي! فأيقنت أن بعض الكلمات يجب أن لا تُقرأ كما لو أنها باللغة الفصحى! من هنا بدأت أنظر في بعض الكلمات على أنها قد كُتبت كما كانت تُنطق لا كما نكتبها اليوم! كمثال أعطي اسم قاسم الذي يلفظ: كاسم وجاسم وآسم وكلها تعني الإسم نفسه، وكلمة نحن التي تلفظ في بعض الأماكن: حنّا ونحنّا ونحني وإحنا بل وإنحن وكلها كلمة واحدة! وكتابتها بشكل أو آخر لا ينفي عروبتها لأننا نتقبلها كلهجات من لغتنا.

وكما نزل القرآن على سبعة أحرف نرى هنا الشيء نفسه فالحرف الواحد استعمل أو قرئ بأشكال متعددة حسب اللهجة أو الفترة التي كتب بها النص، والإبدال معروف ومشهور باللغة العربية⁽²⁾:

(1) سفر الأمثال، الإصحاح 31، الجمل: 10 - 31.

(2) الإبدال معجم ودراسة، أدما طريه.

والهمزة أول الكلمة استعملت: أ، أو لال التعريف التي تسبق الحروف القمرية،
أو حاء؛

الباء غالباً لم تستبدل إلا مع الفاء بالنصوص الآرامية؛

الجيم قد تكون: ج، ك، غ، ق؛

الدال قد تكون: د، ذ، ز، وحتى ط و ض؛

الهاء أول الكلمة هي ال التعريف التي تسبق الحروف الشمسية أو إ، وبوسط

الكلمة هاء أو حاء، وبآخرها نون؛

الواو قد تكون: و، أ، أو ي؛

الزبن قد تكون ذالاً؛

الحاء قد تكون خاء؛

الطاء قد تكون ظ أو تاء أو دال؛

(ي) بأول الكلمة للتسكين وبوسطها ي أو واو أو مدة ألف، وبآخرها هاء؛

الكاف قد تكون قافاً أو خاء أو جيم

اللام مترادفة مع النون والراء؛

الميم مترادفة مع النون وقد تدغم معها، وفي آخر الكلمة مع ال ي تميم مشابه

للتوين للكسر أو النصب أو الضم حسب الإعراب.

النون كثيراً ما تُخفى أو يجب أن تلفظ دون أن تكتب! وهنا نتذكر أحكام الإخفاء

عند التجويد بقراءة القرآن وأن الأصل فيها الإخفاء للنون؛

السين قد تكون صاداً أو زيناً؛

العين قد تكون غيناً، وقد تلفظ كهمة خفيفة لدرجة الإخفاء كما بلهجة كنانة⁽¹⁾،

وقد تكون مكان الحاء كما بقراءة ابن مسعود؛

الفاء لا تستبدل إلا مع الباء بالنصوص الآرامية؛

(1) أمثلة: أعطى (أنطى، أتى)، عزز (آزر)، عصفور (صفور)، جلعاد (جلاد جلدان) كنعان (كنانة)، فرعة (فرات)،
موج (وج)، هبعل (هبل)...

الصاد قد تكون ضاداً أو طاء (في مثل حصب والخراصون وربما مصر القرآنية)
القاف قد تكون كافاً وقد تكون جيماً؛
الراء ترادفت نادراً مع اللام وهما والنون من مخارج متقاربة؛
الشين قد تكون سيناً وقد تكون ثاء؛
التاء قد تكون طاء أو دالاً.

(والاختلاف كان يتم بحسب لهجة الكاتب، وهم متعددون، وقد حدث هذا مع تدوين القرآن فاشترط أن يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف).
والكتابة كانت بخط الجزم (الاختزال) ذي الـ 22 حرفاً وغير المنقط ومن دون تشكيل، مع استعمال الأحرف لإعراب الحرف الأخير. أضف إلى ذلك حركات الإدغام كما أسلفنا وأحكام الميم والنون المعروفة لمن درس تجويد القرآن الكريم، مع كل خصائص الرسم العثماني؛ فليس كل واو هي واو في مثل الزكوة والصلوة والتي تفيد التفخيم!
عرب البادية لا تبدأ بساكن ولا تقف عند متحرك. أما باللهجات الحضرية فأهل القصيم مثلاً لا يلفظون اسم مدينة بريدة بضم الباء بل بتسكينها؛ فإن أردنا تبيان التسكين بالإملاء القديمة كان يجب كتابتها: ي ب ر ي دة! وكانوا إذا أرادوا تسكين الحرف الأخير يضيفون هاء! فكلمة (ي ه و ه) قد لا تقرأ يهوه على وجه الحصر بل: (هو) وهو الاسم الرمز للهوية المطلقة لله تعالى.

وبعد أن بدأت الصورة تنجلي أعدت قراءة النصوص بهذه الطريقة فبدأت بعض الكلمات والأسماء تتوضح، والجغرافيا تطل مع أسماء حجازية! فلغة «كنعان»⁽¹⁾ لسان بني إسرائيل ما هي إلا لهجة كنانة العربية التي تحقّف العين!

بالنسبة إلى جغرافيا النصوص تناول علماء غربيون هذا الموضوع من قبل من أمثال (Montgomery) و (Margoliuth) و (Winckler) في مطلع القرن العشرين ومن قبل كتاب عرب من أمثال د. كمال الصليبي وفرج الله ديب وزباد منى بأواخر القرن العشرين، وفاضل الربيعي وجماعة نداء السراة البحرينية ببداية هذا القرن. لم يوضح الغربيون نقاط الضعف بالرواية التوراتية ولا كيف أنها لا تنسحب على

(1) سفر: شعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

الجغرافيا الحالية، بل اعتمدوا على عدم وجود لقى أثرية بفلسطين، ولم يجمعوا ما أورده التراث العربي الإسلامي عن الموضوع، بل اعتقدوا باليمن السعيد مسرحاً على الغالب، أما الصليبي فأدخل كل مسرح الأحداث في منطقة واحدة هي منطقة عسير السعودية واستعمل أسماء قبائل وقرى وبلدان لم تظهر إلا قبل عدة قرون فقط! وكان باستطاعته مراجعة كتاب مثل صفة الجزيرة الموضوع قبل أكثر من ألف عام ليتبين له أن أكثر هذه الأسماء لم تكن موجودة.

منهاج البحث الجديد هنا يتناول أيضاً الثغرة التاريخية الهامة بين نوح وإبراهيم والتي أغفلها الجميع، وسيكون سير التحقيق بإبداء نقاط الضعف بالجغرافيا التقليدية على إحدائيات النص الأصلي، ومن ثم إبداء الرأي المنطقي والعلمي المتكامل، آخذين بالاعتبار الأسماء المعروفة بقدمها فقط. وسيكون للتراث العربي الإسلامي نصيب هام في نقض النظريات القديمة وإثبات الجديدة مستبعدين كل رأي وتفسير لا ينطبق مع الواقع والمنطق والعقل .

تدوين العهد القديم

يقسم العلماء العهد القديم إلى ثلاثة أجزاء:

1 - التوراة (ومعناها الشريعة): وتضم أسفار:

التكوين

الخروج

اللاويين

العدد

التثنية

2 - الأنبياء (نبيين):

وتضم أسفار الأنبياء المتقدمين:

يوشع

القضاة (الأسباط الموحى إليهم)

صموئيل الأول (سموأل 1)

صموئيل الثاني (سموأل 2)

الملوك الأول

الملوك الثاني

أشعيا (اسعيا)

أرميا (ارميا)

حزقيال

وأسفار الأنبياء المتأخرين الإثني عشر

هوشع

يوئيل (وائل)

عاموس

عوبديا (عبيدة)

يونا (نون)

ميخا

ناحوم

حبقوق

صفنيا (صفينة)

حجي

زكريا

ملاخي

3 - المكتوبات (كتيبم): وتضم أسفار:

المزامير (داود)

الأمثال

أيوب

نشيد الإنشاد (سليمان)

راعوث (راعية)

مراثي (بكائيات أرميا)

جامعة

استير

دانيال

عزرا (عزير)

نحميا

أخبار الأيام الأول

أخبار الأيام الثاني

لا يعترف اليهود السامريون ولا الفلاشا إلا بأسفار التوراة الخمسة فقط. بينما يعترف باقي اليهود بأسفار النبيين والمكتوبات، ويتبع السلفيون (الأرثوذكس) منهم كذلك التعاليم الشفوية المدونة بالتلمود. أما المسلمون فإنهم يعترفون من التوراة بالتشريع الذي نزل على موسى (ع) خصوصاً المدوّن بسفر التثنية. ومن الأنبياء المتقدمين أتى القرآن على ذكر يوشع (دون أن يُسمّيه) والقضاة (الأسباط) وحزقيال (ذو الكفل) ومن الأنبياء المتأخرين جاء ذكر يونان (يونس أو ذي النون) وذكر الياس واليسع وهم من أنبياء بني اسرائيل المتأخرين وليست لهم أسفار مستقلة. وبالنسبة للمكتوبات فقد ذكر القرآن أن الله أنزل على سيدنا داود زبوراً هو المزامير وهي ابتهالات دينية لتمجيد الله وتسبيحه، وكانت تتلى على أنغام المزامير (التي قد لا تكون آلات موسيقية بل حناجر منشدين مبدعين). وكذلك ذكر القرآن عزرا (العزير).

لا أحد يعرف متى جمعت أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد، لكن الثابت بالعهد القديم نفسه أن موسى (ع) دوّن سفر الشريعة بنفسه على الألواح بعد أن كسر الألواح الأصلية التي دونت عليها يد القدرة الالهية، ثم عاد يوشع بن نون

فنسخ سفر الشريعة ووضعت النسخة بتابوت العهد، ولربما استمرت فيه إلى أن عُثِرَ عليها بزمان الملك واسية (يوشيا)⁽¹⁾ حوالي العام 622 قبل الميلاد. ولا بد أن هذه النسخة ضاعت مع السبي البابلي، وما من ذكر لوجود نصوص مكتوبة حتى عودة عزرا من بابل عام 458 ق. م. على أيام الملك نحميا؛ مع أنه كانت تتكرر عبارة «حتى كتابة هذه السطور» بأسفار صموئيل (سموأل) والملوك!

ويرى آخرون أن كتابة بعض النصوص بدأت بالقرن 8 ق. م. إلا أن يوسفوس المؤرخ اليهودي المعروف يؤكد أن الجمع النهائي للنصوص لم يتم لأول مرة إلا أيام ملك فارس أردشير الأول (465 - 424 ق. م.) وهو ما يتزامن مع العصر الذي عاش فيه العزيز (عزرا).

في القرآن أخبار كثيرة متفرقة حول قصص الأنبياء الأوائل مثل نوح وهود وإبراهيم ويوسف وموسى (ع)، وسيتم الاستشهاد بها بحسب التسلسل الزمني لها لا بحسب نزولها، ثم ستم مقارنة النصوص التوراتية مع القرآنية لتبيان تطابق كل منهما مع الآخر أو مدى الاختلاف بينهما، وعرض روايات المؤرخين المسلمين ومقارنتها بالإسرائيليات.

استمرت كتابات وتداوين الأسفار عدة قرون، وضاع الكثير منها عند السبي البابلي، لكن العزيز (عزرا) أعاد تدوينها بالكامل في القرن الخامس قبل الميلاد، ولذلك قالوا عنه بأنه ابن الله! ومع أنه معاصر لهيرودوتس أبي التاريخ؛ إلا أن الأخير لم يذكر لنا عنه شيئاً ولا عن التوراة ولا عن اورشليم ولا عن تاريخ بني إسرائيل!

الخطوط العربية الأولى

إذا كانت التوراة هي أقدم الكتب المنشورة بأحد الخطوط المعروفة، فإن صحف إبراهيم التي هي على الأغلب سفر التكوين تعتبر الأقدم يتبعها سفر أيوب ثم تليها أسفار موسى الأربعة (صحفه) وهي: الخروج، العدد أو التعداد، اللاويين، وأخيراً التثنية أو المثنائي، وكما أسلفنا فقد أقسم الله بها في سورة الطور الآية 2 قبل الكعبة

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

والسماوات والبحار: ﴿وَالطُّورِ﴾ • وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ • فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ • وَالْبَيْتِ
الْمَغْمُورِ • وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿⁽¹⁾﴾.

أول ما نجد بالتراث العربي عند الحديث عن أصل الكتابة تعبير «كاتب الوحي للنبي هود»، وهود (ع) أرسل إلى قوم عاد وهم من الأراميين (أو الإرميين) وعاش بنجد قبل إبراهيم أقله ستة أجيال؛ كما سيتبين في فصلي هود وصالح (ع)، وكل نبي أرسل بلسان قومه «ليتبينوا» على حد تعبير الآية الكريمة، فالإشارة الأولى عن الكتابة بالتراث العربي كانت للإرميين من قوم عاد الذين صنفوا في خانة العرب البائدة . ولعل بعض ما سجّله هود قد وصل إلى إبراهيم (ع) الذي نشأ بين الإرميين بالقرن 20 ق. م. وتكلم بلغتهم إلى أن انتقل إلى أرض كنانة ومن ثم اتخذ من لغتها/ لهجتها (شفة كنعان) لساناً له ولبنيه. وفي القرآن الكريم ورد بسورة الأعلى 18:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى • صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ⁽²⁾.

الموطن المحتمل للأبجديات الأولى

إذا نظرنا إلى الأبجديات الأربع الأقدم في الشرق الأدنى وهي: 1 الطور سينائية و2 الفينيقية - الآرامية و3 المسندية - السبئية وحتى 4 النبطية (الآرامية المربعة القريبة من الكوفي المربع المنفصل) نراها تشترك في رسم الحرف الثالث (الجيم) الذي كان اسمه: جمل، فرسم حرف الجيم بالسينائية هو لعنق وظهر جمل، أما بالفينيقية - الآرامية والسبئية فإننا نرى رسماً جانبياً لرأس وعنق الجمل الطويلة، وبالنبطية مصغر لجمل كامل؛ علماً أن الأبجديات الأولى قامت على أساس رسم يذكر بالحرف الأول لاسم شيء عام ومتداول في الحياة اليومية للشعب الذي تكلم اللغة بحيث لا يحيد الذهن عند رؤيته إلى أي شيء آخر بل يتعرف إليه فوراً؛ كما يبين هذا الجدول لمعنى الحروف الفينيقية - الآرامية، وهو على ترتيب أبجد هوز السامي المعروف:

(1) سورة الطور، الآيات: 1 - 6.

(2) سورة الأعلى، الآيتان: 18 و19.

- أ - اسمه ألف - يصّور على شكل رأس ثور (ألف)؛
- ب - اسمه بيت - يصور على شكل بيت، وخصوصاً بالسينائية، وهي الأبجدية السامية/العربية البدائية؛
- ج - اسمه جمل - وشكله مثل رقم ثمانية (٨ الهندي) مع امتداد طويل للجانب الأيمن بما يمثل دون شك رأس ورقبة جمل - الحيوان المعروف؛
- د - اسمه دلادة - (ومعناه باب)؛
- هـ - اسمه هو - وله علاقة بالإله والدعاء؛
- و - اسمه واو - رسمه وتد الخيمة؛
- ز - اسمه زين - ويرمز إلى السلاح (الذي هو زينة الرجال عند العرب)؛
- ح - اسمه حيط - ويرسم على شكل قاطع بين غرفتين؛
- ط - اسمه طاقة بمعنى نافذة! ورسمه دائرة بداخلها علامة x؛
- ي - اسمه يد - ويرسم على شكل ذراع كاملة؛
- ك - اسمه كف - ويرسم على شكل باهم و3 أصابع؛
- ل - اسمه لَمَاز - ويرسم على شكل العصا التي يساق بها الثور؛
- م - اسمه ميم - ورسمه على شكل موجة بحر؛
- ن - اسمه نون - ويرسم على شكل نهّاش وهو الثعبان؛
- س - اسمه سمك - ويمثله هيكل عظمي لسمكة؛
- ع - اسمه عين - وشكله مدور على شكل العين؛
- ف - اسمه فوه - وهو على شكل فم مفتوح؛
- ص - اسمه صاد - ورسمه صتارة صياد؛
- ق - اسمه قاف - ورسمه قلب أو قصبة الكتابة؛
- ر - اسمه راس - ورسمه رقبة إنسان؛
- ش - اسمه شين - ورسمه شنة وهي القوس القديمة؛
- ت - اسمه تاو - علامة التقاطع ورسمه كعلامة x.

من يدرس صور الحروف يتضح له من رسم الحروف أن الكتابة الطورسينائية هي الأقدم بين الأربع لأنها تحوي القدر الأعلى من التصاویر بينما خطوط المسند أحدث منها، وقد استعملت الأخيرة فيما بعد باختلافات يسيرة في طول وعرض الجزيرة العربية وصولاً إلى أرض الصفاة واللحيانيين، كما انتشرت بشرق إفريقيا على أيدي من هاجر إلى الحبشة من الجزيرة. وكانت النبطية الأحدث بين الأربع فانتشرت بالشمال العربي ثم دخلت الجزيرة عن طريق الحيرة بالنصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد. أما التي استعملت على الصعيد الواسع بالعالم القديم فهي الكتابة الفينيقية - الآرامية، وبداية جاء الفينيقيون بها إلى شرق المتوسط ربما من الجنوب العربي؛ فقد وجدت في تمنع عاصمة قتيان عملات محلية نقش عليها كتابات بالخط الآرامي، كما أنها أبجدية مسئلة تيماء الشهيرة المكتشفة بقصر طليحان في 1884م والمحفوظة إلى اليوم بمتحف اللوفر بباريس. قام الفينيقيون بنقلها إلى اليونان فكانت أساساً لأبجديتهم ثم إلى اللاتين من بعدهم، ولما تبنتها الدولة الإخمينية ببابل فيما بعد أصبحت خط الكتابة الرسمي لغرب آسيا، وجرى استعمال خطها من المتوسط غرباً حتى الهند شرقاً. والفينيقيون تسميتهم محل جدل بين علماء ما يسمّى بالساميات، ويرى الأستاذ علي محسن بكتابه عن المهرة ولهجاتها أن كلمة فينق تعني مستكشفاً باللهجة الجبالية الأمهرية (بمنطقة ظفار العمانية) وبأن الفينيقين الأوائل عندما أرادوا أن يعرفوا بأنفسهم قالوا: نحن فينق أو فينق أي مستكشفون! والهمداني الملقب بلسان اليمن، وهو من أعظم جغرافيين العرب في القرن العاشر الميلادي، فسّر في تعليقه على «معرفة قسمة الأقاليم لبطليموس» بلاد فونيقا (وكتبها أيضاً فونيقى) على أنها بلاد اليمن! مع أنه كان على معرفة طيبة ببلاد الشام والمدن اللبنانية، فهل كان ذلك لمعرفة أصيلة لديه من التراث اليمني بأن انطلاقتهم كانت من الجنوب العربي؟ ويتماهاى ذلك مع ما ذكره هيرودوتس أبو التاريخ (القرن الخامس ق، م)، بأنهم قدموا من بلاد البحر الإريتيري (أي الأحمر) الذي كان في مفهوم اليونان يشمل بحر القلزم (الأحمر الحالي) وبحر العرب (من كتاب الطواف حول البحر الإريتيري) حتى الخليج العربي، وهو الذي ذكر أيضاً بأن أول من نقل الأبجدية الفينيقية إلى اليونان كان قدموس السوري ومعه الغفاريون! وبنو غفار بن مليل بطن من كنانة، فهل هذا في أصل مقولة أن الفينيقيين هم «كنعانيون»؟

والفينيقيون جالوا في الآفاق المتوسطية ووصلوا بتجارتههم إلى الجزائر البريطانية، وأسسوا مستعمرات لهم من قبرص وكريت حتى الجنوب الفرنسي وجزائر الباليارد وهم من أطلق على إسبانيا هذا الاسم كما رأى العلامة الراحل فؤاد أفرام البستاني (إش بانيا معناها أرض الأرانب)، وبقرطاجة أسسوا أول إمبراطورية سادت غرب المتوسط بضعة قرون إلى أن نهضت روما بهذا الدور بعد سقوط هنيعل في القرن الثالث ق م. وبمقاربة الأسماء التي أطلقها الفينيقيون على بعض ما أسسوا ببعض المدن في الجنوب العربي نجد: صور اللبنانية وصور العُمانية، وجبيل اللبنانية وجبيل على شاطئ الخليج العربي، وأرواد الجزيرة السورية اليوم وأرواد (أراد) الاسم القديم لجزيرة المحرق البحرينية، وحضرمت الاسم القديم لسوسة التونسية اليوم وإقليم حضرموت الغني عن التعريف بالجنوب العربي. ولا عجب من إنجازاتهم العظيمة بالتجارة البحرية بمدة قصيرة من وصولهم إلى شاطئ المتوسط إذ كانوا من سلالة أسياذ الملاحة والتجارة في بحر العرب. والعُمانيون الصوريون كانوا أول من طور تقنية بناء السفن العابرة للبحار بربط الألواح بحبال الألياف المصنوعة من جوز الهند الموجود في بلادهم وهي ما عرف بالتدسير. وصور اللبنانية كان اليونانيون (وما يزال كل الأجانب إلى اليوم) يطلقون عليها اسم (Tyros) أو (Tyre)، أما اسم صور فتسمية فينيقية عربية، واسم قدموس نفسه عربي ومعناه القديم، قال عبيد بن الأبرص:

لقد ورثنا داراً عن الأقدم القدموس من عم وخال

وقيل القدموس المشرقي: وقيل العظيم، مثل جيش قدموس أي جيش عظيم. وقد لاحظ فرج الله صالح ديب⁽¹⁾ أوجه شبه بين الرموز بالنقوش الفينيقية والسبئية في مثل رمز الهلال والشمس في حجر قرية فيع اللبنانية ونقش الأقمر اليمني من مجموعة مطهر الأرياني؛ بعد أن جرّب قراءة النصوص السبئية والفينيقية على أنها نصوص عربية، وذلك عائد إلى حقيقة أن الفينيقيين كما أسلفنا هم أصلاً من الشعوب القديمة التي سكنت في الجنوب العربي، أما من سكن قبلهم في شرقي المتوسط

(1) كنية السامية وحقيقة الفينيقية، فرج الله ديب.

فهم أبناء حضارة محلية تأثر جنوبيها باشعاع الحضارة المصرية وشمالها باشعاع بلاد الرافدين.

أهل التوراة

كل الإشارات إلى أرض كنعان والكنعانيين تقريباً متأتية من نصوص العهد القديم؛ أما هيرودوتس الذي سكن في هذه المنطقة من 454 - 447 ق.م.، وسجل تاريخها المعروف في القرن الخامس ق. م. فلم يأت أحد له على ذكر كلمة كنعان، ولم يسمع بأورشليم أو التوراة أو إبراهيم أو موسى أو داود أو سليمان! كما لم يصادف إسرائيليين لا ببابل ولا بفلسطين ولا ببلاد القبط! جدير بالذكر أن عزرا كان قد أرجع آخر المسيبيين من بني إسرائيل لأرضهم في العام 458 ق.م.

تفيد التوراة بأن عرب قاسط أو جديس ابن سام بن نوح (ء ر ب ك ش د) أنجب صالحاً الذي أنجب غبراً وأن غبراً أنجب ولدين: قطن (وليس قحطان) الذي هاجر إلى الجنوب العربي، وفالجا الذي تحدر منه إبراهيم (ع) الذي هاجر إلى أرض كنانة (لا كنعان). وقد تكلم بنو إسرائيل شفة كنانة (مثلما نقول اليوم لساناً لنعني لغة) وكنانة كان ابناً لحام لا لسام، فكيف والحال كذلك يدعون بأن اللغة العبرية (العبرية) من اللغات السامية؟ فإبراهيم (ع) وعشيرته (وهم من المتحدثين من غبر والساكنين مع الآراميين من أيام هود) حلوا بأرض كنانة وعاشوا فيها حتى هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر، واتخذوا من لهجتها لساناً⁽¹⁾ لهم علماً أن الفروقات كانت أقرب إلى اختلاف بين لهجات منها إلى لغات، وبرأي فيلبي فالسامية هي العربية. ولم يفت شبه التطابق بين العبرية ولهجة كنانة عالم الساميات تشيم راين⁽²⁾، لكنه لم يذهب في شكوكه للنهاية بسبب تنشئته على أن أرض كنعان كانت فلسطين. ويبقى كتابه مصدراً هاماً لمراجعة خصائص لهجات غرب الجزيرة العربية منذ القديم⁽³⁾.

أبجدية ألواح موسى

لا أحد يعرف بالضبط من طور الخط السينائي علماً أنه لم يكن حتماً لا سينائياً ولا حتى قبطياً لأنه كما أوضحنا فإن الحرف الثالث (الجمل) يشير تماماً إلى أصل

(1) سفر اشعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

(2) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم راين، ص: 37.

(3) نفس المصدر، الفصول: 8 - 13.

الأبجدية وهو: الجزيرة؛ فهي الحضارة التي نجحت باستثناس الجمل، وكذلك أنتجت هذه الحضارة خط المساند والزبور. وفي زمن موسى كان سكان شرقي المتوسط يكتبون بالمسمارية، والأمر واضح من نقوش أوغاريت ورأس شمرا، وكذلك من رسائل تل العمارنة المرسلة إلى بلاد القبط من فلسطين. وغير منطقي ما يدرّسونه بأن موسى تعلم قراءة الأبجدية الكنعانية وكتابتها من تأمله للنقوش على الجرار المكسورة والملقاة بفلاة مدين أثناء رعايته ماشية حميه بأعالي الحجاز.

وتشترك الخطوط الثلاثة: الطور سينائية والآرامية - الفينيقية والمسندية بعدة أحرف مما يدل أيضاً على قربها بعضها من بعض (راجع الأحرف: تاء، سين وشين، قاف، عين، نون، ميم، لام، وحتى الكاف). وغير صحيح بأن أول أبجدية طورت بالتاريخ كانت من فعل عمال مناجم الفيروز بشبه جزيرة سيناء، في وقت لم يكن هناك جمال لا ببلاد القبط ولا بسيناء ولا بكل سوريا. هنا نتكلم على منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، فما هو يا ترى الخط الذي كتب به موسى؟ نحن نعرف بأنه كان يحسن الكتابة؛ وكذلك فتاه يوشع ابن نون وأبناء هارون، فلا بد أنهم درسوا القراءة والكتابة بمصر التوراتية حيث نشأوا:

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (1).

هذه الألواح حطّمها موسى عندما علم بعبادة قومه للعجل الذهبي في أثناء غيبته في الجبل التي استمرت أربعين يوماً، ثم عاد هو فنقل الوصايا على لوحين جديدين (2)، ثم قام يوشع بن نون فيما بعد بنسخ سفر الشريعة على جلد حيوان احتياطاً لأن الألواح الأصلية بقيت في تابوت العهد الموضوع تحت قبة الزمان (الخيمة الخاصة التي لا يدخلها إلا اللاويون من الكهنة) وكان ذلك حوالي عام 1445 ق. م. هذا السفر وجد طريقه إلى هيكل سليمان مع تابوت العهد عند نقله بأيام داود (ع) من قرية عروان (موقع قرية المجاهدين اليوم) إلى عري/عُرُش السلام (مكة)؛ ووجد في أثناء تنظيف

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 144 و145.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 34، الجملة: 1.

الهيكل وإجراء جردة بموجوداته في فترة حكم واسية (يوشيا)⁽¹⁾ ملك هوذة الذي حكم ابتداء من العام 640 ق. م. أي بعد موسى بثمانية قرون. ونحن نعرف بأنه بعد خروج بني إسرائيل من مصر انقطعت العلاقة بها، فلو كان السفر مكتوباً بالحروف الهيروغليفية فكيف استطاع الملك والكاهن الأكبر قراءته على الملأ بعد هذه المدة الطويلة، فالمنطق يقول أنه كان قد كتب بحروف كانت ما زالت مستعملة بأيامهم. وحتى مؤخراً كان الجميع يظن بأن الخط على الألواح كان بالحروف الفينيقية المسماة أيضاً بالغبرية القديمة التي ما زال التوراتيون السامريون يستعملونها حتى اليوم، لكن هذا غير صحيح لأنه كما أسلفنا فعلى أيام موسى كانت المسمارية هي السائدة بشرق المتوسط والهيروغليفية ببلاد القبط، ولم يثبت استعمال هذه الأبجدية إلا بعد وصول الفينيقيين إلى شرق المتوسط في القرن 12 ق. م!

خط المساند

خط المساند (شواهد القبور) النقشي الذي عرف أيضاً بالحميري والسبئي لا نعرف متى نشأ وأين، ونقوش اليمن تعود أقله إلى بدايات الألف الأول قبل الميلاد بأودية مفازة صيهد اليمنية؛ التي تقع على أطرافها شرقاً مدن وادي حضرموت مثل سيئون (صيّون) وتريم وشبام، ووادي شبوة جنوباً، وتمنع (عاصمة كتبان) غرباً، والعواصم صرواح ومأرب وقرنو وبراقش شمالاً. وقد لقي هذا الحرف الجميل انتشاراً واسعاً في طول وعرض الجزيرة العربية وخصوصاً على طريق القوافل الشمالي فنراه يظهر بنجران والفاو بوادي الدواسر قرب السليل، وكذلك باليمامة وحائل والسراة وتهامة وأعالي الحجاز بما عرف بأشكاله بالكتابات الثمودية واللحيانية، وكذلك بالشام بكتابات الصفاة قرب بصرى جنوبي دمشق، وظل مستعملاً باليمن إلى ما بعد ظهور الإسلام بقرون. وكانت «تمنع» عاصمة الكتبانين المكان الذي تمر فيه القوافل لدفع الضرائب، وكان يجري فيها كيل المحاصيل من الصمغ العطرية المحملة على الجمال ومن ثم يؤخذ ربعها ضريبة بينما يدفع عن باقي البضائع ذهب وفضة. ولحساب الضريبة يجب أن تكون هناك وسيلة للضبط والتسجيل، وقد وجد

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

المنقبون مسئلة في وسط سوق تمنع مكتوب عليها بخط المساند ما يستحق من ضرائب على كل تاجر يمر ببضاعته في المدينة، فربما لهذه الأسباب أطلق على دولة تمنع اسم دولة الكتبانين ومعناها الكتبة، وظلت تمنع المدينة الرائدة في التطوير اللغوي والتشريعي من حيث الاقتصاد والسياسة. وكذلك كان هذا الخط مستعملاً بالهضبة الحبشية لوثوق العلاقة بينها وبين الجزيرة العربية من أيام إبراهيم وربما قبلًا. هذا الخط (المسندي) هو على الأرجح الخط الذي كتبت به القدرة الإلهية الوصايا والمواظ على الألواح؛ ذلك لأنها الأبجدية الوحيدة المستعملة بزمان موسى على الضفتين الشرقية والغربية للبحر الأحمر؛ فمن المنطقي أن يكون موسى ويوشع بن نون وأبناء هارون قد تعلموا الكتابة بخط المساند بالحبشة وأكملوا استعمالها بتهامة والحجاز فيما بعد. ولم أطلق على هذا الخط اسم السبئي بهذا الكتاب لأن استعماله سابق على الممالك السبئية باليمن. صحيح أن بعضهم قد أطلق على بعض أنماطه إسم «الثمودي» إنما ذلك عائد إلى قرية اسمها ثمود اكتشف فيها أول نموذج من هذا الخط. وإن تعبير كاتب الوحي لهود يدل على وجود سابق للكتابة يعود إلى زمن عاد؛ وهي حضارة سادت بالأطراف الجنوبية لليمامة كما سنرى بفصل عاد وثمود.

وكانت الكتابة بخط المساند في الحبشة من اليمين إلى اليسار مثل سائر جزيرة العرب حتى غيرها أهل أكسوم بالقرن 4 ميلادي بتأثير من الحضارة البيزنطية؛ فصارت من اليسار إلى اليمين وبقيت كذلك حتى اليوم.

خط الزبور

ولخط المساند شكل نسخي غير الشكل النقشي (الملوكي) بتطوره من الوضع العمودي للوضع الأفقي⁽¹⁾ وهو ما عرف بخط الزبور، وقد جاء له ذكر بالشعر الجاهلي في مثل أبيات لامرئ القيس:

أنت حجج بعدي عليها فأصبحت
و كخط زبور في مصاحف رهبان

لمن طلل أبصرته فشجاني
ومن شعر لييد البيت الذي يقال بأن الفرزدق سجد لسماعه:

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أعلامها

(1) أبجدية القرآن من مملكة مباء، محمد عقل: 238 - 239.

وتكرر ذكر الزبر وهي الكتب المزبورة أي المكتوبة بخط الزبور بآيات القرآن الكريم (ما فرطنا في الكتاب من شيء):

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽¹⁾.
﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾⁽²⁾.

﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾⁽³⁾.
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ⁽⁵⁾.
﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ﴾⁽⁶⁾.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾⁽⁷⁾.
﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾⁽⁸⁾.
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾⁽⁹⁾.

لم يبق لنا شيء يذكر من كل المخطوطات المزبورة، تم تدمير كل شيء تحت مسمى أن الإسلام يجب ما قبله! مع كراهية لتدوين أخبار الجاهلية بل للتاريخ والمؤرخين! لذلك قلما نجد شيئاً مدوناً من القرن الهجري الأول، ولم يبدأ التدوين الفعلي عن أهل الأخبار العرب إلا بالعصر العباسي. ثم إننا نجد المفسرين اعتمدوا في الوصول إلى تفاصيل القصص القرآني على ما يسمى بالإسرائيليات وهي أخبار أهل الكتاب عن المواضع، ثم نراهم يشكون منها دون أن يكلف أحدهم عناء فرض كفاية عن الأمة لجهة دراسة النصوص الأصلية واكتشاف النصوص الواردة فيها أخبار النبي المختار (ص). وهذا العمل أول مجهود جدي يأخذ هذا المنحى منذ 14 قرناً ولا فخر.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 105.

(2) سورة النساء، الآية: 163 وسورة الإسراء، الآية: 55.

(3) سورة آل عمران، الآية: 184.

(4) سورة النحل، الآيتان: 43 و44.

(5) سورة الشعراء، الآية: 196.

(6) سورة فاطر، الآية: 25.

(7) سورة القمر، الآية: 43.

(8) سورة القمر، الآية: 52.

الخطوط الآرامية

أقدم نقوش فينيقية وجدت من القرن 11 ق.م.، ومن الخط الفينيقي⁽¹⁾ اشتق الخط الآرامي الذي سمي بالعبري القديم حوالي القرن 8 ق.م.؛ وهو الذي تبنته الإمبراطورية الإخمينية ونشرته في أراضيها، ثم بدأ منذ القرن 3 ق.م. يظهر خط جديد اشتق من الآرامي القديم عرف في البتراء بالنبطي وبالتدمري نسبة لاستعماله في مملكة تدمر العربية، وظهر كذلك في الحيرة بالعراق على مقربة من الكوفة، وقد نسبته أهل الحيرة إلى بني إباد الذين كانوا يقيمون في بادية الشام غرب الفرات، ومن هذا الخط اشتق الكوفي العربي وسابقاً ما سمي بالآرامي المربع أو العبري الجديد. ثم كان منه ما عرف فيما بعد بخط الجزم وهو نبطي ممشوق أي متصل، وكان مستعملاً في صدر الإسلام وبه كتبت المصاحف الأولى والرسائل النبوية. وفي العصر الأموي تمت إضافة حركات الإعراب والنقط تسهيلاً لغير العرب لقراءة القرآن الكريم على الشكل الصحيح عرف بالموزون في مرحلة ما قبل المرحلة الكوفية وصولاً لاحقاً لتكوينات الخط العربي المنسوب المعاصر⁽²⁾.

التوراة والتحريف

جاء في القرآن الكريم:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾⁽³⁾.
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾⁽⁴⁾.

يرى ابن عباس وابن منبه والبخاري وابن تيمية بالفتاوى أن التحريف طاول المعنى أما اللفظ فهو محفوظ. وهناك بالتراث اليهودي أن النصوص الأصلية للتوراة كانت مكتوبة بخط مغاير (غير معروف، ويدّعي السامريون بأنه الآرامي القديم - الفينيقي، وعندني أنه الزبور) ثم قام العزيز ببابل بنقلها إلى خط آخر هو الآرامي القديم المشابه للفينيقي وبه كتبت لفائف البحر الميت التي وجدت بقمران ثم نقلت للآرامي المربع بعد القرن 3 ق.م. وبعد السبي الكلداني لم تعد اللغة الأصلية محكية في جالية العراق ولا فلسطين فيما بعد، فعمل الملك بطليموس

(1) The Book of Hebrew script, p: 7

(2) أبجدية القرآن من مملكة سبأ، ص: 201.

(3) سورة النساء، الآية: 46.

(4) سورة المائدة، الآية: 13.

بالاسكندرية لترجمة النصوص لليونانية بالقرن 3 ق.م. ثم عكف علماء النصوص المأثورة (الماسورة بقراءتهم!) من يهود طبرية على دراسة النصوص العبرية الأصلية ومحاولة ضبط وتسهيل قراءتها، واستمروا في ذلك من القرن السادس إلى العاشر الميلادي، لكن كانت النتيجة أنهم صاروا ينطقونها على غير حقيقتها الأصلية (لياً بالسنتهم بصيغة القرآن)، فضاعت دقة الأسماء مع الجغرافيا الأصلية والأنساب.

أقدم مخطوطة توراتية كاملة وصلتنا بالآرامي المربع هي النسخة الحلبية، التي كتبت في فلسطين في القرن العاشر الميلادي وأحرق جزء منها في احتجاجات حلب ضد اليهود في العام 1947. وضعت قواعد الكتابة والإملاء بهذا الخط في أندلس القرن 11 الميلادي على يد الأديب اليهودي الشهير ابن ميمون، واستمروا بعده في تطوير الشكل والتنقيط قروناً عدة. وقد لا يعرف الكثيرون بأن التلمود الفلسطيني في القرن الخامس للميلاد والتلمود البابلي في القرن السادس للميلاد قد كتبت جميعها بالخط الآرامي القديم وليس بالعبري المربع، ناهيك عن دليل أكبر وهو النقوش على العملات المعدنية اليهودية المتداولة التي ظلت تضرب بالآرامية - الفينيقية حتى القرن الثاني الميلادي إبان الحكم الروماني لفلسطين. ولو كان الحرف العبري المربع هو الخط القومي لليهود لكان من الطبيعي أن تبناه دولة اليهود الأحرار التي قادها شمعون بن كوكبا للاستقلال عن روما في العام 133م، لكن الأمر لم يكن كذلك. وفي القرن الـ19 ميلادي عادت الحركة الصهيونية فأحيت اللغة القديمة وهذا الخط الذي كان مقتصرأً على النصوص الدينية من قبل. ومن المفارقات الغربية أن أغلب اللقى الأثرية التي حملت الحروف الآرامية المربعة وجدت ببلاد الأنباط العرب إما في الأردن (البتراء) وإما سوريا (تدمر) وليس في فلسطين. وهذه الحروف أشبه ما تكون بالحرف العربي الكوفي، إذ يكفي لمن يستطيع أن يقرأ العربية أن يتصور الخط الكوفي المربع غير منقط وبأحرف مقطعة غير موصولة، ولا يتبقى إلا قلب بعض الحروف العربية من الوضع الأفقي إلى العمودي وذلك بإدارتها 90 درجة بعكس اتجاه عقارب الساعة لتظهر أمامنا أوجه التطابق مع الكوفي:

أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت
א ב ג ד ה ו ז ח ט י כ ל מ נ ס ע פ צ ק ר ש ת

فبتدبر صور هذه الحروف والتأمل فيها سيكون بالمستطاع قراءة النصوص العبرية مع بعض التمرين. وسأعقب بنموذجين: واحد بالعبرية من سفر التكوين (الإصحاح 16) وآخر بالأرامية من سفر العزيز (الإصحاح 5)، ووضعتُ لهما دراستي الخاصة التي توضح بأنهما بالقراءة الصحيحة نصان عربيان مع الأخذ بالاعتبار أن أسلوبهما يعود إلى أكثر من 2500 سنة. ولغة كنانة (العبرية) هي لغتنا العربية نفسها تقريباً ولكن بأسلوبها القديم، وهو الأسلوب نفسه الذي استخدمه موسى (ع) في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، أما لغة القرآن فكانت بالأسلوب المبين بعده بألفي عام تقريباً؛ فلغة مضر لم تنضج إلا قبل قرنين فقط من مجيء الإسلام، وأرى أن معنى كلمة التوراة نفسها תורה قد يتوضح برد الكلمة إلى جذرها الثلاثي بعد حذف أحرف العلة ليصبح (ت ر ت)، فيحتمل أن يكون: التراث، وقد تكون التوراة الماسورة هي «التراث المأثور».

ما تركه موسى لبني إسرائيل، وإن سمي توراة ليس كله وحياً منزلاً! وبحسب ابن كثير فما أوحى إلى موسى هو فقط أسفار الشريعة وهي الممثلة بسفر اللاويين وبعض أجزاء الخروج والعدد والتثنية، أما باقي العهد القديم فهو من الصحف التي كتبت فيها وقائع التراث المأثور (التاريخ) الذي وصل إلى بني إسرائيل، والذي تلقاه موسى من الشيوخ الذين حفظوه كابراً عن كابر، ثم دونه وتركه في عهدة يوشع بن نون الذي زاد عليه⁽¹⁾، وكذلك فعل باقي الأنبياء والكتبة بعهد الملوك حتى حدوث السبي لبابل.

سأحاول محاكاة ما جرى بالقديم بإعطاء مثال حي من التاريخ المعاصر عن ماهية التحريف. نعرف جميعاً ما حدث في جمهورية تركيا بعد انتهاء الحقبة العثمانية من تغيير الخط المستعمل من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني؛ هذا هو التحريف بامتياز كما قصده القرآن لا أن نصوص التوراة تم تغييرها. لكن

(1) سفر يوشع، الإصحاح 24، الجملة: 26.

لو فرضنا أننا أخذنا مصحف الأتراك المدون بالحرف اللاتيني إلى أمريكا وطلبنا من أمريكي لم يسمع قراءة القرآن في حياته أن يقرأ النص فهل سيكون النص المسموع منه كما نعهده نحن معشر المسلمين من قراءات متواترة عن النبي (ص)؟ ثم تصوروا أن يأتي شخص أمريكي مسلم بعد 1500 سنة يعلم بأن الأصل لهذا النص لم يكن من تركيا بل من بلاد العرب ويخط مغاير لم يعد معروفاً! وأنه يود أن يعرف النطق الأصلي للكلمات والأسماء. وتخيلوا لا سمح الله بأن اللغة العربية قد انقرضت من الوجود ويحاول الأميركيون المسلمون إعادة إحيائها إنما باللفظ الذي تخيلوه عبر مئات السنين التي انقطعوا فيها عن أي قراءة عربية أصيلة، فكيف سيكون حال اللغة العربية الوليدة؟ هذا ما حدث بالفعل بالنسبة للتوراة العربية الأصل؛ ونستطيع العمل على استرداد الأصل العربي آخذين في الاعتبار التطور الطبيعي للغة في بيئتها الأصلية. والفائدة المادية المرجوة اليوم من محاولة استقراء النصوص الأولى قبل التحريف تفوق المرجوة من المثل الذي أعطيته لأن العهد القديم فيه معلومات قيمة جداً عن تاريخ وسكان الجزيرة العربية وخصوصاً الحجاز للفترة ما بين نوح ونبوخذ نصر الخلداني (الكلداني)، فهي كانت أرض حضارات لا مجرد صحاري وقفار.

العهد القديم هو بحق ديوان العرب المفقود؛ وقد أعثرنا الله عليه بفضلها، وها نحن نعمل على استخراج كنوزه من غياهب التاريخ. الجغرافيا لا تتغير، وبمعرفة اللغة الصحيحة للقراءة نستطيع إعادة كتابة تاريخ منطقتنا والإستدلال على أصول أكثر الأنساب والقبائل، خصوصاً بعد التخبط الذي بدأ يظهر من نتائج تحليل الأحماض النووية. هذا باب تم فتحه، وأتصوره مدخلاً للكثير من الأعمال التي ستليه؛ منها معه والكثير ضده، وأنا راض ومؤمن بآية ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾.

هذا الكتاب وهو الجزء الأول من البحث أسميته «التوراة الحجازية» (تاريخ الجزيرة المكنوز) يحتوي على شرح للنظرية عن عربية التوراة ككل مع تفصيل لجهة

(1) سورة الرعد، الآية: 17.

قصص الأنبياء والشعوب ومساكنها. يتبعه إن شاء الله الجزء الثاني الذي أسميته «صحف إبراهيم وموسى» ويتناول قراءة حرفية نصية لكل المواد غير التشريعية الدينية الواردة في أسفار التوراة الأربعة: تكوين، خروج، تعداد، تثنية. ثم هناك جزء ثالث أسميته «من الفتح حتى الجلاء» يستكمل قراءة النصوص الحرفية عن الحقبة التاريخية من يوشع بن نون حتى السبي البابلي للجزيرة العربية. الجزء الثاني والثالث للمهتمين أكثر بالتفاصيل لأنهما بالكامل على طريقة ثلاثية الأسطر لينظر المهتمون بطريقة كتابة النصوص القديمة وقراءتها في طريقة جديدة وميسرة، كما هما مهمان لجهة السير في طريق أبحاث مماثلة والنظر في أصول الجزيرة العربية والأنساب والتاريخ الجاهلي لجزيرة العرب وقد يتبع جزء رابع يكون معجماً للأسماء والأماكن بمفاهيمها الجديدة. وتالياً أورد مثالين على تقنية ثلاثية الأسطر غير المعروفة كثيراً في عالمنا العربي واحدة من نص عبري (تكوين 16)، والآخر آرامي (عزير 5) لأنه بالمثال تتوضح الصورة بشكل أفضل عن تفاصيل الجهد، وماهية الكتب القادمة:

1 - في السطر الأول: نقل حرفي من الرسم «العبري» لرسمنا العربي المعاصر.

2 - في السطر الثاني: القراءة «العربية» للسطر الأول.

3 - في السطر الثالث: المعنى المتعارف عليه بكل الترجمات.

مقاربة بين خط نسخي وكوفي وعبري:

زرع ورش درج ورد

زرع ورش درج ورد

زرع ورش درج ورد

زر دارود إن أردت ورودا زادوك ودا إن رأوك ودودا

زر دارود إن أردت ورودا زادوك ودا إن رأوك ودودا

زر در ودا ان اودت وروذ زدور ودا ان راوچ ودود

قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية تكوين 16 (عبري)

1- وشرى عشة بـرم لـى لده لـو وله شـفـحـ مـصـرى ة وشمـ وجر
وثرى⁽¹⁾ أنيسة أبرام⁽²⁾ لا ولدت له ولها سافحة مصرية واسمها هاجر
وسارة أنثى أبرام ما ولدت له ولها جارية مصرية واسمها هاجر

2- وتـمـر شـرى لـبـرم مـنـنـ عـصـرى
وتامر ثرى إلى - أبرام: هنا عصري
وتامر سارة إلى أبرام: هوذا عصري

ى وهـ مـلـدت بـنـ لـشـفـحـتـى
«هو!» ما ولدت! بوان إلى - سافحتي
«الله!» ما ولدت! بوان إلى جاريتي

ولى عوالي مـنـ مـنـ وى شمـع بـرم لـقـول شـرى
رجائي منها . وسمع أبرام لقول ثرى
سارة منها . وسمع أبرام لقول سارة

3- وتـقـحـو شـرى عشة - بـرم مـصـرى ة شـفـحـتـه
وتلقح ثرى أنيسة - أبرام مصرية سافحتها
وسارة أنثى أبرام ذات هاجر مصرية جاريتها

مـقـصـ عـشـر شـنـى مـ لـشـبـتـ بـرم بـرـصـ لـكـنـعـن
من قضا عشر سنين لثبات أبرام بأرض كنانة
من قضا عشر سنين لثبات أبرام بأرض كنانة

وتـنـ لـبـرم لـشـى شـ لـو لـشـه
وتوئين لأبرام أنيسها له لـشـه
وتعطي لإبرام إياها زوجها له زوجة

(1) سارة كان اسمها ثرى ثم ثريا، سارة قراءة قديمة تقديرية.

(2) أبرام الاسم القديم لإبراهيم ثم تغير لأبراهم أو إبراهيم.

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية تكوين 16 (عبري)

1- وشرى عشة بـرم له يلد له لو وله شـفح مـصري ة وشم هـجر
وثرى⁽¹⁾ أنيسة أبرام⁽²⁾ لا ولدت له ولها سافحة مصرية واسمها هاجر
وسارة أنثى أبرام ما ولدت له ولها جارية مصرية واسمها هاجر

2- وتـمـر شـرى لـبـرم هـنـهـنـه عـصـري
وتامر ثرى إلى - أبرام: هنا عـصـري
وتامر سارة إلى أبرام: هوذا عـصـري

يـوهـه مـلـدت بـهـنـه لـشـفـح تـي
«هو!» ما ولدت! بوان إلى - سافحتي
«الله!» ما ولدت! بوان إلى جاريتي

هـولـى هـبـنـه مـمـنـه وى شم ع بـرم لـقـول شـرى
حوالي أبني منها . وسمع أبرام لـقـول ثرى
رجائي أتبنى منها . وسمع أبرام لـقـول سارة

3- وتـقـح وتلقح شـرى عشة - بـرم ة- هـجر مـصري ة شـفـح تـي
وتلقح ثرى أنيسة - أبرام آية - هاجر مصرية
وتلقح سارة أنثى أبرام ذات هاجر مصرية

مـقـص عـشـر شـنـى م لـشـبـت بـرم بـهـر ص
من قضا عشر سنين لثبات أبرام بـهـر ص
من قضاء عشر سنين لثبات أبرام بـهـر ص
كـنـعـن كـنـعـن كـنـعـن

وتـنـوتـن لـبـرم يـشـه لـو لـه شـه
وتوئين لأبرام أنيسها له أنثى
وتعطي إياها لأبرام زوجها له زوجة

(1) سارة كان اسمها ثرى ثم ثريا، سارة قراءة قديمة تقديرية.

(2) أبرام الاسم القديم لإبراهيم ثم تغير لأبراهم أو إبراهيم.

4- وى بـ	ءل-هجر	وثر	وثرء	كى	وثرء	وتقل	ج ب ر تء	ب ع ى ن ىء
ويوا	إلى-هاجر ونهر	وثرى	وثرى	كون	هات	وتقل	كبرتءا	بعينها
ويوا	إلى هاجر وتحمل	وثرى	وثرى	كون	حملت	وتقل	سبلتها	بعينها

5- وثرءم ر	شرى	ءل-ءبرم	ح م م ى	ع ل ى ك
ونامر	ثرى	إلى-أبرام	حممى	عليك
ونامر	سارء	إلى أبرام:	فوراني	عليك

ءن كى	ن ت ت ى	ش ف ح ت ى	ب ح ى ق ك
أكون	نطيت	سافحتى	بحوقك
أكون	وضعت	جارتى	بمحيطك

وثرء	كى	وثرء	وثرء	ب ع ى ن ىء
وثرى	كون	هات	وأقل	بعينها!
وثرى	كون	حملت	فاقل	بعينها!

ى ش ف ط	ى ء وء	ب ى ن ى	وب ى ن ك
بسط	«هو»	يبنى	وبينك
بصطفى	«الله»	يبنى	وبينك
6- وىءم ر	ء ب رم	ءل-شرى	ءنء
وأمر	أبرام	إلى-ثرى:	هنا
فقال	أبرام	إلى سارء	هنا

ب ى د ك	ع ش ى-لء	ء ط و ب	ب ع ى ن ى ك
بيدك	غشي-لها	الطيب	بعينك
بيدك	إصنمى لها	الطيب	بعينك

وثرءنء	شرى	وثر ب ر ح	م ف ن ىء
وتعنءا	ثرى	وتبارح	من فئانها
فأعتتها	سارء	وتبارح	من وجهها

7- وى م صءء	م لء ك	ى ء وء	ع ل-ع ى ن	م ى م
وامساها	ملاك	«هو»	على مين	الماين
ووجلها	ملاك	«الله»	على مين	الماء

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

ب م د ب ر ع ل - ه ع ي ن ب د ر ك ش و ر
بمدى بر ؛ على - العين بطريق شرى
ببرية ؛ على - العين بطريق شرى

8- وى م ر ه ج ر ش ف ح ع ش رى ش و ر
وأمر: هاجر سافحة ثرى شرى
وأمر: هاجر جارية سارة شرى

و ت م ر م ف ن ي ش رى ج ب ر ت ي ن ك ي ب ر ح ت
وتأمر: من فناء ثرى كبيرتي أكون بارحت
وتقول: من وجه سارة سيدتي كنت بارحت

9- وى م ر ل ه م ل ء ك ي ه و ه ش و ب ي ل - ج ب ر ت ك
وأمر لها ملاك : «هو» ثوبي إلى - كبيرتك
وأمر لها ملاك : «الله» ثوبي إلى سيدتك

و ه ت ع ن ي ت ح ت ي د ي ه
واتعني تحت يديها
واحتني تحت يديها

10 - وى م ر ل ه م ل ء ك ي ه و ه ر ب ه ر ب ه
وأمر لها ملاك : «هو» الربا أربي
وأمر لها ملاك : «الله» الربا أربي

ه - ز ر ع ك و ل ه ي س ف ر م ر ب
آية - زرعك ولا يسفر من الربا
عديد زرعك فلا يسفر من الربا

11 - وى م ر ل ه م ل ء ك ي ه و ه ن ك ه ر ه
وأمر لها ملاك : «هو» إنك هارة
وأمر لها ملاك : «الله» إنك حامل

وى ل دة ب ن و ق ر ة ش م و ي ش م ع ل
ووالدة بن وقارة شرمو اسمعيل
ووالدة ابناً وداحية اسمه اسمعيل

منهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة

ك ي - ش م ع	ي ه و ه	ل - ع ن ي ك
كون سمع	هو	إلى عناك
كون سمع	الله	إلى عنائك
12 - و ه و ه	ي ه ي ه	ف ر ه
وهو	يهي	فراء
وهو	يأتي	حاذق
وي د	ك ل	و ع ل - ف ن ي
ويد	كل	وعلى فناء
ويد	الكل	وعلى وجه
13 - و ت ق ر ه	ش م - ي ه و ه	ه د ب ر
وتقرأ	اسم - هو	المداير
وتدعو	اسم الله	المحاور
ه ل ر ه ي	ك ي	ه م ر ه
أل رائي	كون	أمرت
البصير	كون	قالت
ر ه ي ت ي	ع ح ر ي	ر ه ي
رؤيتي	آخري	رائي
رؤيتي	خلقي	ناظري
14 - ع ل - ك ن	ق ر ه	ل ب ه ر
على - كنهه	قري	لبشر
على كنهه	دعي	لبشر
ه ن ه	ب ي ن - ق د ش	ب ه ر
هنا	بين - قادس	برود
هنا	بين قادس ⁽¹⁾	البرود ⁽²⁾

(1) قادس: من أسماء مكة.

(2) ماء البرود: آخر محطة على درب زبيدة قبل الوصول لمكة.

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

15 - وتلد	هجر	لء بوم	بن	وى قرد
وتلد	هاجر	لأبرام	بن	وقرا
وتلد	هاجر	لأبرام	إسئ	ودها
ء بوم	شم - بن و	ء ش و - ى ل وء	هجر	ى شم ع ل
أبرام	اسم - ابنة	الصار - ولدت	هاجرة	سماع ال
أبرم	إسم ابنة	الذي ولدت	هاجرة	اسماعيل
16 - وء بوم	بن - شم ن ى م	ش ن ء	وش ش	ش ن ى م
وأبرام	بن - ثمانين	سنة	وست	سنين
وأبرام	ابن ثمانين	سنة	وست	سنين
ب ل وء - هجر	ء - ى شم ع ل	لء بوم		
بولادة - هاجر	آبة - اسماعيل	لأبرام		
بولادة هاجر	قات إسماعيل	لأبرام		

قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية عزيز - 5 (آرامي)

1- وه ت ن ب ي	ح ج ي	ن ب ي	و ز ك ر ي
واتبا	حجي	النبي	و ز ك ر ي
وتبا	حجي	النبي	و ز ك ر ي
ب ر - ع د و	ن ب ي	ع ل - ي ه و د ي	ب ي ه و د
بر عدوة	نباي	على الهودي - ال	ذي
بن عدوة	نبوءات	على اليهودي	الذي
و ب ر و ش ل م	ب ش م	ل ه	ع ل ي ه و ن
و يعرى السلام	بسم	إله	عليهم
و يعرى السلام	باسم	إله	عليهم
2- ب ه د ي ن	ق م و	ز ر ب ب ل	ب ر - ش ل ت ي ل
بإذ	قاما	ذر بابل	بر سؤلة إل
عندئذ	قام	ذر بابل	بن سؤلة الله
و ي ش و ع	ب ر - ي و ص د ق	و ش ر ي و	ل م ب ن ه
ويشوع	بر صادق	وساروا	لمبنى
ويسوع	بن صادق	وسارا	لبناء
ل ه	د ي	ب ي ر و ش ل م	ن ب ي
الله ال	ذي	يعرى السلام	نيثو
الله	الذي	يعرى السلام	نيبو
د ي	ل ه	م س ع د ي ن	ل ه و ن
في	الإله	مساعدين	لهن
في	الإله	مساعدين	لهم
3- ب ه	ز م ن	ع ل ي ه و ن	ت ت ن ي
بها	الزمان	عليهم	ثاني
بلك	الزمان	عليهم	ثاني
و ش ت ر	ب و ز ن ي	و ك ن و ت ه و ن	
والشاطر	بوزني	وقنوتهم	
والشاطر	بوزني	وأسلاكهم	

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

وكن	مري ن	لهم	من	شم	لكم	طعم
وكنه	أمران	لهم:	من	من	لكم	دعم
وكنه	أمر	لهم:	من	شرع	لكم	ترميم
بى ت	دن	لبن	وشرن	دن	لشك ل	لشك ل
بيت	ذان	للبن	والسوران	ذينة	لشكها	لشكها
بيت	هذا	للبن	والأسوار	هؤلاء	لشديدها	لشديدها
4-دى ن	كنم	مري ن	لهم	من	نون	شم
إذ	كمان	أمرنا	لهم	من	آنا	سميات
عندئذ	أيضاً	طلبنا	لهم	من	فورنا	أسماء
جبرى	دى	دن	بنى ن	بنى ن	بنى ن	بنى ن
كبرا	ذي	ذينة	البيان	البيان	باتيين	باتيين
كبراء	الذين	ذاك	البيان	البيان	يينون	يينون
5-وعى ن	لهم	هوت	ع-ل-شربى	ى-ودى	ول	ول
وعين	اللاه	هيت	على شيا	الهودية	ولا	ولا
وعين	اللاه	أنت	على شيوخ	اليهود	ولا	ولا
بطلو	م و	عد-طعم	لدرى وش	ى-ك	ى-ك	ى-ك
بطلوهم		حتى ظاعناً	لداريوس	يحق	يحق	يحق
أوقفوهم		حتى مبعوثاً	لداريوس	يأتي	يأتي	يأتي
وءدى ن	ىتى بون	نشرت ون	ع-ل-دن	على ذينة	على ذاك	على ذاك
وإذ	يشيون	نشدان	على ذينة	على ذينة	على ذاك	على ذاك
وعندئذ	يشيون	مناشدة	على ذاك	على ذاك	على ذاك	على ذاك
6-فرشجن	عجرت	دى	شراح	تتنى	فحة	عبر-ن-و
فرقان	الجريدة ال	ذي	سلخ	ثاني	فاقد	عبر النهر
فحوى	الرسالة	الذي	أسلك	ثاني	مفتش	عبر النهر
وشرر	بوزنى	وكنوت	وكنوت	وكنوت	وكنوت	وكنوت
والشاطر	بوزني	وقناته	وقناته	وقناته	وقناته	وقناته
والشاطر	بوزني	وأسلاكه	وأسلاكه	وأسلاكه	وأسلاكه	وأسلاكه

منهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة

م لك	ع ل - درى وش	ن ه ر	ب ع ب ر	دى	ف ر س ك ي
الملك	على داريوس	النهر	بعب	ذي	الفرازي
الملك	على داريوس	النهر	بعب	الذي	الفرازة

ب ج و	ك ت ي ب	و ك د ن	ع ل و ه ي	ش ل ح و	7- ف ت ج م
بجواها:	كُتِب	وكذبة	عليه	سلخوا	فتق ان ا
بداخلها:	كتب	وهكذا	عليه	أسلكوا	جواب

ل درى وش	م لك	ش ل م	ك ل
لداريوس	ملكي	السلام	الكلي
لداريوس	ملكي	السلام	الكلي

ل ي ه و د	ز ل ن	دى	ل م لك	ل ه و	8- ي دى ع
لهوة	أنزلنا	ذي	لملك ال	له ا	يذاع
لهوة	أنزلنا	الذي	الملك	له	يلغ

م ت ب ن	و ه و	ر ب	ل ه	ل ب ي ت	م دى ن ت
متبنى	وهو إل	رب	الإله ال	بيت	مدينة ا
المتبنى	وهو	الرب	الإله	البيت	مدينة

د ك	و ع ب ي د ت	ب ك ت ل ي	م ت ش م	و ع	ج ل ل	ب ن
ذلك	وعبادة	بالكتل	متوشم	ووعا	جليلة	البان
تلك	وعمل	بالكتل	موضوع	وخشب	جليلة	بأحجار

ب ي د م	و م ص ل ح	م ت ع ب د	م ف ر ن
بيدهم	ومنصلح	متعبدة	الزفران
بيدهم	وصالحة	المشغولة	الأحراف

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

9-ءدى ن	شء ل نء	ل ش بىء	ل ك	ك ن مء	م ر نء
إذ	سألنا	للشباب	أولاك	كمان	أمرنا
عندئذ	سألنا	للشيوخ	أولئك	أيضاً	قلنا

لء م	م ن	ش م	ل ك م	ط ع م	بى تء	د نء
لهم:	من	سن	لكم	دعم	بيت	ذين
لهم:	من	شرع	لكم	ترميم	البيت	ذاك

ل م ب نىء	وء ش ر نء	د نء	ل ش ك ل لء
المبنى	والسوران	ذينة	لشكها
المبنى	والأسوار	هذه	لشدها

10-وء ف	ش م ء تء م	شء ل نء	لء م	لء و د ع و ت ك	كى
وواقى	سمياتهم	سألنا	لهم	لأوزاعتك	كى
وكامل	أسمائهم	سألنا	لهم	لإعلامك	كى

ن ك ت ب	ش م	ج ب رىء	دى	ب رء شى هم
نكتب	اسم	كبار	ذى	برأسهم
نكتب	اسم	كبار	الذين	برأسهم

11-و ك ن مء	ف ت ج مء	ء تى ب و نء	ل م م ر	ء ن ت نء	مء و
وكمان	فتان	إثابوني	الأمر:	أنتم	هم
وكمان	جواب	إثابوني	الأمر:	أنتم	هم

ع ب دى وءى	دى	لء	ش مىء	وء ر عء
عباده	فا	إله	السما	والرعايا
عباده	فا	إله	السما	والرعايا

و ب نى ن	بى تء	دى	وء	ب نء	م ق د مء	د نء	ش نى ن	ش ر جى نء
ويانون	بيت	ذى	هو	بنى	من قديمة	فهن	سئون	شجطين
ويانون	البيت	الذي	هو	بنى	من قديم	فا	سئون	معتلة

و م ل ك	ل ش رء ل	و ب	ب نءى	و ش ك ل لء
وملك	لإسرائيل	و ب	بناء	وشكته
وملك	لإسرائيل	كبير	بناء	وزيته

منهج البحث عبر المخطوط العربية القديمة

12- ل ه ن	م ن	دي	رج زر	ب ه ت ن	ل ه ل	ش م ي	ي ه ب	م و
لحين لوقت	من ان	ذا	ارجزوا اذنب	ابهاتنا اباونا	لاله لاله	السماء السماء	ومهم دفعهم	

ب ي د	ن ب و ك د ن ص ر	م ل ك - ب ب ل
بيد	نبوقد	ملك بابل
بيد	نبوقد	ملك بابل

ك س د ه	وب ي ت ه	د ن ه	س ت ر ه	و ع م ه	ه ج ل ي	ل ب ب ل
جسد	وايت	ذين	ستر	وعمه	اجلى	لبابل
جديس	والبيت	هذا	غيب	وقومه	اجلى	لبابل

13- ب ر م	ب ش ن ه	ح د ه	ل ك و ر ش	م ل ك ه	دي ب ب ل	ك و ر ش
برم	بسنة	حد	لكورش	ملك ا	دي ببابل	كورش
دار	بسنة	واحد	لكورش	ملك	الذي ببابل	كورش

م ل ك ه	ش م	ط ع م	ب ي ت - ل ه	د ن ه	ل ب ن ه
الملك ا	سن	دعم	بيت الله	ذينة	للبناء
الملك	شرع	تدعيم	بيت الله	هذا	للبناء

14- و ه ف	م ن ي ه	دي - ب ي ت - ل ه	دي	د ه ب ه	و ك س ف ه
ووافي	من آتبه	الذي بيت -	ذي	ذهب	وكسف
وكامل	من الآتية	التي بيت	التي	ذهب	وفضة

دي	ن ب و ك د ن ص ر	ه ن ف ق	م ن - ه ي ك ل ه	دي
الذي	نبوقد نصر	إنفق	من الهيكل ا	دي
التي	نبوقد نصر	صرف	من الهيكل	الذي

ب ي ر و ش ل م	و ه ي ب ل	م و	ل ه ي ك ل ه	دي	ب ب ل
بعري السلام	وها بلهم		للهيكل ا	ذي	ببابل
بعري السلام	وجتمعهم		للهيكل	الذي	ببابل

ه ن ف ق	م و	ك و ر ش	م ل ك ه	م ن - ه ي ك ل ه	دي
إنفقهم		كورش	الملك	من هيكل ا	ذي
أنفقهم		كورش	الملك	من الهيكل	الذي

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

ب ب ل	و ي و ب و	ل ش ش ب ص ر	ش م و	د ي	ف ح و	ش م و
بيابل	ووب	لشيش	اسم	ال ذي	فاقد	ش م و
بيابل	ووب	لشيش	اسمه	الذي	مفتشاً	سنى سنى

15 - و م ر - ل و	م ن ي و	ش و	ز ل - و ح و	م و
وأمر له:	من الآنية	إشيع	أنزل - أحطهم	
وأمر له:	من الآنية	شيع	إنزل ضمهم	

ب و ي ك ل و	د ي	ب ي و ش ل م	و ب ي ت	ل و و	ي ت ب ن و
بهيكل إل	ذي	بعري السلام	وبيت	الله	يتبنى
باليكل	الذي	بعري السلام	وبيت	الله	يتبنى

ع ل - و ت ر و
على أثره
على مكانه

16 - و د ن ي	ش ش ب ص ر	د ك	و ت و	ي و ب	و ش ي و	د ي - ب ي ت
إذ	شيش بصر	ذاك	أتى	يهب	إسي إل	ذي بيت
عندئذ	شيش بصر	ذاك	أتى	يقدم	أسس	الذي بيت

ل و و	د ي	ب ي و ش ل م	و م ن - و د ن ي
الله إل	ذي	بعري السلام	ومن إذ
الله	الذي	بعري السلام	ومن وقتئذ

و ع د - ك ع ن	م ت ب ن و	و ل و	ش ل م
وحتى كحين	متبنى	ولا	سُلم
وحتى الآن	ينى	ولا	سُلم

17 - و ك ع ن	ع ل - م ل ك و	ط ب	ي ت ب ق ر	ب ب ي ت	ج ن ز ي و
وكحين إن	على الملك	طاب	ينبقر	بيت	كنز إل
والآن إن	على الملك	طاب	يبحث	بيت	الخزينة

د ي - م ل ك و	ت م و	د ي	ب ب ب ل	ه ن
ذي ملك إ	تام	ال ذي	بيابل	هنا
خاصة الملك	التام	الذي	بيابل	هنا

ن	ى ت ي	دى-م-ن-ك ورش	م لك	ش ي م	ط ع م	ل م ب ن
إن	أنى	ذى من كورش	ملك إ	سوام	دعم	لمبنى
إن	أنى	الذى من كورش	الملك	إذن	تدعيم	لمبنى

ب ي ت - ل ه	د ك	ب ي ر و ش ل م
بيت - الله إ	ذاك	بعرى السلام
بيت الله	الذي	بعرى السلام

ورع وة	م لك	ع ل - دن	ى ش ل ح	ع ل ي ن
ورعاية	الملك	على ذين	يسلخ	علينا
ورعاية	الملك	على هذا	يسلك	إلينا

خلاصة:

كتبت الأسفار بعصر الهيكل الأول بخط الزبور الذي هو الصيغة النسخية من خط المساند، ثم نقلت إلى الخط الآرامي القديم المشابه للفينيقي ببابل في أثناء فترة السبي الكلداني، ثم نقلت إلى الخط الآرامي الجديد المربع المشابه للخط النبطي بفلسطين في فترة الهيكل الثاني، وبقيت على ذلك حتى القرون الوسطى عندما اشتغل علماء المأثور على ضبط قراءتها. وقد استعملت الحركة الصهيونية نفس الخط الأخير في إعادة إحياء اللغة العبرية في القرن التاسع عشر ميلادي. فتعدد النقل من خط إلى آخر عبر آلاف السنين أدى إلى اختلاف في قراءة النصوص أضاعت دقة الأسماء العائدة للأماكن والأقوام بحيث صار من الصعب تمييز الأسماء الأصلية منها، وأوضح دليل على ما نقول هو سفر المزامير الذي هو كتاب شعري غنائي من الطراز الأول؛ إنما بنقله من خط لآخر أصبح خالياً من الأوزان والقوافي⁽¹⁾ وهو ما ليس مألوفاً في اللغات السامية!

(1) السنن القديم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر المزامير، المقدمة.

آدم والجنة الأرضية

في البدء كانت الكلمة،

وكانت الكلمة مع الله، وكانت الكلمة كلمة الله.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽¹⁾.

﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²⁾.

ليس ثمة تناقض بين نظرية داروين والنظرة القرآنية إلى الخلق. وإن خمسة بلايين سنة في عرفنا قد لا تساوي عند الله زمن كلمة كن، فالزمان والمكان هما مصطلحان إنسانيان للمعرفة وليس كذلك في عرف الله ضرورة.

وقد جاء في الذكر الحكيم:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾⁽³⁾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾⁽⁴⁾.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁽⁵⁾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة ياسين، الآية: 82.

(2) سورة آل عمران، الآية: 59.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 20.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 30.

(5) سورة نوح، الآية: 17.

(6) سورة النور، الآية: 45.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾⁽¹⁾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾⁽²⁾.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ
آخَرِينَ﴾⁽³⁾.

حلقة آدم هذه من أصعب الحلقات لأنها متعلقة ببداية التاريخ. هل بدأ التاريخ عند بداية الخلق أم عند بداية الجنس البشري أم عند بداية الأنسنة بنفخ الروح الإلهية فيه وتكريسه خليفة لله في الأرض؟ فخلق آدم من ماء وتراب أي طين ليس بالضرورة قد تم بثانية من توقيتنا نحن البشر. وبالنسبة إلى الله فقد تمت كلمته بأن خلق الكون وانتهى، وفي علم الله قامت القيامة ودخل أصحاب الجنة الجنة وأصحاب النار النار، ورجع الخلق كلهم إليه؛ فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، بينما ما زلنا نحن نشهد الأحداث يوماً بيوم وساعة بساعة لأننا ما زلنا في طور الوعي العقلي الخاضع للمكان والزمان في هذه الحياة الدنيا.

ما يهمنا أن الإنسان - ابن آدم انتقل من الجنة (مرحلة الجمع واللقط) إلى مرحلة الصيد ومن ثم إلى مرحلة الرعي (بتسخير الحيوانات له أو تدجينه لها لا فرق لأنه كله بأمر الله) ثم بانتقاله إلى الزراعة.

إذا سرنا في الأرض لنرى كيف بدأ الخلق ماذا نرى؟ لن ترينا الحفريات فحسب وجوداً للديناصورات التي يعود تاريخها إلى 100 مليون سنة بل سنرى أيضاً عظاماً لبشر تعود إلى مئات الآلاف من السنين. وأكثر ما يلفت النظر هو ازدياد حجم الجمجم ألف سنة مع سيطرة السلالة الأخيرة التي نسمي إليها (Homo sapiens).

ليس المجال هنا للتعمق في معطيات الأنثروبولوجيا ولكننا نذكر أن القرآن يشير إلى هذا التطور البشري بـ:

(1) سورة نوح، الآية: 14.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 12.

(3) سورة الأنعام، الآية: 133.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾⁽¹⁾.
 ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾⁽²⁾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا⁽²⁾.
 ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى﴾⁽³⁾.

والقرآن يشير إلى أن هناك بشر قبل آدم في قوله تعالى:
 ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^ط قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ^ط قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾.

لعلمهم بأنه قبل آدم كان هناك بشر يفسدون في الأرض ويسفكون فيها الدماء، وكذلك بالآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾.
 فهنا نص واضح بأن اصطفاء آدم على العالمين من البشر في زمانه كان بالوحي الإلهي له، وهو الأول في التاريخ البشري حسب ما علمنا الله.

جغرافية جنة آدم الأرضية

لم يتطرق القرآن الكريم إلى تفاصيل جغرافية حول جنة آدم الأرضية إلا:
 ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾⁽⁶⁾، فماذا جاء عنها بحسب التوراة؟
 جاء بسفر التكوين⁽⁷⁾ (وهو الأقرب ما يكون للتصور الإسلامي لصحف إبراهيم):
 وضع الله جنة عدن من قدوم أي شرق عدن وهي من أسماء عدة مواقع بجوار جبل شدا كما ذكر الدكتور أحمد بن سعيد قشاش بكتابه البحثي في التاريخ الجغرافي

(1) سورة المؤمنون، الآية: 12.

(2) سورة نوح، الآيتين: 13 و 14.

(3) سورة الشعراء، الآية: 184.

(4) سورة البقرة، الآية: 30.

(5) سورة آل عمران، الآية: 33.

(6) سورة طه، الآية: 118.

(7) سفر التكوين، الإصحاح 2، الجملة: 8.

للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة⁽¹⁾. فكان الجنة الأرضية كانت بشرق سراة الباحة، ومن السراة خرج نهر ليسقي الجنة، ومن ثم انفرز لأربعة رؤوس:

1 - (ف ي ش و ن): (بالفاء العبرية وبالباء اليونانية) بيشان (وادي بيشة بنجد عسير وصيغة الجمع هنا لوجود عدة بيشات: بيشة النخل والقمح وابن سالم وابن مشيط) المتلقي صيب كل أرض (ح و ي ل ه) حوالة (القبيلة الأزدية المعروفة) قرب الباحة، حيث ثم الذهب والبلدح (شجر الدوم) وحجر اليشم (الجزع).

2 - (ج ي ح و ن): (جوحان) المتلقي صيب (ك و ش) هنا جاش / أرض الغوث، وجوحان واد وقرية مسكونة إلى اليوم بالقرب من أبها، فالمقصود هنا وادي تثليث.

3 - (ح د ق ل) حجدل بللحمر الوالج شرق (ء ش و ر) أثور بشرق عسير، من أودية بيشة أيضاً.

4 - (ف ر ت): ثراد (كما أخبرني ناس من أهل الباحة لأنه في لهجة محلية هناك ترادف بين الفاء والثاء كما جاء بالقرآن الكريم كلمة فومها بدل ثومها). وثراد من أهم فروع وادي رنية ويمر قرب عقيق الباحة.

نعرف قصة الشجرة المحرمة ومن ثم إبعادهما عن الجنة، فإلى أين كان المنفى القصاص:

أبعد آدم شرقاً⁽²⁾ لأرض القحط، وتم إسكان كروبيين من ذوي الحراب المعقوفة إلى الشرق من عدن لحراسة طريق شجرة الحياة (للحيلولة دون عودة آدم إليها).

وبعد قتل لحابل تم إبعاد قنا لأرض نود⁽³⁾ (نيد وهي نجد بلهجة أهل السراة)

(1) أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة د. أحمد بن سعيد قشاش طبعة مؤسسة الانتشار العربي 2018.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 3، الجملة: 24.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 4، الجملة: 16.

للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة⁽¹⁾. فكأن الجنة الأرضية كانت بشرق سراة الباحة، ومن السراة خرج نهر ليسقي الجنة، ومن ثم انفرز لأربعة رؤوس:

1 - (ف ي ش و ن): (بالفاء العبرية وبالباء اليونانية) بيشان (وادي بيشة بنجد عسير وصيغة الجمع هنا لوجود عدة بيشات: بيشة النخل والقمح وابن سالم وابن مشيط) المتلقي صبيب كل أرض (ح و ي ل ه) حوالة (القبيلة الأزدية المعروفة) قرب الباحة، حيث ثم الذهب والبلدح (شجر الدوم) وحجر اليشم (الجزع).

2 - (ج ي ح و ن): (جوحان) المتلقي صبيب (ك و ش) هنا جاش / أرض الغوث، وجوحان واد وقرية مسكونة إلى اليوم بالقرب من أبها، فالمقصود هنا وادي تثليث.

3 - (ح د ق ل) حجدل بللحمر الوالج شرق (ء ش و ر) أثور بشرق عسير، من أودية بيشة أيضاً.

4 - (ف ر ت): ثراد (كما أخبرني ناس من أهل الباحة لأنه في لهجة محلية هناك ترادف بين الفاء والثاء كما جاء بالقرآن الكريم كلمة فومها بدل ثومها). وثراد من أهم فروع وادي رنية ويمر قرب عقيق الباحة.

نعرف قصة الشجرة المحرمة ومن ثم إبعادهما عن الجنة، فإلى أين كان المنفى القصاص:

أبعد آدم شرقاً⁽²⁾ لأرض القحط، وتم إسكان كروبيين من ذوي الحراب المعقوفة إلى الشرق من عدن لحراسة طريق شجرة الحياة (للحيلولة دون عودة آدم إليها).

وبعد قتل قنا لحابل تم إبعاد قنا لأرض نود⁽³⁾ (نيد وهي نجد بلهجة أهل السراة)

(1) أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة د. أحمد بن سعيد قشاش طبعة مؤسسة الانتشار العربي 2018.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 3، الجملة: 24.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 4، الجملة: 16.

ثم إن الله عوّض (ح و هـ) (حواء⁽¹⁾) أي الحاوية؛ قيل سميت كذلك لأنها كانت أم كل نفس حية) عن حابل فولدت شى ت (شاد أو شدا).

وابن شيت (أو شدا) كان اسمه الناس، وقيل إنه بزمانه «بدأ القرء» (أي الدعوة) بسم الله!

هنا يجب أن نتوقف عند هذه الكلمة «القرء أو القراءة»: لأن هذه الكلمة استعملها جبريل مع نبينا المصطفى (ص) بادئ الأمر عندما قال له: اقرأ! فجعل منها المفسرون أنها حث من الدين على العلم والقراءة بينما الأمر لم يكن كذلك لأن جبريل كان يعلم أميته (ص)، ولو كان الأمر كذلك لم يذهب (ص) إلى ورقة بن نوفل العالم باللغات القديمة: والذي كان بمثابة ترجمان مكة. وبالفعل فهم ورقة على الفور بأن الأمر كان الدعوة لله وليس القراءة، وأن محمداً نبي ذاك الزمان، وأن الذي جاءه كان الناموس الأكبر الذي نزل على موسى (ع).

ثم نجد ذرية (شى ت) (ويشبه الاسم شدا) بن آدم⁽²⁾:
الناس الذي ولد قنان (ويشبه الاسم قنا وقنونا) الذي ولد
م ه ل ل (ويشبه الاسم محایل تهامة) الذي ولد
ى رد (ويشبه الاسم عارض العرضية) الذي ولد
ح ن و ك وفي نسخة (ح ن و ح) (ويشبه الاسم حناحة بجيلة لاحقاً) الذي ولد
(م ت ص ل ح) الذي ولد
ل م ك (وهو اسم معروف بين الأزد الذين منهم آل اللمكي بعمان) الذي ولد
نوحاً (ع).

(1) سفر التكوين، الإصحاح 4، الجملة: 25.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 5، الجملة: 3.

في جغرافية طوفان نوح

مقدمة

إن مسحاً بسيطاً للتاريخ العتيق يبيّن لنا بأنه ليس هناك من مرويّات عن طوفان عام أو في أساطير كل من بلاد القبط والشام وإيران وأوروبا والصين؛ مما يحصر الموضوع بين الجزيرة العربية جنوباً والقوقاز شمالاً. لكن لو كان سام مع أبيه نوح (ع) في القوقاز فلماذا يترك تلك البلاد الخصيبة والمعتدلة المناخ ليذهب إلى الجزيرة العربية القاسية المناخ (منذ انتهاء العصر الجليدي الأخير)، والتي يُجمع الكل على أنها كانت مهد السامية!

مرويّات بلاد الرافدين

أقدم ما دوّن حول طوفان كبير كان في نص تومال من موقع نيبور السومري؛ حيث تذكر السجلات الملكية أسماء ثمانية ملوك قبل الطوفان، وأن الملوكية نزلت من السماء في مدينة أريدو، ثم جاء الطوفان فقضى على البشر ولم ينج إلا البطل أوتنابشتيم الذي بنى سفينة له ولعائلته، ثم حلت الملوكية بمدن كيش قرب بابل.

أهم مكتبة وجدت بالشرق كانت لأثور بانيبال الملك الآثوري وقد جمعها إبان حكمه ما بين 668 و633 ق.م؛ واكتشفت في 1853 من قبل هرمرز رسام. في هذه المكتبة ملحمتان للأبطال جلجامش وأترهة وكلّ منهما تتكلم عن طوفان هائل دفع الأبطال لبناء سفينة كانت السبب في نجاتهم ونجاة عائلاتهم. ولا نعلم على وجه

التحديد إن كانت الملحمتان هنا قد تأثرتا بأساطير سومر أم أنهما جاءتا مع البابليين الأوائل من الجزيرة العربية!

طوفان نوح (ع) في التراث العربي الاسلامي

لن أذكر مرويّات مفسّري القرآن لأنهم تأثروا إلى حد بعيد بالإسرائيليات، وسأعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومدوّنات أهل الأخبار العرب لتبيان ما في تراثنا من معلومات عن هذا الموضوع التاريخي الموغل في القدم. نبي الله نوح هو ابن لمك بن متصالح بن حنوك بن عارض بن محايل بن قنان بن الناس ابن شدا بن آدم (ع) بحسب الرواية التوراتية التي اعتمدها المؤرخون عندنا نقلاً عن أهل الكتاب، وقد راعيت قراءة مختلفة للأسماء.

أين عاش نوح وقومه قبل الطوفان؟ حتى أهل الكتاب لا يعطون فكرة عن الموضوع. ابن الكلبي أورد في كتاب الأصنام أن اسم الطائف هو من طفا يطفو، وألمح إلى علاقة بين الاسم وطوفان نوح (ع)!

أما لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى في القرن العاشر الميلادي) فقد أورد خبر تنازع بني مذحج وبني ثقيف على الأحقية في أرض وج (الطائف) عند النبي (ص) وما قضى به فيها على رواية الشعبي الذي أورد أن ظبيان ابن كدادة المرادي، وهو من مذحج، ورد على النبي (ص) وهو في مسجده بالمدينة فسلم ثم قال: ،،،، إن وجأ وشرفات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قنان (بن الناس ابن شدا بن آدم)، غرسوا أوديته وذلّوا خشانه، ورعوا قريانه، فلما عصوا الرحمن هب عليهم الطوفان، فلم يبق منهم على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح،،،،، وقد وافقه خصمه الأسود بن مسعود بن مغيث الثقفي على هذا الشق من الكلام، مما يدل على أن العرب كانت لديها معلومات عن موطن قوم نوح قبل الطوفان، وبأنه على الأرجح كان في منطقة الطائف في الحجاز بالمملكة العربية السعودية، والجدير ذكره هنا أن النبي (ص) سمع هذا الكلام من كلا الطرفين ولم يعلق عليه بالنفي أو التكذيب! هل نستطيع التحقق من ذلك؟ وهل ذكر القرآن - وهو النص المنزل الذي كان بدون حال ورود الوحي ولم يختلف فيه - ما يؤيد هذا الكلام؟

التحديد إن كانت الملحمتان هنا قد تأثرتا بأساطير سومر أم أنهما جاءتا مع البابليين الأوائل من الجزيرة العربية!

طوفان نوح (ع) في التراث العربي الاسلامي

لن أذكر مرويات مفسري القرآن لأنهم تأثروا إلى حد بعيد بالإسرائيليات، وسأعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومدونات أهل الأخبار العرب لتبيان ما في تراثنا من معلومات عن هذا الموضوع التاريخي الموغل في القدم. نبي الله نوح هو ابن لمك بن متصالح بن حنوك بن عارض بن محایل بن قنان بن الناس ابن شدا بن آدم (ع) بحسب الرواية التوراتية التي اعتمدها المؤرخون عندنا نقلاً عن أهل الكتاب، وقد راعيت قراءة مختلفة للأسماء.

أين عاش نوح وقومه قبل الطوفان؟ حتى أهل الكتاب لا يعطون فكرة عن الموضوع. ابن الكلبي أورد في كتاب الأصنام أن اسم الطائف هو من طفا يطفو، وألمح إلى علاقة بين الاسم وطوفان نوح (ع)!

أما لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى في القرن العاشر الميلادي) فقد أورد خبر تنازع بني مذحج وبني ثقيف على الأحقية في أرض وج (الطائف) عند النبي (ص) وما قضى به فيها على رواية الشعبي الذي أورد أن ظبيان ابن كدادة المرادي، وهو من مذحج، ورد على النبي (ص) وهو في مسجده بالمدينة فسلم ثم قال: ،،،، إن وجاً وشرفات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قنان (بن الناس ابن شدا بن آدم)، غرسوا أوديته وذلّلوا خشانه، ورعوا قريانه، فلما عصوا الرحمن هب عليهم الطوفان، فلم يبق منهم على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح،،،،، وقد وافقه خصمه الأسود بن مسعود بن مغيث الثقفي على هذا الشق من الكلام، مما يدل على أن العرب كانت لديها معلومات عن موطن قوم نوح قبل الطوفان، وبأنه على الأرجح كان في منطقة الطائف في الحجاز بالمملكة العربية السعودية، والجدير ذكره هنا أن النبي (ص) سمع هذا الكلام من كلا الطرفين ولم يعلق عليه بالنفي أو التكذيب! هل نستطيع التحقق من ذلك؟ وهل ذكر القرآن - وهو النص المنزل الذي كان يدون حال ورود الوحي ولم يختلف فيه - ما يؤيد هذا الكلام؟

استعرضنا الآيات القرآنية التي وردت عن قصة نوح نرى بعض التفصيل عن أصنام قوم نوح الذين دعاهم لترك عبادتها:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُّهُ إِلَّا خَسَارًا ۖ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كُبَّارًا ۖ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۖ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ﴾⁽¹⁾.

وقد أورد الكلبي⁽²⁾ أن أصنام نوح إنما نحتت على عهد يارد بن مهلائيل بن قينان ابن أنوش بن شيث بن آدم وما زال أمرها يشتد حتى أدرك نوح، فبعثه الله نبياً، فدعاهم إلى الله، فعصوه وكذبوه؛ فأمره الله أن يصنع الفلك، ففرغ منها وركبها، فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها! وأهبط هذه الأصنام من جبل لوذ وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة ثم نصب الماء وبقيت على الشط فسفت عليها الريح حتى وارتها! وكان للكاهن الخزاعي عمرو ابن لحي رئي من الجن جاءه مرة وقال له: عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة! قال جير (هجرة)... والا إقامة! قال الرئي: ايت ضف (شاطئ) جدة تجد فيها أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادعو العرب إلى عبادتها تجب! فأتى شط جدة فاستشارها ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، وأجابته القبائل كلها، فدفع إلى كلب وداً حيث أقر بدومة الجندل، وإلى هذيل سواعاً، وهي أول من اتخذ الأصنام من ولد اسماعيل وغيرهم فكان لهم برهاط من أرض ينبع، وإلى مذحج وأهل جرش: يغوث وكان بأكمة في اليمن يقال لها مذحج، وإلى همدان يعوق فكان بقرية لهم يقال لها حيوان. وإلى حمير نسراً فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع، ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي (ص) فأمر بهدمها.

القرآن يؤكد أن هذه الأصنام كانت لقوم نوح، وبما أنها وجدت في مكان واحد وعلى شاطئ جدة؛ فلا نستبعد منطقياً أن يكون الطوفان قد نقلها من مرتفعات

(1) سورة نوح، الآيات: 21 - 24.

(2) كتاب الأصنام، الكلبي، ص: 9 - 11، و: 51 - 59.

الطائف عن طريق سيل وادي مر الظهران الذي يستمر كوادي فاطمة حتى يصب بالبحر الأحمر جنوب جدة.

مصير الفلك

وتتابع الآيات الكريمة:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ۖ⁽¹⁾

﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۖ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسِرَ ۖ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ ۖ﴾⁽²⁾

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ۖ قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۖ﴾⁽³⁾

وجاء في معجم معالم الحجاز⁽⁴⁾ بأنه قيل إن ابن نوح عندما قال ﴿سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ كان يعني موضعاً اسمه ركة، وهو أرفع الأراضي كلها، وقال أبو داود في كتاب الشهادات: ركة موضع بالطائف، ولعل المقصود بالجبل هنا جبل حضن.

لا يحدثنا القرآن عن طول فترة الطوفان، الذي توقف في نهاية الأمر:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ﴾⁽⁵⁾

(1) سورة هود، الآيات: 40 - 42.

(2) سورة القمر، الآيات: 10 - 14.

(3) سورة هود، الآيات: 41 - 43.

(4) معجم معالم الحجاز، الجزء 4، ص: 68.

(5) سورة هود، الآية: 44.

مسار الانحدار الجغرافي للمياه من سرة الحجاز يسير بحسب قانون الجاذبية؛ فمن المنطقي أن تسيل المياه شرقاً عبر عالية نجد فاليمامة وإقليم البحرين القديم وصولاً إلى الخليج العربي! ومن المنطقي أن يكون أول حاجز طبيعي تصطدم به سلسلة من الجبال العالية؛ وليس مثل جبل طويق الذي كان يسمى بعارض اليمامة ما يضاهيه في ذلك. ومن عند الدرعية بجانب جبل العارض يخرج درب الجودي بعد أن يقطعه من الغرب إلى الشرق ليسير شرقاً وصولاً إلى قرية جودة على أطراف منخفض حرض. وبتفصيل من صحف إبراهيم (ع) وهي سفر التكوين من التوراة نعلم أنه بعد أربعين يوماً من الطوفان رسا التابوت على جبل (ءررط)⁽¹⁾؛ الذي قد يكون مرتبطاً بوادي أراط الواقع تحت سفوح طويق الشرقية بمركز عودة سدير باليمامة 150 كيلاً شمال غرب الرياض. وبالنسبة إلى اسم أارات الأرمني فلا يعرف أحد أصل هذه التسمية! فلا الجغرافيون اليونان ولا الرومان أتوا على ذكرها، وأول ما ظهرت كانت على لسان موسى الحراني (of Chorene)، وقد أطلقها على المقاطعة الوسطى بأرمينيا، أما الجبل الذي يسميه الأوروبيون اليوم جبل أارات فالأرمن يسمونه جبل «ماسيس»، والأتراك يطلقون عليه اسم أغري - داغ (Agri - Dag)!

روى ابن عوف: قال رسول الله (ص): أربعة جبال من جبال الجنة، وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربع ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فما الأربع؟ قال: جبل أحد، يحبنا ونحبه، والطور: جبل من جبال الجنة، ولبنان: جبل من جبال الجنة، والجودي: جبل من جبال الجنة، لكن النبي (ص) توقف عن تحديد المكان.

فمن أراد البحث عن فلك نوح فلينتقل من عودة سدير ويدرس المنطقة ما بين البلدة القديمة التي بوادي سدير (المعروف قديماً بوادي الفقي) ووادي أراط وصولاً لجبل طويق المحاذي من الغرب. وأسطورة غيلان هناك على اسم (ع ي ل م) ابن شام / سام / ثام / تام ومنه ربما اشتقاق الثمامة وتميم.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 8، الجملة: 4.

ذرية نوح (ع)

هذه الأسماء⁽¹⁾ تبقى مفتوحة للتحقيق في ضوء البحث المستمر، وتعجب من قدم بعض الأسماء الحالية والتي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق:

1 - فيد (يافت) ومنه: شمر، مأجوج (شمال القوقاز)، ميدي، عينة، أنبيل، موسك، وتاراس، وربما تكون هذه أسماء لقبائل عربية لم تهتد إليها!

وينو شمر: عوشز، ورافد وتويجر

وينو عينة: الوجه، والأدارة، قطن، والدوام

2 - حمى (حام) ومنه: غوث ومصر وفودة وكثانة

وينو غوث: صهيب، حوالة، زبيد، ورغوان وميتن

وينو رغوان: سبأ وذى يزن (حمير)

وغوث ولد مراد، ومنه بنو صياد، وبلي

ومصر ولد الألوذين والعنان واللهيس والمفتاح (شمال اليمن)، والقرشاط وأهل كسلا (جنوب السودان) والشقريين. وكثانة ولد سعداً بكر، والحوثة واليامي وعمرو، والقرقاشي، والحافي وذا العرقي، والسائي والعرضي، والسعري، والحماتي، وكانت تخوم الكتاني من مساكن بني سعد جنوب الطائف إلى كراء وبني عمرو وصولاً إلى ظيان (بلاد زهران)، وتهامة للجائزة ولليث جنوباً.

3 - سمي / ثمام (سام): غيلان وثور، وعرب كسيد (قاسط أو جديس) ولوز وإرم

وإرم ولد: عاد وحایل وجاسر (تميم) وماشي

وعرب كسيد (قاسط أو جديس) ولد صالح، وصالح ولد غير

غير ولد فالج لأن على أيامه انقلبت الأرض، وقطن

وقطن (قحطان) ولد: المضاض، والسلف، وحضر موت، ووراح، وحضور،

وأوزال، وجديلة وعيل، والبومايل، وسبأ ويعفر وخولان وأيوب (اليوب) وكانت مساكنهم من المعخا حتى ظفار شرقاً.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 1.

خلاصة

الطوفان كان حدثاً محلياً في الجزيرة العربية، ولم يكن بالضرورة قد شمل المعمورة كافة:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً⁽¹⁾﴾
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ⁽²⁾﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ⁽³⁾﴾.

وبما أن رسالة نوح لم تكن عامة لجميع سكان الأرض بل مخصوصة بقومه، فإن الطوفان لم يشمل حكماً الأقوام الذين لم تبلغهم رسالته ولم يكذبوه. ويبدو أنه عاش في منطقة وادي وج (بالطائف) وأنه بنى طوفاً كبيراً من جذوع الأشجار المربوطة بالحبال (ذات ألواح ودر) ووضع فيه أهله وأزواجاً من حيواناته الأليفة، ومع شدة الطوفان (موج كالجبال) فقد كان تحت نظر العناية الإلهية (تجري بأعيننا) إلى أن توقف المطر الشديد الذي طال أمره، ومن ثم رست السفينة (التابوت) على جبل الجودي (باليمامة) حيث نزل الجميع إلى الأرض قرب بطن أراط بعودة سدير بالممامة، ومنها عادوا فانتشروا وأعمروا البلاد.

نبذة عن شريعة نوح

ورد في سورة الشورى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ⁽⁴⁾﴾.

فما هو التشريع الذي أنزل على نوح؟ ورد⁽⁵⁾ أن الله أحل كل النبات ولحم كل الدواب؛ على أن لا يؤكل بدمه! وأن النفس بالنفس، وكان عهد من الله أن لا يهلك البشر بطوفان تارة أخرى.

(1) سورة الفرقان، الآية: 37.

(2) سورة الأعراف، الآية: 64.

(3) سورة الصافات، الآية: 77.

(4) سورة الشورى، الآية: 13.

(5) سفر التكوين، الإصحاح 9، الجملة 3 وما بعدها.

هود (ع) وإرم

نبي الله هود (ع) ليس من أولي العزم من الرسل ولكن حقبة الزمنية ضرورية لفهم الفترة التاريخية بين نوح وإبراهيم (ع). بل إننا لا نستطيع فهم نشأة العبرانيين وبرز الكلدانيين دون معرفة هذه الحقبة. وأبدأ بمقدمة عن الأنساب، فقد جاء في العهد القديم⁽¹⁾ أن أبناء نوح كانوا ثلاثة:

سام (سمي/ثمام) و (حمي) حام وفيد (يافت)، وأن سمي أنجب:

غيلان، أثور، عرب كسيد (قاسط أو جديس)، لاوذ، وإرم

وإرم أنجب عاد وحایل وجاسر (تميم) وماشي

﴿وَإِذْ كُنَّا أَهْلًا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾.

والأحقاف جمع حقف وهي الرمال ولم يعين القرآن موقعها. صحيح أن بعض الإخباريين يقولون بأن موقعها بين حضرموت وعمان إلا أنه لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل الإسلام، ولعلها الربع الخالي الواصل لأطراف نجد الجنوبية. أما بلدة قبر النبي هود المعروفة إلى الشرق من سيئون في حضرموت فقد تكون مقاماً لذلك النبي العربي فحسب، لاسيما وأن القبر الحضرمي ما كان معروفاً على أيام الأزرق مؤرخ مكة بمنتصف القرن الهجري الثالث، وقد ذكر في كتابه «أخبار مكة» أن نبي الله هود (ع) مدفون في مكة!

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 1.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 21.

﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾⁽¹⁾.

﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

وهنا دليل تاريخي على أن هوداً يأتي في المرتبة الزمنية التالية بعد نوح وليس بينهما أي من الأنبياء المشهورين.

وكنا قد بينّا بأن فلك نوح قد رست على الجودي وهو العارض قرب بطن إراط بمركز عودة سدير، فكلمة خلفاء من بعد نوح تعني أنهم كانوا في الأرض نفسها في الإمامة. يقول المؤرخ العربي ابن خلدون بأنّ الخوالة النجديين هم رهط نبي الله هود، ويقول الهمداني بأنّ الخلود هم من عاد، ويقول المسعودي كذلك بأنّ بني خالد حي من جدیس.

التوراة العبرية التي بين أيدينا تستعمل اسم (ك ش د) كسيد (قاسط أو جدیس) بينما التوراة اليونانية التي قد تكون مترجمة عن نسخة أخرى تستعمل اسم كالد أو خالد للجماعة نفسها! فيبدو أن عاداً وجدیساً وبني خالد هم ذرية أصلها واحد وقد سكنوا الإمامة، وما زال بنو خالد فيها إلى يومنا هذا. ولا علاقة لبني خالد بالصحابي خالد بن الوليد (رض) الذي لم يترك ذرية معروفة بالتراث العربي.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۖ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۖ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۖ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾.

فهل كان بنجد مثل هذا الوصف للمصانع وهي القصور المبنية والجَنّات والعيون؟ نعم يحدثنا الهمداني بكتابه «صفة الجزيرة» فيصف ديار جدیس بالإمامة: «حصونهم

(1) سورة هود، الآية: 50.

(2) سورة الأعراف، الآية: 69.

(3) سورة الشعراء، الآيات: 128 - 135.

وبتلهم الواحد بتيل وهو هنّ مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين. قال وجديس كانت تسكن الخضرمة (بين الرياض والخرج)، ووَصَفَ قرية بني سدوس وفيها قصر سليمان بن داود (ع) مبني بصخر منحوت عجيب، ثم وتر لبني غبر وهي نخيل وحصون عادية وغير عادية... ثم تصعد في بطن الفقي فتزد الحائط حائط بني غبر (حوظة سدير اليوم)... ثم تخرج منها إلى الروضة روضة الحازمي (روضة سدير اليوم)... وأنت في النخيل والزروع والآبار طول ذلك.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾⁽¹⁾.
 ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرَصٍ عَاتِيَةٍ • سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ • فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾⁽²⁾.
 ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

إذا نجاه الله والذين آمنوا معه فمن كانوا وأين ذهبوا؟

جاء في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى • وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾⁽⁴⁾.

يعني كان هناك عاد أولى بديار جديس ثم هلك، ثم لا بد كانت أخرى من الذين نجوا مع هود، ومن هؤلاء ربما كان الخلدان/الكلدان الذين تغلبوا على دولة الأثوريين (الذين خرجوا بحسب التوراة من بلاد شنعار/شعار ومن نجد عسير ليؤسسوا دولة بنيوى) وأعادوا الملك إلى بابل فيما سمي الدولة البابلية الجديدة أو الثانية أو الدولة الخلدانية (الكلدانية).

إرم ذات العماد

أكبر واد في الجزيرة العربية هو وادي الرمة - الباطن الذي يبدأ من السفوح الشرقية لجبال منطقة المدينة المنورة ويتجه إجمالاً إلى الشرق ليعدّل اتجاهه العام

- (1) سورة هود، الآية: 58.
- (2) سورة الحاقة، الآيات: 6 - 8.
- (3) سورة الأعراف، الآية: 72.
- (4) سورة النجم، الآيتان: 50 و51.

بعد مروره من جنوب بريدة في القصيم إلى الشمال الشرقي، فيعبر صحراء الدهناء ليعود ويظهر كوادي الباطن الشهير الذي يمرّ بمدينة الحفر ثم الرقعي الواقعة على نقطة الحدود بين السعودية والكويت والعراق. ويستمر محاذياً حدود الكويت مع العراق إلى أن يصب في شط العرب عند منطقة الزبير. وهذه الأسماء قديمة العهد وقد ذكرها الهمداني (المتوفى في 334هـ - القرن 10م) في صفة الجزيرة فسمّى الوادي ببطن الرمة، وهناك قرية على درب زبيدة تسمى الرمة بين العوسجة وإمرة لكن من المحتمل أن جميع هذه التسميات تعود لبني إرم بن سام.

استعملت كلمة إرم بالتوراة لتعني الأرض العالية وهو معنى نجد نفسه، فبنو إرم أو الأراميون ما هم إلا بنو إرم أبي عاد، وكما قال ابن خلدون فإن بني خالد متحدرون منهم! ويبدو أن ما عُرف لاحقاً بدرب البخور الشرقي كان درباً دهرياً للهجرات المتتالية للشعوب التي نزحت إلى بلاد الرافدين قادمة من الجزيرة العربية التي يعتبرها المستشرقون والآثاريون مهد السامية! كل تلك الشعوب من أكادية وبابلية وأثرورية وكلدانية مرت من هذه المنطقة لتؤسس على ضفاف دجلة والفرات تلك الأمبراطوريات العظيمة، شأن ما فعله العرب من بني العباس فيما بعد بتأسيس دولتهم الكبيرة وتأسيس المدن العظيمة مثل بغداد وسامراء والكوفة والبصرة، آخذين معهم لغتهم مثلما فعلت لخم وربيعة ومضر وبكر وعنزة فيما بعد.

جعل الهمداني قوم عاد إحدى عشرة قبيلة ومنهم الخلود، وهم رهط النبي هود (ع)، وفيهم بيت عاد وشرفهم، وهم بنو خالد أنفسهم كما أورد بالإكليل⁽¹⁾ ولعلمهم الكلدان أنفسهم لترادف حرفي (الكاف والخاء) باللهجات، ولكتابة الحرفين بصورة متقاربة بالآرامي المربع (وحتى بالكوفي المربع).

جاء في سورة الفجر

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ • إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ • الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ •... الَّذِينَ ظَفَعُوا فِي الْبِلَادِ • فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾⁽²⁾.

(1) الإكليل، الهمداني، ج 1 ص: 87.

(2) سورة الفجر، الآيات: 6 - 12.

في هذه الآيات دعوة لأن نرى لنعتبر، وكيف لنا أن نرى إن لم تظهر لنا آثار إرم منذ نيف و14 قرناً زمن نزول الآية! وقد وجدوا وبار بعمان بواسطة الأقمار الصناعية ولكنهم لم يجدوا إرم. وقد ذهب العلماء مذاهب شتى في تحديد موقع إرم ذات العماد فمنهم من قال بأنها جلق الشام، ومنهم من قال بأنها الإسكندرية. وهذا لا يعقل لأنهما بقيتا معمورتين مسكونتين منذ إنشائهما وحتى اليوم.

المدينة التي كانت من عجائب الدنيا السبع وقريبة من الإرميين ولها آثار باقية هي مدينة بابل ومعنى الاسم باب إل أي باب الله، مما يعني أن من أسسها كان يعرف الله وربما كان من ذرية نوح أو هود. كانت بابل في زمانها أعظم مدن الأرض قاطبة حسب وصف هيرودوتس أبي التاريخ في القرن 5 قبل الميلاد. وكانت تمتاز بمعابدها ذات الأبراج المدرجة (ذات العماد) وجنائنها المعلقة التي كانت إحدى عجائب الدنيا السبع (التي لم يخلق مثلها في البلاد)، ثم إن الزمان دار عليها، فهجرها أهلها واندرست معالمها، بعد أن تحول مجرى نهر الفرات عنها (ونقل السلوقيون العاصمة إلى سلوقيا على نهر دجلة) فاستحقت أن تصبح مثلاً يضرب. وعن الطغيان في البلاد فحدث عن البابليين ولا حرج كما وصفوا هم أعمالهم في المسماريات بمن غلبوا من شعوب. وأما عن الفساد فقد تعجب منه هيرودوتس نفسه، الذي لف أغلب العالم القديم، إذ قال: كانت الفتاة عندهم (أي عند أهل بابل) إذا بلغت تحبس في معبد عشتار ولا تخرج منه حتى يثبت أنها أقامت علاقة جنسية غير شرعية مع أحد الأعراب!

أما الاعتقاد بأن إرم هي المدينة التي زعم أحد الأعراب لمعاوية بأنه دخلها عندما ضل له جمل في تيه أبين شرقي عدن وبأنها مليئة بالأحجار الكريمة وأعمدتها من الذهب فهو من الوهم الخالص؛ ولا يعدو أن يكون تلفيقاً أراد منه صاحبه التكسب من الخليفة الأموي. صحيح أن بابل ذكرت في القرآن بالاسم لكن هذا لا يمنع أن تكون تسمت باسم ثان أيضاً مثلما ذكرت مكة بكبة وأم القرى، ومثلما ذكرت المدينة المنورة تحت مسمى يثرب أيضاً. فذكر بابل بالاسم لا يناقض إعادة الإشارة إليها باسم «إرم ذات العماد»، والله أعلم!

ولئن اختفى اسم هود (ع) ردحاً من الزمان إلا أننا نراه يظهر مجدداً في اسم واحد

من أسباط بني اسرائيل وهو (ى ه و د ه) ابن سيدنا يعقوب (اسرائيل)، فالحرف الأول ليس ياء بل ألف مقصورة لتسكين الحرف الأول برسم الجزم؛ كما أن الهاء الأخيرة ليست تاء بل هاء السكن.

كما جاءت إشارات إلى اليهود في القرآن الكريم بلفظة هود نفسها:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾⁽¹⁾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾⁽²⁾.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ

نَصَارَى﴾⁽³⁾.

التوراة الحجازية: تاريخ الجريفة المذكور

من أسباط بني اسرائيل وهو (ي ه و د ه) ابن سيدنا يعقوب (اسرائيل)، فالحرف الأول ليس ياء بل ألف مقصورة لتسكين الحرف الأول برسم الجزم؛ كما أن الهاء الأخيرة ليست تاء بل هاء السكن.

كما جاءت إشارات إلى اليهود في القرآن الكريم بلفظة هود نفسها:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾⁽¹⁾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾⁽²⁾

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾⁽³⁾

(1) سورة البقرة، الآية: 111.

(2) سورة البقرة، الآية: 135.

(3) سورة البقرة، الآية: 140.

صالح (ع) وحجر اليمامة

نسبه

هو صالح بن قنان بن عرب قاسط أو جديس (ء ر ب ك ش د) بن سمي ثمام (سام) بن نوح عليهم السلام⁽¹⁾.

أرضه

ذكرنا في فصل نوح بأن الفلك رست على جبل العارض باليمامة. لا أحد يعرف أصل تسمية اليمامة بذلك لكن قد تكون ليمامة نوح علاقة بالقرية التي على اسمها في هذا الإقليم من نجد. ولم يحدد القرآن مساكن ثمود، وإنما يظهر من قول الله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أن مساكنهم كانت في مناطق جبلية أو في هضاب صخرية. عيّن بعض الرواة وادي القرى على أنه الوادي المذكور واستتجوا أن قرية الحجر الواقعة 22 كيلاً شمال شرقي مدينة العلا (ديدان قديماً) هي المكان الذي كانت به ديار ثمود على اعتبار المنحوتات الجبلية البديعة الموجودة بقربها فأطلق عليها بمرور الوقت تسمية «مدائن صالح»! لكن هذا المتحف المفتوح المكون من 131 مدفنًا هو عائد إلى القرن الميلادي الأول وطراز الحضارة النبطية فيه متأثر بشكل واضح بالإسلوب الروماني، وهي ليست مساكن ولا تعود إلى الحقبة الثمودية التي هي أقدم بـ 2500 سنة تقريباً.

وقد نقل الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في توضيح المشتبه عن البرزالي قوله: (ومدائن صالح التي بالقرب من العلا في طريق الحاج من الشام بلد إسلامي،

(1) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة: 10 وما بعدها.

وصالح المنسوبة إليه من بني العباس بن عبد المطلب، وفيها قبور عليها نصائب تاريخها بعد الثلاثمئة هجرية)، فيبدو أن الأمر اشتبه على الناس مع تقادم الزمن وقلة العلوم فظنوا بأن صالح العباسي هو نبي الله صالح (ع). صحيح أن النبي (ص) نزل بالحجر مع أصحابه في غزوة تبوك ونهى أصحابه عن شرب مائها ودخول منازلها؛ لكنه لم يسم صالحاً أو ثمودَ بالإسم بل دعاها: ديار الذين ظلموا! فأين كانت ديار ثمود إذا؟

بالقراءة الصحيحة⁽¹⁾ يتبين لنا أن نبي الله صالح (ع) كان من عرب جديس. ماذا نعرف عن مساكن جديس وهل تنطبق طبيعة أرضهم على الوصف القرآني لثمود قوم صالح؟ يقول الهمداني⁽²⁾ في كتابه النفيس «صفة الجزيرة» أن جديساً سكنت جوّ اليمامة (مستوطنة البنة شمال شرقي قرية اليمامة على طريق الرياض الخرج) وقرية الحجر (الرياض اليوم) قبل بني حنيفة وعدد بعضاً من قصورها ومنها «معتق» و«الشموس»، وقصوراً كانت بالحجر، وذكر أن قرية بني سدوس كان فيها قصرٌ عظيم من الصخر؛ وبأنه كان من صخرة واحدة! و«جعدة» حصنٌ فيه قصر قديم، و«خضراء حجر» كان فيها قصور وأبنية مربعة مثل الصوامع مستطيلة وعالية جداً في السماء، و«الخضرمة» أيضاً فيها آثار قديمة كثيرة.

وقد وصف القرآن بلادهم على لسان صالح بسورة الأعراف:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾⁽³⁾.

وأيضاً بسورة الشعراء:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۚ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۚ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ﴾⁽⁴⁾.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة: 11.

(2) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 254.

(3) سورة الأعراف، الآية: 74.

(4) سورة الشعراء، الآيات: 146 - 150.

فمساكنهم بالنص هي مساكن عاد التي بينا في حلقة هود أنها كانت في نجد أيضاً
فهم استخلفوهم في ديار عاد الأولى نفسها. فكيف يضع بعضهم عاداً في جنوب
الجزيرة وثمود في شمالها؟

وإني لأرى ههنا وصف الهمداني للقصور العديدة وخصوصاً المنحوت من
صخرة واحدة بقرية بني سدوس ما يشابه الوصف الذي جاء بسورة الأعراف،
وكذلك قصور «خضراء حجر» المتعالية الأسطوانية والمربعة ما يضاهي البيوت
الفارسة الموصوفة بسورة الشعراء. وصالح كان أربعة أجيال بعد نوح الذي كان
باليمامة، وابنه كان غبر، وبنو غبر كانوا في وقت الهمداني ما زالوا باليمامة⁽¹⁾، وكانت
حوطة سدير معروفة باسم حائط بني غبر، فتكون اليمامة هي بلاد ثمود والله أعلم.

وجاء في سورة هود على لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ
مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾⁽²⁾ ولو
كانت مدين شعيب بتبوك وصالح بالعلا لقال: وما قوم صالح منكم ببعيد، لكن كما
سنرى فمدين ربما كانت شرق ترعة ثقيف والمؤتفكات قرى قوم لوط كانت ببلاد
زهران وهي بالفعل الأقرب لهم مقارنة بالطائف بلد قوم نوح واليمامة بلاد عاد
وثمود.

ناقة صالح و استئناس الجمل

هود وعاد أقدم من صالح وثمود بقليل، ولما منّ الله عليهم بالأرزاق قال:
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ ۖ وَجَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ﴾⁽³⁾.

لم يفصل ماهية الأنعام، ولفظة الناقة لم ترد في كل القرآن الكريم إلا بمعرض
قصة صالح! فلربما لم يكن الجمل قد استئسن على أيام عاد الأولى. وما كان من
حاجة لاختراع أسطورة لا تصدق حول حجمها وخروجها من الصخر، الإبل في ذاتها

(1) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 205.

(2) سورة هود، الآية: 89.

(3) سورة الشعراء، الآيات: 132 - 134.

فمساكنهم بالنص هي مساكن عاد التي بينا في حلقة هود أنها كانت في نجد أيضاً
فهم استخلفوهم في ديار عاد الأولى نفسها. فكيف يضع بعضهم عاداً في جنوب
الجزيرة وثمود في شمالها؟

وإني لأرى هنا وصف الهمداني للقصور العديدة وخصوصاً المنحوت من
صخرة واحدة بقرية بني سدوس ما يشابه الوصف الذي جاء بسورة الأعراف،
وكذلك قصور «خضراء حجر» المتعالية الأسطوانية والمربعة ما يضاهي البيوت
الفارسة الموصوفة بسورة الشعراء. وصالح كان أربعة أجيال بعد نوح الذي كان
باليمامة، وابنه كان غبر، وبنو غبر كانوا في وقت الهمداني ما زالوا باليمامة⁽¹⁾، وكانت
حوطة سدير معروفة باسم حائط بني غبر، فتكون اليمامة هي بلاد ثمود والله أعلم.

وجاء في سورة هود على لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ
مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾⁽²⁾ ولو
كانت مدين شعيب بتبوك وصالح بالعلا لقال: وما قوم صالح منكم ببعيد، لكن كما
سنرى فمدين ربما كانت شرق ترعة ثقيف والمؤتفكات قرى قوم لوط كانت ببلاد
زهران وهي بالفعل الأقرب لهم مقارنة بالطائف بلد قوم نوح واليمامة بلاد عاد
وثمود.

ناقة صالح و استئناس الجمل

هود وعاد أقدم من صالح وثمود بقليل، ولما منّ الله عليهم بالأرزاق قال:
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۖ وَجَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ﴾⁽³⁾.

لم يفصل ماهية الأنعام، ولفظة الناقة لم ترد في كل القرآن الكريم إلا بمعرض
قصة صالح! فلربما لم يكن الجمل قد استئنس على أيام عاد الأولى. وما كان من
حاجة لاختراع أسطورة لا تصدق حول حجمها وخروجها من الصخر، الإبل في ذاتها

(1) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 205.

(2) سورة هود، الآية: 89.

(3) سورة الشعراء، الآيات: 132 - 134.

من أعاجيب خلق الله، والإشارة إلى كمية المياه التي تستهلكها نسبة إلى بقية الماشية دليل على أن الأمر كان جديداً على الناس لأن الجمل لم يكن مألوفاً ببيئة ثمود، وفي ذلك إشارة إلى بداية استئناسه في النصف الثاني من الألفية الثالثة قبل الميلاد.

من بين كل الحيوانات التي ابتدعها الخالق اختار الإبل للدلالة على الإعجاز في الخلق. فمن القدرة الفائقة للأعضاء على تخزين الأكل والماء إلى القدرة المدهشة للكلى على إعادة استخراج الماء قبل مرحلة البول، إلى الأهداب التي تمكن من الرؤية وسط العواصف الرملية، إلى الخف القادر على التنقل على الكثبان الرملية المتجمرة! ومن اللسان القادر على تحمل الأشواك التي يستسيغها إلى البوصلة الداخلية التي تحوله وهو متوقف بحيث تكون المساحة المقابلة من جسمه للشمس في الحدود الدنيا لتقليل كمية التبخر عبر الجلد، وأخيراً وليس آخراً قدرته على امتصاص الحرارة داخلياً بعيداً عن جلده بحيث يستطيع رفع حرارة دمه أكثر من خمس درجات مئوية قبل أن يبدأ جلده بالتعرق وذلك توفيراً للمياه داخل جسمه! فسيحان الله.

هذا الحيوان العجيب صديق العرب عبر تاريخهم الطويل لا شك قد تم استئناسه في بلادهم؛ فأصبح مرافقاً لهم ومكنهم من غزو الفيافي والقفار ومن فتح الجزيرة على العالم الخارجي، وجلب لهم الإزدهار عبر طرق البخور التي ابتدعوها لمدّ تجارتهم ومباعدة أسفارهم، والجدير ذكره أن بيئة نجد كانت هي الأنسب لتربية الإبل في كل الشرق الأوسط، وظلت تمتد الدولة العثمانية بألفين من الجِمال التي تحتاجها الهجانة كل عام حتى الحرب العالمية الأولى.

نهاية الكفرة من قوم صالح

كانت الناقة فتنة لهم لامتحان صبرهم، فلما عقروها تحدياً لأمر الله حقّ عليهم العذاب فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. صحيح أن المفسدين كانوا تسعة كما ذكر القرآن⁽¹⁾ لكن الدمار شملهم وشمل كل المدينة؛ فالفتن لا تصيب الذين ظلموا خاصة!

(1) سورة النمل، الآيات: 48 - 52.

ورد بصحف إبراهيم⁽¹⁾ أن صالحاً ولد (ع ب ر) الذي هو غير أبو الغبرين أو بني غير وليس العبريين!

وغبر ولد (ف ل ج) أي فالج

وفالج ولد راعي

وراعي ولد (س ر و ج) الذي ممكن أن يقرأ سراج

وسراج ولد نحور

ونحور ولد (ت ر ح) وهو طريح (والإسم القرآني آزر)

وطريح ولد: أبرم (الاسم القديم لإبراهيم عليه السلام)، ونحور، و: (ح ر ن).

ومولد إبراهيم (ع) كان ب: (ء و ر ك ش د ي م) بحسب النص الغبري للتوراة (حابر القاسطين / الجدسين) و: ء و ر الكالدين / الخالدين بحسب النص اليوناني للتوراة (حابر الخالدين) والحاير لغة هو البركة. وكما أوردنا فقد ذكر المسعودي أن بني خالد حيٌّ من جدس! وابن خلدون قال بأن بني خالد كانوا رهط نبي الله هود (ع)! فيبدو أن خير البرية و خليل الله ولد في ديارهم باليمامة.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة 14.

آرام التوراة لم تكن سوريا

تكلّمنا في فصلي عاد وثمرود عن أرض الإرميين وأنها كانت باليمامة، وكلمة (ء رم) بلغة التوراة تعني العلو وهو النجد، فأرام هي نجد موطن الآراميين الأوائل الذين دخلوا منها إلى أرض السواد وأسسوا الدولة البابلية الأولى والثانية. والمعروف بأن هذا الشعب كما الأكادي والأثوري من الشعوب السامية التي أتت من الجزيرة العربية التي هي بإجماع المؤرخين مهد السامية. وذكرنا بفصل نوح (ع) أن سمياً ثماماً (سام) كان باليمامة من يوم حطت الفلك على جبل العارض - طويق قرب بطن أراط الذي هو اليوم غرب عودة سدير، وبأن من طويق يخرج درب الجودي من قرب الدرعية متوجهاً إلى المنطقة الشرقية.

وتقول التوراة⁽¹⁾ وما بعدها أن الذي خرج فأسس بابل (الأولى) كان من كوش (الغوث) بن حميّ حامي/حام؛ وأن ديارهم كانت بشنعار التي تعني شعار عسير، فمن نجد عسير خرج الآراميون الأوائل الذي هناك إجماع على أصلهم السامي، وأن الجزيرة العربية هي مهد السامية. كذلك مؤسسو دولة أثور (هكذا يلفظها أهلها بدل أشور) أتوا من المنطقة نفسها وهي القرية من الفاو التي كان بها بنو ثور ملوك كندة الأوائل. والفاو هي كاهل التي قد تكون كالح نفسها⁽²⁾ والتي أنشأها بنو ثور بعد نينوى العراقية. وكاهل أيضاً هو اسم أكبر آلهة كندة ومذبح التي هي من مراد (لا نمرود) ابن الغوث الذي خرج من أرض نجد شعار نفسها بحسب النص نفسه.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 8 وما بعدها.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 11.

وهناك مناطق كثيرة ارتبطت بأرام وهي نجد وفسرت خطأ على أنها ببلاد الرافدين:

1. آرام نهر ليست بلاد الرافدين بل وادي الدواسر؛ وفيه مدينة الفاو/كاهل حيث مملكة كندة الأولى، وفيه كدمة وفيه قديمة عقيل عامر المذكورة بسفر التكوين على أن يعقوب توجه إليها بهجرته المؤقتة لعند خاله لبن بخيران⁽¹⁾.

2. فدن/بطن آرام واعتبرت جزءاً أو طرفاً من الأولى، فجعلوها بتركيا وأسموها حرّان بشرق الأناضول وهي بالحقبة خيران قرب السليل في منطقة وادي الدواسر. في هذه المنطقة توقف والد إبراهيم (ع) بهجرته من اليمامة؛ ومنها أمر الله خليله بالتوجه إلى الأرض المباركة مكة لرفع قواعد البيت العتيق والأذان للناس بالحج إليه. كانت الطريق تمر عبر وادي الدواسر بمحاذاة جبل طويق وصولاً إلى السليل فرنية فحرة البقوم فتربة فالطائف فمكة؛ وكانت الوحيدة بين شرق الجزيرة وغربها في نصفها الجنوبي؛ وأصبحت درب التجارة والبحور فيما بعد. ونجد بقصة يعقوب (ع) أنه توجه عبر أراضي بني قديم وهم من ذرية إسماعيل، وفي عودته مع قطعانه استغرق 11 يوماً حتى قطع المسافة إلى جبل جلعاد وهو حرة المناصف شمال رنية اليوم. طول المسافة بين خيران ورنية هي 325 كلم تقريباً فتكون مدة 7 أيام كافية لكي يدركه خاله لبن فيها بعد مطاردته. وبعد اتفاقه مع خاله أن يكون جبل جلدان/المناصف الشاهد على تصافيهما نجده يخشى مواجهة أخيه العيص (ع ش و) ولقبه (ء د و م) عدّان (عدنان) الذي كان يسكن بسراة الحجر. ونرى فيما بعد أن ظنه كان بمحله إذ قطع أخوه عليه الطريق بعد اجتيازه مخاضة البقوم أي وادي ترية، وكانت هناك مصالحة شكلية بينهما قبل أن يكمل إلى مظلة بنجد الطائف حيث استراح.

3. آرام ضبة وهي التي ظهر اسمها بحروب داود مع ملكها الودّ عزر؛ وكانت ربما بالفاو لأنها من اسم الملك كانت تتعبد للإله ود وهو كاهل نفسه الاسم الآخر للفاو. امتد طموح داود (ع) لمد سلطانه إلى «النهر» الذي هو وادي الدواسر الذي يصل إلى أطراف مملكته عند تثليث، فانتصر عليه داود واحتل

(1) سفر التكوين، الإصحاح 29، الجملة: 1.

مدنه وصادر النحاس الكثير منها. ونرى في سفر الملوك سليمان يبني تمرة بالبر (شرق السليل) ربما لحماية ثغور مملكته الشرقية، وهي التي ترجموها بتعسف إلى «تدمير الصحراء» لمجرد ذكر ذلك في بيت شعر للنابغة الذبياني! والجدير ذكره عند كتابة اسم «إد» التالي: (ه د د) بالجزم قُرأت إد والود (اسم الإله) وهدد أو هداد وأدد ببعض المصادر، وحداد بأخرى، وربما نكتشف يوماً بأنه قد يكون الأزد أيضاً لأن اثنين من ملوك السراة حيث بلاد الأزد كان اسمهما (ه د د)، فكان (ه د د) هنا نزلت على سبعة أحرف لتخدم 7 لهجات وكلها قد تكون صحيحة! 4. آرام بيت رحاب هي ربما رحبة من بلاد عذرة قرب جبل حضن.

5. آرام (ج ش ور) هي نجد قشير، وهي بلد قشير بن كعب بن صعصعة من هوازن.

6. آرام (م ع كة) هي ربما مكعت أو قمعة بالإقلاب؛ بنجد بلجرشي.

7. آرام دمشق وهي ليست العاصمة السورية المعروفة ببلاد الشام فهذه كانت تعرف عند العرب باسم جلق؛ أما دمشق فاسم توراتي تم إسقاطه على المدينة الشامية بالعصر اليوناني ولم تذكر بمدونات هيرودوتس التي لف كل سوريا والعراق وبلاد القبط. أما الدماشقة الأصلون فما تزال بقايا منهم بين شداي بنيوس تعرف بالبدوة وأصلهم من الأزد الكهلانيين من مأرب من أرض مذحج، وعبيدة وادي أبراد في الشمال الشرقي من مدينة مأرب، وهم أيضاً من مذحج. وكان ورد بالتوراة بسفر التكوين 10 أن مراد (مذحج) كبير صياد كان ابتداء مملكته بشعار (عسير) ومنه كان كهلان أبو الأزد وأراشة التي منها عسير عتزر. وكانت نجران فيما مضى تتوسط ديار مذحج وتشكل حصنها الحصين؛ فمن الممكن أن تكون هي دمشق التوراة.

أول ذكر لدمشق بالتوراة نجده بعصر إبراهيم (ع) وحرب ملوك بسراة الحجاز⁽¹⁾، ومن ثم نعرف أنها بلد العازر مولى الخليل. ولا نعود نسمع عنها حتى زمن نبي الله

(1) سفر التكوين، الإصحاح 14: الجملة: 15.

الملك داود (ع) وأنه أخضع دمشق لملكه⁽¹⁾. ولاحقاً أنه ثار رزان ابن الأيادي الإرمي على الود عزز ملك ضبة (حاكم الفاو/كاهل) ثم جمع جيشاً واحتل دمشق (نجران)، وفي أيام سليمان (ع) عادى رزان بني إسرائيل⁽²⁾ وبدأت حرب الاستقلال الآرامية. وبأيام (ب ن ه د د) (بن حداد) صار الدماشقة قوة يحسب لها حساب وخاف منهم بنو إسرائيل بالحجاز. وبأيام حزائيل (هزال) أعظم ملوكهم الذي عاصر النبيين إلياس واليسع (ع) قام الدماشقة باحتلال جلدان تثليث وبيشة حتى وادي رنية؛ بعد أن هادنوا المحتل الأثوري الطامع من الشمال، وقد دام حكم هزال 46 سنة من 886 - 840 ق.م. وخلفه ابنه (بن حداد).

صعدت أثور ببلاد الرافدين وأسقطت بابل وغزا تغلاث بلاسر (دجلة بلا إسر) الجزيرة العربية من شرقها ثم نزولاً عبر وادي الدواسر واحتل نجران الدماشقة في 734 ق.م.

وبعيداً عن تقسيمات قحطان وعدنان أشدّد على نسب مذحج الأقدم بغرب الجزيرة، فقد بدأ في وقت مبكر بعد الطوفان، وأبكر بكثير من وصول قطن بن عُبر إلى اليمن والذي كان قبل وصول الخليل إلى الحجاز بخمسة أجيال. وربما يوجد رابط تسلسلي بين الأب الجاهلي أراشة بن مراد (بن كوش/غوث بن حام) وبعده بزمان طويل: أراشة بن عنز بن وائل بن قاسط بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد العدناني، ذاك أن أسماء الجدود تتوالى في العشائر نفسها. ولنتذكر توجه أبناء نزار إلى أفعى نجران لاستشارته بوصية أبيهم؛ ذاك أن ديارهم كانت قريبة من أرضه دون شك.

8. رمث جلدان أو رمث المصفى: وهي موقع قريب من حرة المناصف، واليوم نجد بشمال شرقي المنطقة محمية بسم أم الرمث! إنها الذاكرة الشعبية التي تحفظ الأسماء. والبلدة الرئيسية بالمنطقة هناك هي الخرمة؛ وكانت المنطقة وصفت بأنها بالأطراف الشمالية الشرقية لمملكة داود وسليمان (ع).

(1) سفر سمؤال 2، الإصحاح 8، الجمل: 5 - 6.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 11، الجمل: 23 - 25.

9. حما/ حمى ضبة، حمى/ حماطة وهي منطقة معروفة بآبارها وآثارها، وهي في منطقة تقع 130 كيلاً شمال نجران في منطقة متوسطة على الطريق إلى الفاو. وقد ورد⁽¹⁾ أن ملكها طي أبو عرم كانت له حروب مع الود عزز ملك ضبة حاكم الفاو/كاهل على الأرجح، ولذلك صار صديقاً لنبي الله داود الذي هزم الود عزز واحتل أرضه.

فآرام هي نجد، واللغة الإرمية أو الآرامية هي اللغة العربية بلهجة شرق الجزيرة. وعندما تفيد النصوص بالعهد القديم⁽²⁾ ما فحواه أن إبراهيم (ع) وبني إسرائيل من بعده تكلموا «شفة كنعان» فمعناها أنهم باتوا يتكلمون بلهجة غرب الجزيرة (لهجة كنانة) فهو أمر بسيط كالفرق بين قراءة حفص التميمية وقراءة ورش الليثية الكنانية. أما ما روي من الأحاديث النبوية عن أن إسماعيل (ع) كان أول من تكلم بالعربية المبينة فالقصد اللغة الفصحى التي أخذها عن أهل الجنوب لأنه نشأ بيرية فروان بتهامة قرب وادي قنا؛ بعد أن غادر وأمه مكة عند بلوغه الـ 14 من عمره. واللغات الإرمية من بابلية وأثورية التي هي سامية باعتراف الجميع ما هي إلا لهجات عروبية، وكذلك اللهجة السريانية لغة أهل الجزيرة الفراتية التي اعتبرت ابنة شرعية للغة الإرمية أي فرعاً من فرع. كل هذه اللهجات دوّنت كما كانت تلفظ ولم تكن هناك لغة مبينة أي فصحى نمطية كلغة القرآن الكريم لتجمع كل هذه الشعوب، فتطور كل منها باتجاه، ولنا في لهجة أهل مالطا العربية مثال حي. والآن نجد من ينظر في غريب القرآن باحثاً عن أصول محتملة لكلمات مأخوذة من لغات غريبة؛ بينما الحديث أنه نزل على سبعة أحرف واضح لجهة أن كل هذه لهجات استوعبتها اللغة الأم؛ والتي وصفت في عشر آيات بأنها «عربية» مبينة، فليس بعد كلام الله إضافة أو تسميات.

(1) سفر السموال 2، الإصحاح 8، الجملة: 9.

(2) سفر أشعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

إبراهيم (ع) وآله في جزيرة العرب

هذه الحلقة من أهم الحلقات، ليس لأنها تغطي فترة تاريخية طويلة نسبياً بل لأنها تؤسس لما بعدها، فسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء هو الأب ليس لهذه الأمة فقط بل لجميع الديانات السماوية التي تؤمن بالله الواحد واليوم الآخر والعمل الصالح وقد مدحه الله وسماه أمة قائمة واتخذته خليلاً له في وقت لم يكن هناك من مسلمين في الأرض:

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾⁽¹⁾.

إبراهيم العبري؛ الآرامي التائه (البدوي المترحّل من نجد)

كيف ارتبط اسم إبراهيم (ع) بالعبرانيين وبالآراميين؟

رأينا في فصل صالح (ع) أن غبر بن صالح كان الجد السادس للخليل وأن بني غبر كانوا باليمامة بين وادي صلبوخ وحائط بني غبر (حوضة سدير اليوم) حتى أيام الهمداني (صاحب كتاب صفة الجزيرة)، وهذه هي أيضاً تقارب ديار جديس وديار بني خالد المعروفة! وتقول التوراة الغبرية بأن إبراهيم (ع) ولد في حابر (بركة) القاسطين/الجديسين بينما الترجمة اليونانية تقول أنه ولد في حابر الخالدين! ووادي الحابر الآن بأطراف الرياض الشمالية الشرقية ليس بعيداً عن وادي صلبوخ حيث كان الغبرة/بنو غابر فضلاً عن قرية الحائر الواقعة شمال حوضة سدير الذي

(1) سورة الحج، الآية: 78.

كان اسمها حائط بني غبر على أيام الهمداني⁽¹⁾، ثم نعلم أنه انتقل مع أبيه⁽²⁾ من اليمامة إلى خيران قرب السليل بوادي الدواسر.

هل سُكِن وادي الدواسر بالزمن القديم؟ بالتأكيد؛ فنحن نعلم من موقع الفاو القريب عن وجود أطلال حضارة وركامات أثرية هامة جداً. ويبدو أن المنطقة برزت كمركز تجاري لوقوعها على طريق التجارة الوحيد بين اليمن والمنطقة الشرقية للجزيرة العربية وصولاً إلى بلاد الرافدين.

كانت تنقلات هذه المجموعات وهجراتها تتم على ظهور الإبل التي تكرر ذكرها بالنصوص التوراتية التي يعود زمن قصصها إلى بداية الألفية 2 ق. م؛ فقد جاء في قصة البحث عن زوجة لإسحاق⁽³⁾: واختار العبد عشرة جمال وحَمَلَهَا من جميع خيرات مولاه التي في يده، وقام وانطلق إلى مدينة نحور (أخي إبراهيم). وهناك أناخ الجمال خارج المدينة عند بئر الماء وقت المساء، في موعد خروج المستقيات من النساء. وجاء في قصة يعقوب، عن سرقة رخل (راحيل) زوجة يعقوب لأصنام أبيها: فدخل لبن خيمة كل من يعقوب وolie والجاريتين فلم يجد شيئاً، ثم خرج من خباء لية ودلف إلى خيمة رخل، وكانت رخل قد أخذت الأصنام وأخفتها برحل الجمل وجلست عليها، فبحث بكل الخيمة دون أن يعثر على شيء⁽⁴⁾.

الجدير ذكره هنا أن البروفسور الأمريكي وليم البرايت - عالم أثريات الفترة التوراتية الشهير - قد عاين أغلب المواقع على طرق القوافل بين بلاد القبط وفلسطين وسوريا والعراق في منتصف القرن العشرين⁽⁵⁾، ومنها مدونات ملوك ماري (Mari) المدينة الواقعة على الفرات والتي كانت على الطريق الرئيسية ما بين شمال العراق وشمال سوريا للفترة ما بين 2500 إلى 1400 ق. م. فلم يجد أي أثر لاستعمال الجمال؛ وهي المنطقة المفروض أن تقع فيها فدان آرام بحسب المفهوم التقليدي لجغرافي التوراة.

(1) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 255.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة: 32.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 24، الجمل: 10 - 11.

(4) سفر التكوين 31، الجمل: 33 - 34.

(5) The Camel and the wheel, Richard W. Bulliet

إبراهيم (ع) والد في جزيرة العرب

ولا يبدأ ظهور أي ذكر للجمل في المدونات المسمارية لبلاد الرافدين حتى ندخل في الألف الأولى قبل الميلاد إبان الحقبة الآشورية (الآشورية). فقد ذكر في مدونات فترة الملك Tukulti - Ninurta الثاني (890 - 884 ق. م.) أنه تلقى 30 جملاً من جملة ما تلقاه كجزية من مدينة هندانو. وفي مدونات سلام النصر (شلمنصر) الثالث 858 - 824 ق. م. أن من جملة من حاربهم في معركة قرقر جندب العربي الذي كان على رأس ألف من الهجانة. وكان الجمل من أهم غنائم تغلات بلاسر (745 - 727 ق. م.) من الملكة العربية شمسة، وفي الجزية السنوية التي دفعها حزائيل (الملك العربي النجدي هذال) لأسرحدون الآشوري (680 - 669 ق. م.) ثم إن الجمل لم يصبح مستعملاً من قبل الآشوريين أنفسهم حتى عهد سرجون الثاني (721 - 705 ق. م.) وكان ذلك لحمل العتاد للجيش الآشوري فقط. ولعل استعماله في العراق لم يصبح شائعاً إلا بعد سيطرة الكلدانيين (الخلدان) على الوضع في بلاد الرافدين.

أما في بلاد الشام فالأثر الملموس الأول في استعمال الجمل كحيوان للركوب كان في عملة معدنية رومانية عائدة إلى ما بين الأعوام 58 و54 ق. م. لأنها ضربت بمناسبة استسلام (Aretas) أي الحارثة ملك الأنباط، الذي حكم البتراء في الأردن، وعلى أحد الوجهين صورة جمل وعليه سرج ركوب. ولم توجد عظام جمال عائدة إلى حقبات قديمة لا في سوريا ولا في لبنان ولا في فلسطين ولا في بلاد القبط كما أكد الدكتور البرايت.

هذا الأمر هو في غاية الأهمية لأنه فيما خص فلسطين يرمي شكوكاً حول مصداقية ثابتة أن الآباء العبرانيين الأوائل قدموا إلى هذه البلاد وعاشوا فيها. وعلى ذمة المنقبين الأثريين بفترة الانتداب البريطاني على فلسطين الذين عملوا بمدينة الخليل في موقع ما كان يجب أن يكون مغارة (المكفيلة) التي دفن فيها كل من سارة وإبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام؛ لم يجدوا سوى خزان مجصص لتخزين مياه الشتاء! ولا يمكن أبداً أن يشكل ولو مدفنًا عادياً، فكيف بمدفن يليق بأنبياء! وهذا هو ما بني فوقه الحرم الإبراهيمي الحالي، علماً بأن التاريخ التعريفي لهذا الموقع وبناء أول قبة فوقه كان على عهد هيرودس الكبير، الملك الأدومي، وذلك قبيل الميلاد ببضعة عشر عاماً فقط.

وهنا يجب التذكير بأن الإرميين الأوائل دخلوا العراق من نجد عبر البادية ولم تكن نقطة إنطلاقهم قط من الحواضر الشامية. وقد تم هذا الدخول بعد عصر إبراهيم (ع)، وليس هناك من دليل مادي على وجودهم في غرب سوريا إبان الدولة الأكادية في العراق أي في نهايات الألف الثالثة.

آلهة قوم إبراهيم (ع)

التفاصيل في القرآن الكريم عن آلهة قوم إبراهيم لا نجدها في أي مصدر آخر، فنراه يراجع نفسه ويتأمل في شأنها:

﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۖ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۖ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾.

في هذه الآيات إشارات واضحة إلى عبادة الثالوث الكوكبي المتمثل بسين (القمر) وذات حميم (الشمس) وعشر (الزهرة)، وهي العبادات التي كانت معروفة في الجزيرة العربية.

أما في بلاد ما بين النهرين، وهي التي لم يكن إبراهيم (ع) قد عاش فيها، فقد كانت ديانة الأكاديين (المعاصرين لإبراهيم والقادمين من الجزيرة العربية) متأثرة إلى حد بعيد بديانة السومريين وهم سكان بلاد الرافدين القدماء. وكان في هيكل ألهتهم الكثير منها ولكن في الطليعة نرى أنه برز (Anu) ملك الآلهة و(Enlil) ملك الهواء و(Enki) إلهة الحكمة، وتبعتهم بعد ذلك نعمة (Nimah) أم الحياة و(Damuzi) أو تموز الملك الراعي وكذلك (Ninurta) إله الحرب. صحيح أنهم عرفوا (Nanna) القمر و(Utu) الشمس و(Inanna) الزهرة لكن الظاهر أن

(1) سورة الأنعام، الآيات: 75 - 79.

إبراهيم (ع) وآله في جزيرة العرب

عبادة هذه الثلاث الأخيرة قد دخلت إليهم بتأثير من الموجات السامية التي كانت الجزيرة العربية تبثها فترة بعد أخرى.

ومن الممكن أن تحطيم الخليل للأصنام ثم معجزة تخليصه من النار كانت بالفاو قصبة وادي الدواسر بالعصر القديم، وربما نكتشف في يوم من الأيام المعبد الذي كان مركز العبادة في تلك المنطقة. المهم أن إبراهيم (ع) امتثل لأمر ربه ونزح عن خيران (ح ر ن) إلى الأرض المقدسة، وكان يومذاك يتكلم اللهجة الآرامية شأنه شأن أسلافه النجديين، بل وسمى أول أبنائه باسم آرامي هو إسماعيل ومعناه: سماع الله أي استجابته. ثم تقول الآيات:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾ فأين كانت هذه الأرض؟

إبراهيم الخليل ومكة المكرمة

المعروف عند المسلمين أن إبراهيم الخليل (ع) أعاد بناء الكعبة المشرفة التي كانت قد أنشئت في وقت مبكر جداً من نشوء الانسانية:

إن أول بيت وضع للذي بكة مباركاً، فيه آيات مباركات: فيه مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً.

وموقع الكعبة التي هي قبلة المسلمين مهم جداً، وهناك اعتقاد بأنها كانت منذ عهد آدم، وعند حدوث طوفان نوح ضاعت معالم البيت تحت الكثبان الرملية، وكانت الناس تعرف بوجود البيت في الوادي دون الاهتداء إلى مكانه، ولذلك جاء على لسان إبراهيم عند تركه هاجر والطفل إسماعيل في وادي مكة:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾⁽²⁾.

قال عند بيتك المحرم مع أنه وقتذاك كان البيت ما زال مطموراً تحت الكثبان الرملية، ولكن الله ألهمه لإيجاد موقعه:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾⁽³⁾.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 71.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 37.

(3) سورة الحج، الآية: 26.

﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾⁽¹⁾.

التطهير هنا من الرمول التي تغطيه من وقت طوفان نوح (ع).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽²⁾.

أسماء مكة⁽³⁾:⁽⁴⁾ وعددها 56: العروش، السيل، مخرج صدق، البيّنة، المعاذ، أم زحم، أم القرى، أم صبح، البلد، البلدة، البلد الأمين، البلد الحرام، الرتاج، الناشر، حرم الله تعالى، بلد الله تعالى، فاران، الباسه، الناسه، طيبة، القادس، المقدسة، قرية النمل، نقرة الغراب، قرية الحمس، الصلاح، الحاطمة، الكوثى، السبوحه، السلام، العذراء، النادرة، الوادي، الحرم، النجر، القرية، بكة، مكة، العرش، العرش، العرش، العروش، الحرمة، العريش، تره، الساق، البيت العتيق، الرأس، القادسية، المسجد الحرام، المعطشة، المكنان، النامية، أم روح، أم رحمان، أم كوثى.

ونعود إلى النص التوراتي الذي يقول بأن إبراهيم وصل إلى أرض مر ووجد فيها قوماً من كنانة⁽⁵⁾.

وكنانة هي من (كنعان) بن حُمَيّ (حام) ابن نوح وأنجب أولاداً تحدر منهم أبناء: سعد، حوت، الباسيون (الباسة مكة)، العمريون، القرقاشيون، الحافيون، ذوو عرق، السايونيون، العراديون، السمرة والحماطيون؛ وهذه قبائل كانت وما زال بعضها معروفاً في الحجاز ولا وجود لها بفلسطين لا قديماً ولا حديثاً!

وبعيد وصوله وفي موقع اسمه شكّم⁽⁶⁾ (قرب حوية الطائف) بنى مذبحاً لله بعد أن ظهر له، ثم لاحقاً نصب خيامه بين بيت ايل (الجعرانة) غرباً والعَيّ (عيفان) شرقاً حيث بنى هناك مقاماً آخر.

(1) سورة البقرة، الآية: 125.

(2) سورة البقرة، الآية: 127.

(3) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الفاسي.

(4) الإعلام بأعلام البلد الحرام، النهرواني.

(5) سفر التكوين، الإصحاح 12، الجملة: 6.

(6) سفر التكوين، الإصحاح 12، الجملة: 6.

﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾⁽¹⁾.

فنستنتج بأن إبراهيم ولوط وأتباعهما انطلقوا من وادي الدواسر إلى أرض صفتها مباركة؛ فلا بد أنهم توجهوا إلى مكة لأنه لا علم لنا بأرض مقدسة سواها وإلا لكان الله أعلمنا بذلك في كتبه وعبر رسله؛ وهي ينطبق عليها وصف «باركنا فيها» فأول منازل الحجاز للقادم من نجد على طريق القوافل هو مرّ الظهران ولعل المذبح الذي أقامه كان قرب قرن المنازل التي صارت ميقاتاً لأهل نجد فيما بعد.

ثم تورد التوراة أن إبراهيم ارتحل لاحقاً مع جماعته إلى (ن ج ب ه) ومعناها الجنب وهي ترمز إلى إقليم جنوب الطائف. ثم كان رغبً (قحط عام) فانتقل إلى مصر.

أول ذكر للجمل

ولما اقترب أبرام (هكذا كان إسم إبراهيم بداية) من مصر⁽²⁾ (ربما مطرة بالحبشة وصارت بآثارها الهامة داخل أريتريا بعد التقسيم) استرعى جمال ساراي (هكذا كان إسم سارة بداية) أنظار المصريين. وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون وأشادوا بها أمامه؛ فأخذت إلى بيته. وأحسنَ إلى أبرم بسببها كما أُجزلَ له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والإتن والجمال.

كما ورد ذكر الجمل في العرض القرآني لقصة سيدنا يوسف (ع) في أكثر من موضع، وهو من جيل الآباء الأوائل (Patriarchs) أي إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۝ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ۝ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾⁽³⁾.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 71.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 12، الجملة: 14 وما بعدها.

(3) سورة يوسف، الآيات: 69 - 72.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۚ لَوْلَا أَن تَفْقَهُونَ﴾⁽¹⁾.

لقد زرت وزار غيري معابد بلاد النيل وتأملنا روعة الجداريات المليئة بشتى التصاوير للحيوانات والطيور فلم نر رسماً واحداً لجمل لا في منطقة ممفيس العاصمة الشمالية (للمملكة القديمة) ولا في المنطقة الوسطى في معابد الكرنك (عاصمة المملكة الوسطى والمملكة الجديدة) ولا في المعابد الجنوبية في أبي سمبل وفيلة!

تساؤلات إضافية حول مصر

وحتى العصر الجاهلي وبدء الدعوة كانت مصر تسمى بلاد القبط. والنبي محمد (اللهم صلّ عليه) عندما راسل الأقباط في بداية دعوته أرسل اليهم كتاباً لم تذكر فيه كلمة مصر أو المصريين:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل القبط. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أولياء من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (محمد رسول الله).

وعاد المرسل ومعه هدايا منها القباطي وجاريتان قبطيتان هما ماريا وشيرين، ولم نسمع أحداً سمى أم إبراهيم بالمصرية؛ فلقبها كان دائماً «القبطية». وسيتبع في فصل مستقل من الكتاب حيثيات أن مصر التوراتية كانت مملكة بالحبشة لا غير!

عندما نأتي إلى التاريخ المدون نجد أن الملك الفارسي قمبيز - من الأسرة الأخمينية - تمكن في العام 525 ق. م. من احتلال مصر معتمداً في عبوره لصحراء سيناء على مساعدة الأعراب الذين حملوا له قِرب الماء على جمالهم، وظل حتى اللحظة الأخيرة غير متحقق من إمكانية النجاح في الوصول إلى أرض الكنانة. فقبله لم يسبق لأي جيش أمبراطوري أن اجتاز صحراء سيناء. وعلى ذمة هيرودوتس فلولا

(1) سورة يوسف، الآية: 94.

خيانة الوزير المصري فانس الذي أطلع قمبيز على ضعف البلاد الداخلي ودله على عوراتها لما تمكن من الاستيلاء عليها. أما من زعم بأن نبوخذ نصر الكلداني قد دخل إلى مصر ودمر العاصمة طيبة (الأقصر) فقد اعتمد فقط على رواية العهد القديم الذي لم يعطنا بالطبع إحدائيات المواقع الجغرافية لغزوات نبوخذ نصر. وليس هناك ما يؤكد ذلك في المدونات النيلية القبطية. وليس من المنطقي لمن وُفِّق في دخول مصر - جوهرة العالم القديم - أن يدمرها وينسحب منها!

كما أننا لا نستطيع التحقق من غزو الأثوريين لبلاد القبط بالاعتماد حصراً على ما ذكرته المدونات المسمارية بكلمة واحدة فقط بآخر لائحة طويلة عريضة من المدن التي أدبها سرجون الثاني (724 - 705 ق. م.) وأخذ منها الجزية. فقد جاء أنه بالسنة السابعة لحكمه (أي سنة 715 ق. م.) أدب تمودي وأباديدي ومرسماني وخيبة وهزمهم. ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من شمسة ملكة أريبي ومن برعو ملك مصري ومن بتع (تبّع) أمير السبئي. وذكر أن الجزية كانت من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والخيول والإبل! وذكر الإبل هنا إثبات بأن «مصري» لم تكن بلاد القبط التي لم يدخلها الجمل قط قبل قمبيز ولا أصبح الجمل مستعملاً فيها بشكل عادي قبل العصر الروماني. كذلك الأمر بالنسبة إلى العاج والذهب وهما من حاصلات إفريقيا.

عودة الخليل إلى الحجاز

ثم تورد التوراة أن إبراهيم (ع) عاد من مصر إلى الجنب حيث افترق عن لوط بحيث سكن إبراهيم في أرض كنانة؛ ربما بمنطقة ربوع العين بأعلى وادي العرج من محافظة أضرم بتهامة جنوب مكة اليوم، بينما سكن لوط على المقلب الآخر من السراة ما بين سيدان بني سيد وعامر من بلاد زهران.

وعلى مقربة شمالاً وقف الخليل⁽¹⁾ على جبل إبراهيم (بثرة) حيث أراه الله دائرياً الأراضي التي كتبها لتكون له ولذريته: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁽²⁾.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 13، الجملة: 14.

(2) سورة المائدة، الآية: 21.

ووقعت حرب بين حلف عسيري (شعار، الجوثيين، السر، وعيلان) وحلف حجازي زهراني (من سيدان بني سيد وعامر وأديمة وظبيان قرن ظبي وصغرة بني حسن) كان الظفر فيه حليف العسيريين، فسبى المنتصرون فيه كل من وجدوه في طريقهم وبينهم لوط. وهب إبراهيم لنجدة لوط وتعقب المهاجمين واستطاع أن يسترجعه منهم، وفي عودته تلقى تهنئة من ملك صالح على دين الأنبياء الأوائل (نوح، هود، صالح) لقبه ملك الصدق وكان حاكماً لسليم من زهران.

ولو أن منازل إبراهيم ولوط كانت ما بين ما يسمى اليوم بصحراء النقب والخليل والبحر الميت لوجب أن تقع قرى المؤتفكة على طريق القوافل لكنها بعيدة عنها، ولا يستطيع الواقف بالقرب من الخليل أن يراها. فكل هذه العوامل بالإضافة إلى عدم وجود الجمال بفلسطين في تلك الحقبة يجعل من الصعب قبول الجغرافيا التقليدية المعطاة للأماكن الواردة بالعهد القديم.

ثم كانت قصة إعطاء سارة جاريتها هاجر لإبراهيم زوجة⁽¹⁾؛ فلما حملت بإسماعيل غارت منها مولاتها وأذلتها فشردت منها ثم وجدها الملاك وبشرها بإسماعيل (ع). وفي نهاية الإصحاح نعلم أصل تسمية جبل حراء (الحي راء) وتأكد أن الموقع كان بين قادس (مكة) وماء البرود وهي آخر محطة على درب زبيدة لمكة.

ثم كانت قصة دمار المؤتفكات⁽²⁾.

وجاء في القرآن الكريم أيضاً بمعرض قصة لوط أن إبراهيم (ع) كان يقيم على مقربة نسبية من منازل لوط:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا...⁽³⁾

وبأن هذه المنازل كانت على طريق القوافل التي كانت تمر عليها قريش فيما عرف بالجاهلية القريبة من الإسلام بدرب الفيل:

(1) سفر التكوين، الإصحاح 16، الجملة: 3.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 19، الجمل: 24 - 25.

(3) سورة العنكبوت، الآيتان: 31 و32.

﴿وَأَنَّا كُنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۖ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾.

كما أن هلاك قرية (س د م) وهي سيدان بني سيد الزهرانية التي كان لوط يسكن فيها كان ولا شك نتيجة لبركان ثائر من حرات العقيق المجاورة للباحة مما أدى إلى دمارها الذي شهده إبراهيم بصعوده لجبل إبراهيم (بثرة) بعد ذهاب «الضيوف» من عنده ومعرفته وجهتهم؛ إذ كان قلقاً على ابن أخيه «إن فيها لوطاً»، وكان الجبل يبعد عنه فقط 25 كيلاً.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ۖ مُّسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾⁽²⁾:

وبالتوراة وصف للدخان كالماتّي من خلط الجير الحي بالماء، والحجارة كأطار من كبريت ونار!⁽³⁾

كذلك القرى الأخرى التي سماها القرآن بالمؤتفكة: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَىٰ ۖ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾⁽⁴⁾:

نجد بسراة زهران هذا التجمع: سيدان بني سيد، عامر، أديمة، ظبيان قرن ظبي وصغرة بني حسن. وكان لوط قد وصف روضة بني سيد (سيدان) وسيلها النازل من كرا كجنة من جنان مصر! وابناه كانا فيما بعد: منهب وغنم وهما اسمان معروفان بدوس زهران.

وسارة كانت بمنطقة ربوع العين بأعلى وادي العرج بمحافظة أضرم بتهامة عندما أتتها البشارة بقدوم الرسل إلى إبراهيم في طريقهم لتدمير قرى لوط: ﴿فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾⁽⁵⁾.

فحملت سارة وولدت إسحق، وعند فطامه وقع الخلاف ثانية بين سارة وهاجر؛ فأخذها إبراهيم (ع) وإسماعيل وانتقل بهما إلى بركة بئر الشباعة أي زمزم، حيث بقي إسماعيل. ثم يخبرنا القرآن بأنه لاحقاً ساعد أباه على إعادة بناء الكعبة المشرفة بعد أن بين الله له موقعها الذي كان مطموراً بالأتربة من زمن طوفان نوح:

(1) سورة الصافات، الآيتان: 137 و138.

(2) سورة هود، الآيتان: 82 و83.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 19، الجملة: 28.

(4) سورة النجم، الآيتان: 53 و54.

(5) سورة هود، الآية: 71.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾⁽¹⁾.
 ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ﴾⁽²⁾.
 ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽³⁾.

ولا يعترف اليهود بقراءتهم الخاصة للنصوص بأية علاقة لإبراهيم بمكة وتهامة، وقد استطاعوا عبر تفسيرهم الخاص أن يؤثروا في تفكير المسلمين الذين والفوا بين رواية القرآن والتراث العربي ببناء إبراهيم للكعبة وبين أخبار الإسرائيليات؛ فتخلوا أن إبراهيم، وهو وقتذاك شيخ طاعن في السن، قد قسم وقته متنقلاً بين بيته في فلسطين وعائلته في تهامة. وهو أمر لم يكن أيضاً ليتم بدون إيل وهي لم تكن متوافرة بفلسطين في ذلك الزمن فتصوروا بأنه كان يمتطي البراق ذهاباً وإياباً؛ وهو من الخيال! ثم كانت قصة الذبيح وأنه إسحق⁽⁴⁾ وقد أورد ابن كثير⁽⁵⁾ بأنه ليس هناك إجماع بين علماء المسلمين على هوية الغلام مع ترجيح أنه كان إسماعيل (السهيلي وكعب على أنه إسحق) لأن البشارة بإسحق جاءت معها البشارة بيعقوب من بعده وبذلك لن يكون هناك رجوع بعد الوعد الإلهي له. كما أن التوراة نفسها ذكرت⁽⁶⁾:

خذ ابنك وحيدك...! مما يعني إسماعيل و ذلك قبل أن يولد إسحق.

تخبرنا التوراة بأن إبراهيم (ع) ذهب بأحد ابنيه إلى أرض «م ر ي» والمقصود بها المروة بمكة، ثم افتدى الله الغلام بالقصة المعروفة، وبعدها عاد إبراهيم (ع) إلى أرضه بربوع العين بوادي أضم حيث توفيت سارة⁽⁷⁾؛ فاشترى إبراهيم لدفنها أرضاً قرب شعاب نمرة بوادي سدر شمال ربوع العين بمحافظة أضم جنوب مكة. أما القبة

- (1) سورة الحج، الآية: 26.
- (2) سورة البقرة، الآية: 125.
- (3) سورة البقرة، الآية: 127.
- (4) سفر التكوين، الإصحاح 22، الجملة: 2.
- (5) البداية والنهاية، ج 1، ص: 159.
- (6) سفر التكوين، الإصحاح 22، الجملة: 2.
- (7) سفر التكوين، الإصحاح 23، الجملة: 2.

المضروبة بالخليل فقد تم إنشاؤها بعهد الملك هيرودوس الكبير قبل الميلاد ببضعة عشر عاماً، وقد نزل تحتها آثاريون بريطانيون في أثناء الانتداب فوجدوا بئراً مخصصة لجمع الأمطار الشتوية.

شعر إبراهيم وإسحق بحاجتهما إلى ربة منزل بعد وفاة سارة. وشاء أن لا يزوج إسحق من بني كنانة فأرسل عبده العازر وهو من دماشقة مذبح إلى موطن أهله الإرميين بخيران بمنطقة السليل من وادي الدواسر (تكوين 24)، فأتى بربة ابنة نحور أخي إبراهيم.

ولما مات إبراهيم دفنه إسماعيل وإسحق بقبر سارة بالمغارة عند شعاب نمرة من وادي سدر شمال ربوع العين.

ذرية إبراهيم (ع)

وعاد إبراهيم فاتخذ زوجة بعد سارة واسمها قطرة/كتارة⁽¹⁾ التي أكثرت له الولد؛ فأنجبت له: زمران، قيس (لا يقشان) مدآن، مدنة، السابق، والشحي. وقيس ولد شيان ودودان (الذي يقرن ببني أسد). وكان بنو دودان: ثور وطسم وأميم. وبنو مدآن: عوف (ثقيف وعدوان ومعاوية) وغفار (جاشم العماليق) وحنش (ناصره بلحارث)، وعبيد (سالم وسفيان والاثنان من ثقيف)، ووازع (البقوم).

إسماعيل

قصة هاجر وولدها إسماعيل (ع) كانت عند بئر الشباعة بالتسمية التوراتية، وعندنا زمزم؛ وهي تسمية مرتبطة ببني السמידع العماليق (الرفاعيين) الذين كانوا موجودين بأسفل مكة. تقول التوراة بأن نشأة إسماعيل كانت بفاران وهي أرض الفروان الواقعة بمخلاف عثر شمال صيبا وهو آخر أقاليم منطقة مكة تاريخياً، وكان في وقت مضى تابعاً لملوك بني طرف موالي بني مخزوم. بعده جنوباً كان يبدأ مخلاف حكم المذحجين وهو أول أقاليم مصر التوراتية لجهة تهامة؛ إذ كانت تبدأ من وادي نخلان الواقع اليوم شمال صيبا. وعندما تقول التوراة بأن أمه اتخذت له زوجة من مصر فالمقصود هنا الأرض المجاورة لأرض نشأته. وفي سفر السموأل⁽²⁾ ما مفاده أن داود (ع) قبل أن

(1) سفر التكوين، الإصحاح 25، الجملة: 2.

(2) سفر السموأل 1، الإصحاح 27، الجملة: 10.

يؤتيه الله الملك احتفى من سحق شاول عند عكاش أحد زعماء الفلاسيين؛ وكان يومه بأنه كان يغير على جنوب أراضي هذيل وكذلك على ما جاورها من أراضي القناوين (وادي قنا) وأراضي الجرهميين (بالقراءة اليونانية)، فلربما من هنا جاء في التراث العربي أن أمه اتخذت له زوجة من جرهم! وهؤلاء (راجع ص 163) هم غير جرهم التي تولت سدانة الكعبة والتي سنتناولها بفصل القضاة.

ثم نعلم أنه أولد 12 «نشمياً»، وأن أراضيهم كانت بين أرض حوالة شمالاً ووادي الشرى جنوباً⁽¹⁾. وكانت أسماؤهم كالتالي: نبت، وقادر، الدعبل والمباسم، وماء السماء (مشمع) (أبو عامر أبو الأزد)، ودمة، وميشع، وحداد وتيمن، وطور، ونفاعة، وقديمة. وقدم إبراهيم (ع) عطايا لأبناء السراي وصرفهم لأرض بني قديمة الإسماعيليين.

يعقوب (إسرائيل) وذريته

أما ربة زوجة إسحق (ع) فقد أنجبت لإسحق فيما بعد طفلين توأمين: عيص (ولقبه أدوم/عدنان!) ويعقوب؛ الذي استغل جوع أخيه لانتزاع حق البكورية منه⁽²⁾ ثم خدع أباه (بتشجيع من أمه) لنيل بركته دون أخيه؛ فحقده عليه أخوه فهرّبه أمه إلى ديار خاله بخيران قرب السليل بوادي الدواسر. وفي طريقه توقف في مكان ظهر له فيه معراج سماوي فسمى الموقع بيت إل (الجعرانة اليوم). ومكث يعقوب عند خاله لبن عشرين عاماً⁽³⁾ وتزوج بابنتيه رخل (راحيل) وليثة. وكذلك من جارتيهما زليفة وبلحة، فأنجب من الأربع زوجات اثني عشر ولداً وبنثاً واحدة اسمها دانة. وغادر يعقوب مع أهله ونصيبه من الماشية دون إذن خاله فأدركه هذا الأخير عند حرة المناصف. وهناك تصافيا وتعاهدا على طي الخلاف بينهما. وأكمل يعقوب طريقه

(1) سفر التكوين، الإصحاح 25، الجملة: 12.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 25، الجملة: 33.

(3) سفر التكوين، الإصحاحات 29 - 31 بالكامل.

نحو ديار أبيه، ولاقته الملائكة مهنئة إياه بسلامة الوصول في مكان أسماه المناحي عند تربة حيث تصارع ليلاً مع شخص غريب ووقتذاك لقب بإسرائيل أي إسرائء الله. ثم بعدها التقى أخاه العيص⁽¹⁾ الذي أتاه من سراة الحجر، وكانت مصالحة شكلية بينهما.

ثم بنى يعقوب مظلة لغنمه وهي التي ما زالت معروفة بنجد الطائف إلى اليوم بإسم مظلة. ثم انتقل قرب الحوية حيث وقعت حادثة لابنته مع شكيم بن حمير الحافي. ثم انتقل إلى بيت أل، ثم أكمل طريقه لوالده لكن رخل أم يوسف قضت بالطريق وهي تضع بن يُمن فدفنت بصعيد عرفة حيث أقام شاهداً على قبرها؛ وهو لليوم الشاخص فوق جبل الرحمة بعرفة⁽²⁾! ثم وصل أخيراً إلى ربوع العين أرض أبيه إسحق. وبعد موت الوالد بقي هناك وأبناؤه مع أرزاقهم المنقولة.

وحدث أن أرسل يعقوب ابنه يوسف لتفقد إخوته وهم يرعون ماشيته بنواحي أضم بين دثن وبيرين⁽³⁾. فلما رأوه ائتمروا به وكادوا له لأنهم كانوا يغارون منه لفرط محبة أبيهم له فرموه في جب حيث التقطته قافلة إسماعيليين من مدآن من نجد بلحارث كانت متوجهة من جلدان عبر ميسان والعرج إلى مصر (إقليم الحبشة) حيث بيع يوسف لينشأ بيت أحد الوجهاء المقربين من ملكها بمطرة وليمكن الله له في الأرض. هنا بقصة يوسف القرآنية لا ذكر لفرعون! الملك لفظه كانت تطلق في بلاد العرب على ملك اليمن، وفي بلاد اليمن كانت تطلق على ملك الحبشة؛ فقد ورد بالنقوش المسندية عبارات ملك اكسمن (ملك إكسوم) وملك حبشت (ملك الحبشة). ثم كان مجيء إخوة يوسف في أثناء المجاعة التي ضربت الجزيرة بسبب الجفاف واستمرت سبع سنين عجاف انقطعت فيها الأمطار والسيول. وكان منه أن أكرم وفادتهم وردّهم إلى ديارهم معززين مكرمين بل وأعاد لهم فضتهم التي كانوا قد دفعوها ثمناً لما حملوه من الغلال. وطالت الأزمة فنراهم يطلبون من والدهم الإذن بالعودة للتزود من مصر مرة أخرى، حتى لا يهلكوا وماشيتهم

(1) سفر التكوين، الإصحاح 33، الجملة: 1.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 35، الجملة: 20.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 37 بالكامل.

من المجاعة، فقال لهم أبوهم⁽¹⁾: «إن كان لا بد من ذلك فافعلوا، وخذوا معكم هدية للرجل، واملأوا أوعيتكم من خير جنى الأرض وبقليل من البلسم والعسل والمسك واللادن والكثيراء واللوز. وخذوا معكم فضة أيضاً». هنا جملة هامة جداً وهي الدلالة على خيرات البلاد من البلسم (المشهور ببلسم مكة) والعسل (عسل جبال تهامة) والمسك (من الغزلان)، واللادن، وهذه تجتمع إنتاجاً في أرض الجزيرة العربية، ولا تنتج في فلسطين. ثم بقية القصة معروفة حيث انتهت باستدعاء يوسف لكامل عائلته للإقامة معه في مصر (مطرة وهي اليوم بأرتريا) بشكل نهائي (تكوين 46). وقبل توجهه يعقوب إلى مصر توجه إلى بئر الشبابة (زمزم) لعمرة حيث عثر لله (عند بيت الله الحرام وهناك إغفال لذلك)، ثم غادر للقاء يوسف الذي أنزل أباه وإخوته بمراعي إكسوم (ج ش ن) الخصيبة. وكانت مصر التوراة تشمل إقليمي اليمن والحبشة كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً. وعلى كل حال فمصر الحالية لم تكن جزءاً من أرض بني إسرائيل المزعومة بفلسطين حتى في أوج اتساع مملكة داود وسليمان! وعند موته تولى يوسف دفن يعقوب بقبر أبيه وجده بتهامة وعاد القوم إلى إكسوم. وبقي بنو إسرائيل بإقليم إكسوم قروناً عديدة إلى أن أذن الله لهم بالخروج على يد موسى (ع).

ذرية العيص؛ الأخ التوأم ليعقوب⁽²⁾:

الإصحاح 36 من سفر التكوين مخصص لذرية العيص الذي ضاقت به الأرض بعد خديعة أمه وأخيه فقرّر الهجرة من أرض أبيه بربوع العين بأضم ويمم شطر السراة التي كان سبقه إليها عسير (ش ع ي ر) الحجري وهو من بني الحاف الكنانيين. وعاد أبناء العيص فغلبوا على بلاد الإحجور وهي لليوم من سراة عسير. وبأرض كنانة كان العيص/الغوث قد تزوج من:

- 1 - فتاة كنانية هي عائذة؛ وهي كنانية من بني حوت؛ (ولدت له الفايز ومن ذريته: عمليق، تيم، عامر، صفى، خثعم وقنص/قنعر)
- 2 - واهلية وهي ابنة غني بن صبعان الحافي (ولدت له: عياش وعلام، وقارح).

(1) سفر التكوين، الإصحاح 43، الجمل: 11 وما بعدها.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 36 بالكامل.

3 - فلما رأى امتعاض والديه مضى وتزوج لإرضائهما بشامة ابنة إسماعيل (فولدت له: ناهس، ذراح، شمة، ومزة)، وفي نص مغاير أن اسمها كان محلّة! أشير نهاية إلى بعض ذرية عسير الحجري الكناني الذي صاهره العيص: حجر، أمامة، عييل، صبعان، أياد، غني، دوس، حمدان، قرن، عقان، عوض، عرن/عدن!

أقارب إبراهيم (ع) الذين بقوا بإرم أي النجد من وادي الدواسر:

هنا نجد ذكراً لبعض الأسماء من الأجداد الجاهليين وردوا بمعرض الأنساب العربية القديمة⁽¹⁾، فقد تبّلع إبراهيم (ع) أن مليكة زوجة أخيه نحور ولدت له ثمانية أولاد ذكور هم: عاص وباز وكميل (أبو إرم)، وقاسط وحيدة وبلدس ودلاف وبتيل (أبو لبن وربقة زوجة إسحق)، أما جارية نحور واسمها رائمة فولدت له: طابخة (طابخ) وجميع (جاحم) وداحس (تاحش) ومكعت أو قمعة (م ع كة). وفي نسب عترة بن وائل تظهر أسماء قاسط (الذي يقرن بأسد) بحسب أكثر أهل النسب ورائمة بحسب صاحب الأغاني! وهم إخوة بكر وتغلب ابني وائل، وبنو عم عترة بن أسد القبيلة الموجودة اليوم والتي تندرج تحتها عائلات كريمة لم يرد ذكرها بالعهد القديم وعوائل أخرى وردت أسماء عواهل منها بكتاب الملوك (آل هذال / بن حديد)! وقد جمع نسابة العرب تحت طابخة: تميم وتيم -الرباب (ثور أطحل وضبة وعدي وعكل ومزينة)، وأوردوا طابخة وقمعة (أبو خزاعة) على أنهما من أولاد إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان! وعدنان بحسب الطبري كان قد تصدى لنبوخذ نصر عند ذات عرق الميقات المكي المعروف حوالي 594 ق م! بينما بحسب التوراة فإن بعض هؤلاء الآباء الجاهليين كانوا معاصرين لإبراهيم (ع) أي عاشوا في القرن الـ20 ق م! من هنا نرى لماذا ورد عن النبي (ص) كراهيته الخوض في أنساب ما فوق معد العدناني!.

التوراة المكتوبة بلهجة كنانة العربية قبل 4000 سنة (وليس بشفة كنعان) هي ديوان العرب المفقود للفترة ما بين نوح ومعد العدناني، وهي فترة تاريخية مظلمة بالنسبة إلينا؛ ولم يردنا منها سوى أسماء معدودة مثل: جرهم والسميدع والعماليق!

(1) سفر التكوين، الإصحاح 22، الجمل: 20 - 24.

ولأن العزيز بحسب التراث اليهودي قد قام بإعادة كتابتها ببابل من خط قديم كتبت فيه بالأصل إلى الخط الآرامي القديم فقد ضاعت دقة أسماء القبائل والشعوب والأقاليم الجغرافية، وحاد الجميع عن الصواب عند تحديد المسرح الصحيح لأحداث التوراة! فالجدير بنا إعادة النظر بكل شيء عند مراجعة الأنساب، خاصة في ضوء نتائج الأحماض النووية الحديثة.

ولأن العزيز بحسب التراث اليهودي قد قام بإعادة كتابتها ببابل من خط قديم كتبت فيه بالأصل إلى الخط الآرامي القديم فقد ضاعت دقة أسماء القبائل والشعوب والأقاليم الجغرافية، وحاد الجميع عن الصواب عند تحديد المسرح الصحيح لأحداث التوراة! فالجدير بنا إعادة النظر بكل شيء عند مراجعة الأنساب، خاصة في ضوء نتائج الأحماض النووية الحديثة.

أيوب (ع) نبي آخر من نجد

عددنا حتى الآن أربعة أنبياء لهم علاقة بنجد : نوح (ع) الذي ابتداء دعوته بالطائف وانتهى بالقرب من عودة سدير باليمامة، ثم هود وصالح باليمامة، ثم إبراهيم (ع) الذي ولد باليمامة واهتدى بخيران وادي الدواسر ثم أمره الله بالهجرة للأرض المباركة وهي أرض كنانة بتهامة الحجاز، وأيوب (ع) هو النبي الخامس!

إذا كانت التوراة هي أقدم الكتب المخطوطة بإحدى الأبجديات المعروفة، فإن صحف إبراهيم وهي سفر التكوين هي الأقدم يتبعها سفر أيوب تليها أسفار موسى الأربعة وهي : الخروج ، العدد، اللاويين، وأخيراً الشريعة؛ وهذه الأربعة كلها فيها تشريع .

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

لماذا سفر أيوب أقدم من أسفار موسى؟ لأن لا أثر فيه للتشريع الموسوي! واليهود تعتبره سفرًا مترجمًا عن أصلٍ آرامي أو عربي! ومما يؤكد ذلك أسلوب التعبير عن العلاقة بين الإنسان والخالق؛ فهو مغاير للإسلوب الشخصي في المخاطبة بالتوراة وعلى نحو قريب مما نرى في الصياغات الإسلامية من تقديس واحترام، كما يحتوي على إشارات واضحة عن اليوم الآخر وهو ما لا نجده في التوراة فقد جاء مثلاً:

(١) سورة الأنعام، الآية: 84.

”أما أنا فقد علمت أن وليي حي وفي الآخرة على الأرض يقوم“⁽¹⁾.

وكما أشرنا فإن سفر أيوب خال تماماً من الإشارة إلى موسى أو بني إسرائيل مما يرجح أنه عائد لعصر أبناء إبراهيم الذين غادروا الحجاز.

وفي التراث العربي نجد عند الحديث عن أصل الكتابة تعبير «كاتب الوحي للنبي هود». وهود (ع) أرسل الى قوم عاد وهم من الآراميين (أو الإرميين) وعاش قبل إبراهيم بستة أجيال على الأقل ، كما تبين في فصلي هود وصالح؛

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾⁽²⁾، فالإشارة الأولى عن الكتابة في التراث العربي كانت للإرميين من قوم عاد والذين صنفوا في خانة العرب البائدة. ولعل بعض ما سجله هود قد وصل إلى إبراهيم (ع) الذي نشأ في القرن 20 ق.م. بين الإرميين وتكلم بلغتهم إلى أن انتقل إلى أرض كنانة ومن ثم اتخذ من لغتها/ لهجتها (شفة كنعان) لساناً له ولبنيه.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾⁽³⁾.

الإرميون الأوائل هم من نسل إرم **אַרם** وهو من أبناء سام بن نوح ، ومنهم كان قوم عاد (ع وص ابن إرم) الذين كانوا باليمامة ثم انتقل قسم منهم لوادي الرمة بالقصيم كما بينا في فصل هود. ومن نجد انطلق الخلدان (رهط هود بحسب ابن خلدون) الإرميون إلى وادي الفرات ليؤسسوا الامبراطورية الخلدانية (الكلدانية) العظيمة.

وما يلفت النظر في سفر أيوب أن لغته الراقية تعتبر من أعلى ما ورد في العهد القديم بلاغة، كما لا تضاهيه في رقة الإسلوب إلا لغة المزامير الشعرية. وهذا يطرح عدة أسئلة: من كان أيوب؟ وأين ومتى عاش؟ وأية لغة وصلت إلى هذا النضوج والرقى في تلك الحقبة الغابرة من الزمن؟ بل وبأية أبجدية كتب؟ علماً أن من علماء التوراة ، كما أشرنا، من يطرح أقدميته على سائر الأسفار باعتبار موسى كاتب الأسفار

(1) سفر أيوب، الإصحاح 19، الجملة: 25.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 4.

(3) سورة الأعلى، الآيتان: 18 - 19.

الخمسة الأولى بما فيها سفر التكوين (وهو صحف إبراهيم)! وسفر أيوب أخاذ يتنقل بنا من الثراء إلى الفقر المدقع، ثم إلى الثراء مرة أخرى. فيه دروس وعبر عن امتحان الله لعباده والتسليم المطلق لمشيئة الله.

مختصر قصة أيوب:

كان أيوب⁽¹⁾ مزارعاً ناجحاً في أرض عاد (٢١٧) (ع و ص)، عنده الآلاف من الغنم والجمال وغيرها من المواشي، وعائلة كبيرة وعدد كبير من الخدم. ويمثل الشيطان الرجيم أمام الله مدعياً بأن أيوب إنما يتكل على الله لأنه غني ولأن كل أحواله تسير على خير ما يرام ويدعي بأن الوضع سيختلف تماماً إذا ما تغيرت الظروف من حوله. وهكذا يبدأ امتحان إيمان أيوب.

ويسمح الله للشيطان بأن يقضي على أبنائه ومواشيه، ولكنه يظل متكلاً على الله، ثم يصيبه في جسده بقروح مؤلمة ولكنه يظل صابراً. ويقول له أصحابه بأن أسباب بلواه هي معاصيه وينصحوه بالتوبة؛ ولكنه يعاني بصبر وصمت متمسكاً ببرائته. في النهاية يكلمه الله من خلال ريح عاتية ويخر أيوب ساجداً وعاجزاً عن الكلام من خشية الله. ويوبخ الله أصحاب أيوب ويشني عليه لتسليمه بقضائه وحكمته. وتنتهي القصة باستعادة أيوب لصحته وسعادته وثروته.

أسماء الأماكن المذكورة في السفر:

عاش في أرض عاد⁽²⁾

هاجمنا غزاة شيبان⁽³⁾ שבא

غزتنا ثلاث فرق⁽⁴⁾ من القاسطين (أو الجدسيين) כשדים كذا بالتوراة العبرية،

والخلدان بالنسخة اليونانية

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 1076.

(2) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 1.

(3) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 15.

(4) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 17.

هبّت ريح شديدة من عبر الصحراء⁽¹⁾
قوافل تيماء⁽²⁾ وقوافل سبأ **תמא** (تيماء قد تكون طي ماء)

ومن الشخصيات الرئيسية

أيوب⁽³⁾ **איוב**

الفاتر التيمني⁽⁴⁾ **התימני** والتي قد تكون إشارة لقبيلة طي ماء أو حتى تميم

بلدد الشحي⁽⁵⁾ **השוהי** من الشحوح من أبناء إبراهيم (ع) من قطرة/كتارة

ظافر النعمتي⁽⁶⁾ من قبائل النعمان

آل هو بن بارك الله البازي، من عشيرة الرمة⁽⁷⁾ **רם**

وعاد(ع و ص) هو ابن إرم ابن سام ابن نوح بحسب العهد القديم⁽⁸⁾ وقد بيّنا سابقاً في فصل هود أنهم كانوا باليمامة، أما قوافل تيماء وسبأ فقد كانت تسلك درب البخور التجاري الواصل ما بين بحر العرب وشمال الجزيرة العربية وكذلك شرقها عبر نجران وجبل طويق. أما كشديم الواردة في سفر أيوب فلا يصح تحت مسمى أي ترجمة أن تفسر بالكلدانين، والتأويل الأصح أنها جديسين بالإقلاب. وهناك احتمال أن تكون الترجمة اليونانية عن مصدر آخر قد عنت بهم الخالدين وهم من جديس بالفعل بحسب المسعودي، والفتان تتسبان لليمامة.

وعندنا أدلة من قصة يوسف (توراتياً وقرآنياً) على أن مسير القوافل التجارية كان ناشطاً في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. وبالنسبة لعشائر رم فالمقصود الساكنة بوادي الرمة بالقصيم اليوم.

- (1) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 19.
- (2) سفر أيوب، الإصحاح 6، الجملة: 19.
- (3) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 1.
- (4) سفر أيوب، الإصحاح 2، الجملة: 11.
- (5) سفر أيوب، الإصحاح 2، الجملة: 11.
- (6) سفر أيوب، الإصحاح 2، الجملة: 11.
- (7) سفر أيوب، الإصحاح 32، الجملة: 2.
- (8) سفر أيوب، الإصحاح 10، الجمل: 21 - 23.

أيوب (ع) نبي آخر من نجد

فلعل أحداث قصة أيوب كانت قبل أو بمعزل عن نزول التشريع على موسى لأنه لم يأت فيها ذكر لبني إسرائيل، والأكد أن القصة حدثت بعد عصر إبراهيم لأنه من ذريته بحسب القرآن؛ في وقت كان استثناس الجمل قد أصبح شيئاً مألوفاً بنجد، فبحسب الأبحاث التي قام بها البروفسور وليم البرايت من جامعة جون هوبكنز الأميركية في أربعينات وخمسينات القرن العشرين لم يثبت بتاتاً وجود أي عظام لجمال في أية مواقع خارج الجزيرة العربية وشرق أفريقيا حتى أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، لذلك فمن المستبعد أن يكون أيوب قد عاش في بلاد الشام أو العراق أو بلاد القبط.

أما القبر المفترض للنبي أيوب الموجود في جبال القرا على بعد نصف ساعة من صلالة عاصمة إقليم ظفار العُمانية فلا يعدو كونه مقاماً للنبي الكريم، شأن مقام النبي هود(ع) الموجود قرب سيئون.

تساؤل مشروع: لماذا يحتفظ اليهود ضمن العهد القديم بسفر عربي لا علاقة له لا ببني إسرائيل ولا بموسى ولا بإبراهيم (ع) لو لم يكن ديواناً شاملاً لأحداث وقصص الجزيرة العربية! ومن أراد دراسة الأنساب للفترة بين آدم وغزوة نبوخذ نصر لجزيرة العرب فعليه أن ينكب على تحليل الأسماء في سفر أخبار الأيام الجزء 1 من الإصحاح 1 - 9.

مصر التوراة لم تكن بلاد القبط

بعد وصول إبراهيم (ع) إلى الأرض المقدسة⁽¹⁾ انتقل بسبب الرغبة (القحط) إلى مصر (م ص ر ي م = مصر) وهناك تلقى هدايا من بينها إبل من عاهلها فرعه (فرعون)، ومن غير المؤكد إن كانت هناك تلقت زوجته جارية اسمها هاجر (أجر باللغة الجعزية) وهي التي أصبحت فيما بعد أم إسماعيل (ع). وجاء ذكر مصر أيضاً في قصة يوسف (ع) القرآنية وأنه التَّقَطَّ من قبل سيارة (قافلة تجار) إسماعيليين كانت في طريقها إلى مصر وأنهم باعوه هناك إلى العزيز وهو من كبار رجالات الدولة. كذلك إخوان يوسف كانوا يركبون الجمال بذهابهم ومجيئهم إلى مصر ﴿أَيَّتُهَا الْعِزُّ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ!﴾⁽²⁾ ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ خِمْلٌ بِعِيزٍ﴾⁽³⁾، وفيما بعد استدعى أباه وإخوته للإقامة معه في أرض مصر لأن الجفاف سيطول. وبقي بنو إسرائيل في أرض مصر بضعة قرون ثم أخرجهم الله منها تحت قيادة موسى (ع) ليريحهم من اضطهاد فرعون وليمنحهم الأرض المباركة التي وعدها لإبراهيم ويعقوب (ع). فأين كانت مصر هذه؟

المتعارف عليه تاريخياً أن مصر التوراة والقرآن هي أرض الكنانة، أرض النيل من أسوان إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وتضم أيضاً شبه جزيرة سيناء والقسم الشرقي من الصحراء الليبية. لكن لو أعدنا دراسة تفاصيل القصص التوراتي والقرآني

(1) سفر التكوين 12، الجملة: 10.

(2) سورة يوسف، الآية: 70.

(3) سورة يوسف، الآية: 72.

وفي ضوء العلوم التاريخية الحديثة فسيتبين لنا أن التاريخ لا يتطابق مع الجغرافيا التقليدية، كما أن هناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى الجغرافيا الصائبة؛ وهي مدار بحثنا.

أول ذكر لمصر بالتوراة

ورد اسم مصر⁽¹⁾ (م ص ر ي م) كإسم لأحد أبناء الغوث (كوش) بن حُمي (حام) ومنهم عنان ومفتاح ومطير وكسلا والفلاسة وكنانة؛ وهم كما نرى أسماء لعشائر وأقوام توزعت قديماً على الضفتين الشرقية والغربية للبحر الأحمر الذي كان اسمه بحر صوفة. كتب الهمداني وغيره من المؤرخين عن وجود لبني مطير بنواحي نجران وجيزان، كما ورد اسم مصران بالنقوش المعينية اليمنية وهي الأقدم. كما نجد في مرتفعات الحبشة آثاراً لمدينة قديمة جداً اسمها مطيرة (Metera) أو مطرة (Matara) ربما نسبة إلى قومها من المطيرين من نسل كوش وحام، وكانت حاضرة لمملكة عظيمة عرفت باسم «دعمت» وهي سابقة على مملكة إكسوم، وتشهد على ذلك اللقى الأثرية التي بقربها وبينها مسلات كبيرة تذكر بمسلات وادي النيل. بعد انفصال إريتريا صارت مطرة داخل الحدود الإريترية، وعلى مقربة داخل الحدود الإثيوبية تقع مدينة إكسوم التي كانت حاضرة الحبشة حتى وقت هجرة المسلمين الأوائل للاحتفاء عند النجاشي. ولعل مطرة كانت مركز الحكم بالحبشة وقت توجه إبراهيم (ع) إليها من تهامة في زمن القحط. كذلك فعل يعقوب (ع) وبنوه للسبب نفسه؛ فأسكنهم يوسف (ع) بإكسوم التي كانت خيرة الأراضي للرعي، ومنها كان خروج بني إسرائيل على يد موسى (ع).

أما كيف صارت مطرة مصر فلتبادل الأحرف باختلاف الفترات التاريخية واللهجات في مثل ما نجد بالقرآن: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾⁽²⁾ (بدل حطب)، و﴿قُتِلَ الْحَرَّاصُونَ﴾⁽³⁾ (ونقول اليوم الخراطون). فيبدو أن أصل الاسم كان مصرأ (اليعني مطراً أو مطرة كما صار لاحقاً). وكلمة مصر قد تعني مصر من الأمصار ولكنها في

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 6.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 98.

(3) سورة الذاريات، الآية: 10.

التوراة مستعملة بمعنى الأرض التي سكنها أبناء مصر بن حام. وتقول التوراة⁽¹⁾ ومن مصر (مطر) تحدرت هذه القبائل: اللوزيون والعنانيون واللهيون والمفتاحيون والفتريسيون والكسلاحيون (الذين تحدر منهم الفلاسة والكفتاريون، والفلاسة هم الوحيدون الذين كانت لبني اسرائيل علاقة فيما بعد، بينما لم يكن هناك ذكر للباقيين البتة؛ ربما لأن معظمهم كان باليمن الشمالي وجنوب السودان). وليس هناك من ذكر لجميع هذه القبائل في تاريخ مصر القبطية! فانتقال إبراهيم من الحجاز أيام الجفاف كان إلى مملكة مطرة شمال إثيوبيا حيث المصادر المائية الدائمة، ولعل فرعة الذي قابله كان ملكها وربما هي من أقدم شعوب إثيوبيا. وفي مناطقها وجنوباً في الصومال وحضرموت ونجد والحجاز استئنست الإبل في النصف الثاني من الألفية الثالثة قبل الميلاد أي بزمان صالح (ع) وقبل إبراهيم (ع)؛ ولكنهم في الشرق الإفريقي كانوا يربونها كماشية يستفيدون من لحومها وألبانها ولم يستعملوها للركوب مطلقاً. في تلك الأيام كان الاتصال بين البر اليمني والإفريقي سهلاً، وباب المندب كان أضيق بكثير مما هو اليوم، وقد أوجز الجغرافيون اليونان أن ما يفصل البر الآسيوي عن الإفريقي هو ست جزر بالكاد تستطيع السفن أن تمر من خلالها. وهذا كان بعد عصر إبراهيم بألفي عام علماً أنه بسبب عدم استقرار القشرة الأرضية يتعد الساحل الإفريقي هناك عن العربي بمقدار بوصة كل عام أي 25 متراً كل ألف عام أو 100 متر منذ عصر إبراهيم إلى يومنا هذا. وقد ذكر ابن المجاور الرحالة الدمشقي⁽²⁾ نقلاً عن أهل الأخبار بأنه في الزمن القديم كان أهل إفريقيا يقطعون إلى البر اليمني مشياً على الأقدام، وكذلك فعلت الحيوانات الإفريقية مثل الأسود والنعام وحمير الوحش التي ذكرت في الأشعار العربية الجاهلية، وبعض أنواع الأبقار ذات القرون الطويلة ونراها اليوم قد انقرضت بسبب انقطاع الشريان الذي كان يمد الجزيرة العربية بمواردها من هذه الحيوانات، وأيضاً بسبب إفنائها من قبل الإنسان.

وإثيوبيا هي الطيوية أو أرض الطيوب! وقد سألت إثيوبيين من العرق الأمهري

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 13.

(2) صفة بلاد اليمن، ابن مجاور، ص: 95.

عن معنى الكلمة بلغتهم فما عرفوا! لأن الأصل ربما كان عربياً. أما الحبشة فأصل هذا الاسم عائد إلى قبائل البيجة التي سكنت سواحل أريتريا وأطلق عليها الكنانيون اسم هابيجة (أي البيجة) بإضافة الهاء وهي أداة التعريف القديمة في مثل هبل (هبل/ البعل وهو إله البلل أو المطر) وهاشم (الإسم) وهوازن (الوازن)؛ فصارت حبشة وتعربت بمرور الوقت فأصبحت الحبشة بإضافة أل التعريف إليها.

وأرض الكنانة ما كان أهلها يسمونها مصرأ بل (Kemet) قيمة واسم فرعون لم يكن اسماً أو لقباً لعاهلها! وأقرب لفظ لكلمة فرعون بالهيراوغليفية هو (Piru) ومعناه الباب العالي. واليونان منذ قديم الزمان وكذلك الأوروبيون إلى اليوم يسمونها (Egypt). والعرب في الجاهلية وحتى وقت النبي (ص) كانوا يسمونها «بلاد القبط». وفي رسالة النبي (ص) إلى المقوقس (وهو بطريك الإسكندرية في نهاية القرن السادس للميلاد) ورد: عظيم القبط، ولم ترد كلمة مصر! وما بدأ العرب بتسمية ذلك الإقليم بمصر إلا بعد نزول الآيات المدنية المذكورة فيها قصة موسى فسأل المسلمون بالمدينة اليهود عن المقصود بمصر فأخبروهم بأن «مصر» موسى هي بلاد القبط عينها! فمن هنا بدأ إطلاق الاسم على أرض الكنانة. ولعل الأقباط لم يسمعوا بمسمى «مصر» سوى من المسلمين العرب بالفسطاط؛ لذلك أطلقوا فيما بينهم فقط على المنطقة حيث القاهرة اليوم اسم «مصر»؛ وما زالوا على ذلك حتى اليوم.

الأدلة على أن الحبشة هي مصر التوراة

هناك أدلة عديدة من الكتب المقدسة تشير إلى أن «مصر» هي الحبشة وليست بلاد القبط!

أدلة من التوراة

- (1) وجود أسماء محددة معروفة بالحبشة وغير معروفة بمصر⁽¹⁾:
(ج ش ن) وهي اكسوم التي صارت عاصمة لمملكة الحبشة لاحقاً.
(س ك ة) وهي سقوطة بلدة معروفة بهضبة الحبشة.

(1) سفر الملوك الإصحاح 33، الجملة: 5 وما بعدها.

(ء ت م) وهي إدامة؛ بلدة معروفة بهضبة الحبشة.

(2) غالبية الفراعنة الواردة أسماؤهم بالتوراة كانوا من أسر «غير قبطية» فجعل علماء التاريخ الأسر التي حكمت بلاد القبط أسراً «ليبية وحبشية» ليتوافق ذلك مع السياق التاريخي للتوراة، فعمدوا إلى تسييد «الليبيين» والأحباش على بلاد القبط عدة قرون وطمسوا هوية ملوكها الحقيقيين، ومن هذه أسماء ملوك مثل (SECONCHIS) و (OSORKON) و (TEHRAK).

وذكروا أن ملك مصر زوج ابنته للملك سليمان! ويمر المؤرخون على هذا الخبر مرور الكرام مع أن تفاخر الأقباط على باقي الشعوب كان معروفاً وكذلك تحريمهم لزواج بناتهم من الأجانب. وقد حدث أن قدم أحد الملوك الأثوريين ابنته زوجة لأحد ملوك القبط فوضعها في صف الجواري ورفض بشدة تزويج أخته للملك الأثوري لأنهم كانوا يعتقدون بقدسية الأميرات القبطيات وبأن شعب الأقباط فوق باقي الشعوب. فالذي تزوجها سليمان (ع) كانت ابنة ملك الحبشة وقد نتج من هذا الزواج ولادة أمير كَوْن فيما بعد السلالة التي كان امبراطور الحبشة الراحل هيلا سيلاسي يفتخر بالانتماء إليها ويتلقب بأسد هودة. وبكتاب «النجاشيات الكبرى» أن هذا الأمير ولد لماجدة ملكة سبأ التي تزوجها سليمان (ع) وقت زيارتها للملك بعاصمة ملكه، وعنه تأويل الآية القرآنية من سورة الشعراء التي أعجزت المفسرين:

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽¹⁾.

فلم يسجل التاريخ قط أن بني إسرائيل حكموا بلاد القبط لا أيام داود ولا سليمان (ع) ولا أي ملك آخر، ومقولة «من النيل» فهم خاطئ لعبارة «نحل مصريم».

كما زوج الملك (Thekemja = Tahepenea) أخته إلى (Jeroboam) ربعان (ي ر ب ع م) الذي كان قد تمرد على الملك سليمان وفر إلى مصر أي إلى أثيوبيا. وكذلك تزوج أدد (؟ أزد) الأدومي (العدناني) أخت فرعون⁽²⁾. ثم إن الملك شيشق

(1) سورة الشعراء، الآية: 59.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 11، الجملة: 19.

الأول (Sheshoak I = Shishack = Seconchis) من الأسرة 22 التي حكمت بلاد الأقباط كان برأي بعض المؤرخين أثيوبياً أو بربرياً ولكنه ملك على كامل وادي النيل. غزا هذا الملك مملكة هوذة التي كان يحكمها رحبان (رحبعم) ابن سليمان لتخفيف الضغط عن مملكة إسرائيل التي كانت تحت قيادة نسيب البلاد ربعان (يربعام) في نزاعه مع الأولى. كما أن الملك (Zerah) «من الأسرة 22» أيضاً هاجم اليهودية ولكنه خسر أمام الملك آسى (ASA). لم يحدث أي غزو من قبل ملوك الأسرة 23 و24، ولكن مع قدوم الأسرة 25 للحكم تحالف شباك (Shebak II = Sebichas) مع واسع (هوشع) (Hoshea) آخر ملوك إسرائيل. كما تقدم تراقه (Tehrak = Tirakah) وهو الآن ملك كوش (لم يعد من ملوك مصر) لمساعدة ملك اليهودية الذي كان يتعرض للحصار من الملك الأثوري سن حراب (سنحريب). وفي الحقيقة فإن التاريخ التوراتي يتصالح مع التاريخ الحقيقي لبلاد القبط فقط ابتداء من الأسرة 26 إبان حكم بسماتك (Psamatek I = Psammehichus I) ومن بعده ابنه (Necho = Neka) نقي الذي قتل (Joshia) واسية ملك اليهودية المتحالف مع الأثوريين. فملوك مصر الأوائل المذكورين كانوا أثوبيين أو أحباشاً حاربوا في الجزيرة العربية ولم يكونوا ملوكاً على كامل وادي النيل، كما أنهم لم يحاربوا في فلسطين مطلقاً.

(3) ذكر اسم مدينة رعمسيس⁽¹⁾ في معرض قصة موسى التي يفترض أنها حدثت في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد. والمعروف أن أسماء رعمسيس أو رعمسيس لم تظهر إلا بعد أيام موسى بسبعة أو ثمانية قرون، وإنما ذكرها المؤلفون لأنها كانت مشهورة معروفة على أيامهم ولكننا نعلم اليوم من المكتشفات التاريخية ودراسة تاريخ بلاد القبط بأن هذه الأسماء لم تكن تطلق على أية مدن هناك بزمان النبي موسى ابن عمران.

(4) اسم مصر (وهو لفظ توراتي) لم يكن مستعملاً في بلاد القبط وكذلك اسم فرعه الذي ورد بقصة إبراهيم ومنها ساد الظن بأنه لقب لملوك مصر، فالأقباط كانوا

(1) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 3، 5.

يدعون بلادهم باسم إيكمت (Ekmet) وكانوا يطلقون على قصر الحكم (PIRU) أي البيت الكبير، مثلما كان العثمانيون يشيرون إلى دار الحكم بلقب الباب العالي والأميركيون إلى مركز رئيسهم بالبيت الأبيض، ولكنهم لم يستعملوه على أنه اسم علم. أما شخصية فرعون القرآنية فهي اسم لشخص واحد عاش وحكم مصر أيام موسى ولم تستعمل على أنها لقب، لأن لقبه في قصة يوسف كان الملك:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ اثْبُوتِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي﴾⁽¹⁾.

(5) وفي قصة الخروج هناك رموز واضحة تشير إلى أن الأرض التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر إلى الأرض الموعودة كانت مزروعة بالبراكين التي كانت متفجرة؛ فكانت تنير طريقهم ليلاً وترشدتهم بدخانها نهاراً⁽²⁾، ومعلوم بأن أرض الأقباط خالية تماماً من البراكين، وأعظم تجمع بركاني في منطقة الشرق الأوسط هو بالهضبة الأثيوبية وبعدها باليمن والحجاز. ومثير للانتباه وجود مجموعة متلاحقة من البراكين وعلى مسافات متقاربة تلحق خط سير من الشمال قرب إكسوم باتجاه جنوبي شرقي بموازية صحراء الدناكل حتى بلوغ باب المنذب؛ وهو ما يحاكي غالباً المسيرة التي تبعها بنو إسرائيل وقت خروجهم.

(6) وإنه لمن غير المفهوم أن يسير موسى ببني إسرائيل ليلبغ البحر الأحمر في شرق بلاد الأقباط بينما كان باستطاعته سلوك طريق البر التي تفصل البر المصري عن شبه جزيرة سيناء؛ وهي مسافة تقدر بـ 120 كيلومتراً عبارة عن طول قناة السويس قبل شقها. هذه المسألة غير موجودة في منطقة باب المنذب لأن عبور البحر هناك هو مسألة إجبارية لا مناص منها، ويبدو أن القشرة الأرضية كانت في حال عدم استقرار فكانت زلازل وبراكين. وعند وصول الأمر إلى نقطة فاصلة أوصى الله موسى أن يضرب بعصاه البحر فكانت المعجزة! هي معجزة توقيت بين الضرب بالعصا وحدث حركة جزر هائلة كشفت عن البر الفاصل بين إفريقيا والبر اليمني مما أتاح لبني إسرائيل العبور. ثم جاء وقت ما يعرف بعلوم الأحوال الجوية بموجة التسونامي

(1) سورة يوسف، الآية: 54.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 21.

الهائلة التي يبلغ علوها عشرات الأمتار إيداناً بتتابع المد بعد الجزر وهذا ما أغرق فرعون وجنوده لأنه لو كان المدّ تدرّجاً لأمكنهم من الانسحاب في الوقت المناسب. وليس هناك في مدونات مصر القبطية ما يشير إلى هذه الحادثة ولا إلى غرق ملك البلاد وجيشه بهذه الطريقة النادرة مع أن الجداريات والبرديات قد أفردت أخباراً تعد ثانوية إذا ما قيسَت بهذا الحدث الفريد في تاريخ الأمم.

(7) في خطبة الوداع⁽¹⁾ يحذر موسى بني إسرائيل بأنهم إذا لم يسيروا في طريق الإله ويحفظوا شريعته فإن الله سيخرجهم من أرضهم ويعيدهم إلى مصر ولكن هذه المرة محملين بالسفن! فلو كان هناك بر بين أرض مصر والأرض الموعودة كما هو الحال في بلاد الأقباط قبل شق قناة السويس فلماذا يصدر عنه هذا التحذير. لقد قال ذلك دون شك لأن العبور لا يمكن بدون سفن لوجود فاصل مائي بين البرين هو باب المندب، وهو المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط التي ينطبق عليها وصف ﴿مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ﴾⁽²⁾ حيث كان موسى وفتاه! وبالمقارنة فإن رأس مسندم يجمع بين بحر عمان والخليج العربي، كما أن رأس محمد يجمع بين البحر الأحمر وخليج العقبة، أما باب المندب فيجمع بين البحر الأحمر وبحر العرب.

(8) كان الأقباط يتكلمون لغة غير اللغة الكنعانية وكانوا يكتبون بالهيروغليفية بينما كان سكان فلسطين وفينيقياً يكتبون بالأكادية المسمارية كما دلت على ذلك آثار رأس شمرا وكذلك رسائل تل العمارنة فمن أين تعلم موسى الخط الآرامي (الفينيقي)؟ هل يصدق عاقل ما أورده بعضهم من أنه تعلم هذا الخط من تأمل آنية فخارية مكسورة طرحتها القوافل السيارة في صحراء مدين وكانت منقوشة عليها كتابات بهذا الخط! كيف نعلم أن موسى كان يكتب بخط آخر؟ بالعام 621 ق.م في عهد الملك واسية/يوشيا وأثناء إجراء جردة لمحتويات الهيكل عثر «حلقة» كبير الكهنة على درج فيه مجلة مسطور فيها سفر الشريعة⁽³⁾، والمرجح أن هذه إحدى النسخ التي كتبها ابنا هارون فنيس (بنحاس) وإثمار على أيام موسى. ويقول العهد القديم بأن

(1) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجملة: 68.

(2) سورة الكهف، الآية: 60.

(3) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

الملك والكاتب سفيان قرأ سفر الشريعة على الملأ وبأنه أحدث ثورة روحية بين الشعب. ماذا يعني ذلك؟ بما أنه كان باستطاعتهم قراءة السفر فذلك يعني بأنه كان مكتوباً بنفس الخط المستعمل في القرن السابع قبل الميلاد وهو على الأرجح خط المساند؛ لأنه الخط الوحيد الذي كان مستعملاً وقتذاك على ضفتي البحر الأحمر بإثيوبيا واليمن والحجاز.

(9) من مواصفات جبل سيناء - سينين حيث تلقى موسى الألواح أنه كان بركاناً وليس في كل شبه جزيرة سيناء بركان واحد. وبالنصوص كان هناك وادي طوى، والضنك، وبرمديني وقنا بلد حباب حمو موسى وماء ريبة، وكان هناك الرفود، وقادش برنيع. في منطقة تهامة جنوب وادي حلي (طيه) كل هذه الأماكن موجودة: طور سينين البركاني هو الأيمن من جبلين أسودين جنوب وغرب برمديني الواقعة 25 كلم جنوب خميس البحر و 7 كلم غرب فرعة سنان التي بدورها 5 كلم غرب آل فروان الواقعة جنوب لتين الذي صار 5 كلم جنوب قنا. وهنا وادي بقرة، وفي الأعالي الرفود، وشمالها على ساحل تهامة كدسة بلعير (قادش برنيع)! ولعل اسم وادي مربة إلى الجنوب تحريف لاسم ماء ريبة حيث ارتاب موسى وهارون بالوحي عندما أمره ربه بضرب الصخرة على مرأى من بني اسرائيل، فأوحى له ربه بأنه جزاء لارتيابه سيحرم هو وأخوه هارون من دخول الأرض المباركة فسمي المكان ماء ريبة وصار بمرور الوقت مربة.

(10) في قصص إبراهيم (ع) وإسحق ويعقوب ويوسف (ع) نلاحظ وجود مكثف للإبل! وأول ذكر للجمل في كل التوراة كان عند مصالحة إبراهيم مع فرعه (فرعون) الذي أهدى إليه فيما أهدى جمالاً! ففي زمانهم كان الجمل معروفاً في الحبشة والصومال واليمن والحجاز ونجد بينما لم يكن معروفاً في بلاد الرافدين والشام وبلاد القبط؛ حيث لم يدخل الجمل إلا مع قمبيز الفارسي الذي ساعده عرب من الجزيرة فحملوا المياه والعتاد لجيشه على ظهور الإبل عبر سيناء للوصول إلى أرض القبط. وللتذكير فإن الباحث التوراتي الأمريكي الدكتور ألبرايت جاء إلى المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية وقام على مدى سنين عديدة بدراسة عظام الحيوانات في المواقع الأثرية وتبين له عدم وجود عظام جمال خارج الجزيرة العربية وجنوبها قبل القرن 11 ق م. وفي إريتريا حيث مملكة مطرة كما ذكرنا آنفاً نجد آثار بلاد عظيمة

ونرى مسلات تذكر بمسلات بلاد النيل المعروفة. كما نجد أن الجمل هناك هو الحيوان الوطني إذا جاز التعبير، ونرى صورته حتى اليوم على العلم الجمهوري؛ بينما كل جداريات معابد النيل القبطية خالية من صور الإبل؛ وأرض الكنانة غير منتجة لها بل تستورد كل احتياجاتها من السودان. كذلك لا نرى صور الإبل في جداريات الرافدين قبل العهد الآثوري، وهم أول من غزا الجزيرة.

(11) كذلك هناك ذكر للأبقار الكثيرة التي أخرجوها معهم من مصر⁽¹⁾، والتي بقيت كثيرة معهم في التيه وهو ما ليس ممكناً في حال سيناء الحالية لعدم قدرة الأبقار على التكيف مع جوها الحار.

أدلة من القرآن

(1) عندما ذكر النبي (ص) لأصحابه مشاهداته ليلة الإسراء والمعراج ورؤيته للأنبياء سألوه أن يصف لهم موسى فماذا قال؟ كأنه من أزد شنوءة! أي لم يكن يشبه لا الأقباط ولا أهل الشام!

(2) أكد القرآن ما جاء في التوراة تكراراً عن استعمال الإبل في أرض مصر وذلك في قصة يوسف (ع)؛ وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً:

﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾⁽²⁾.
﴿ثُمَّ أَدْنَى مُؤَذِّنٌ أَتَيْتَهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾⁽³⁾.

(3) في معرض وصف القرآن لفرعون ذكر:

﴿وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ﴾⁽⁴⁾.

والقرآن يفسر بعضه بعضاً والأوتاد هي الجبال
﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾⁽⁵⁾.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 12، الجملة: 38.

(2) سورة يوسف، الآية: 72.

(3) سورة يوسف، الآية: 70.

(4) سورة الفجر، الآية: 10.

(5) سورة النبأ، الآية: 7.

فيكون فرعون هو ملك بلاد جبليّة، وهضبة أثيوبيا هي هضبة جبليّة بامتياز؛ بينما قام المفسرون بتفسير الأوتاد بالجنود لأنهم يعرفون بأن أرض الكنانة ليست بلاداً جبليّة.

(4) وقال فرعون يصف حاله وبلاده:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁾.

وهو بذلك يؤكد أنه في بلاد يسيل فيها أكثر من نهر، بينما في بلاد الأقباط لا يسيل سوى نهر واحد هو النيل؛ أما هضبة إثيوبيا فتنبع منها أنهار عظيمة مثل عطبرة والنيلين الأبيض والأزرق، وجوبا شمالاً.

(5) ماذا طلب فرعون من وزيره هامان؟

﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁽²⁾.

فلو كان فرعون وهامان في بلاد القبط لما طلب منه هذا الطلب لأن الهرم الأكبر كان يصلح كأعظم مرصد عرفه العالم في تاريخه، وبقي حتى العام 1889 (إنشاء برج إيفل بباريس) أعلى مبنى شيده البشر.

(6) يكثر الكلام عن السحر والسحرة وكأنهما أمر مألوف في حياة سكان مصر وبلاط فرعونها، وليس في جداريات وبرديات بلاد القبط ما يشير إلى أهمية السحر؛ في وقت نجد للسحر الأسود مكانة مرموقة في كل الحضارات الإفريقية.

(7) قال فرعون كلمته الشهيرة:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁽³⁾.

والمعروف لدى علماء المصريات أن عبادة إله أوحده هو عاهل البلاد لم تكن معروفة في بلاد القبط بزمان موسى وهو منتصف الألفية الثانية ق.م. وكانت الآلهة عندهم على ثلاث فئات:

أ - الآلهة الثمانية العليا.

(1) سورة الزخرف، الآية: 51.

(2) سورة القصص، الآية: 38.

(3) سورة النازعات، الآية: 24.

ب - الأربعة التي تليها عند المستعبدين.

ج - جماعة أوزيريس.

أما عبادة عاهل البلاد فكان ديانة إفريقية وهو ما ينطبق على أثيوبيا.

(8) جاء في تهديد فرعون للسحرة بعد أن آمنوا بموسى:

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽¹⁾.

هنا لا تقطع الأيدي والأرجل من خلاف ولا الصلب في جذوع النخل كان من عادات التعذيب والتنكيل والإعدام في بلاد القبط وكذلك كان الحال في قصة يوسف بالنسبة إلى زميليه في السجن عندما فسر لهما مناميهما:

يا صاحبي السجن... أما أحدكما...

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾⁽²⁾.

(9) في تعداد المصائب التي حلت بأهل مصر قبل أن يأذن فرعون لبني اسرائيل بالخروج جاء:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾⁽³⁾.

هنا تلفتنا كلمة الطوفان التي تذكر بطوفان نوح

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾⁽⁴⁾.

وما كان ذاك الطوفان؟:

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة الشعراء، الآية: 49.

(2) سورة يوسف، الآية: 41.

(3) سورة الأعراف، الآية: 133.

(4) سورة العنكبوت، الآية: 14.

(5) سورة القمر، الآيات: 10 - 12.

فالطوفان في مصر هنا هو طوفان من إفراط في مطر السماء وليس فيضان نهر. وفي مصر كان فيضان النيل دائماً يعتبر نعمة وانحباسه نقمة. فإلى تشبع الأرض بالمياه إلى درجة تكون كافية لإنبات الزرع في موسم أو أكثر يأتي الطمي الغني بالمعادن والضروري لتجديد حيوية الأرض. ومن المؤكد أن المقصود هنا بلاد تعتمد على الغيث في زراعتها لا على فيضان أنهرها، وهضبة الحبشة من المناطق التي تعتمد الزراعة فيها على الأمطار بالدرجة الأولى. وفي قصة يوسف تأكيد لهذه الطبيعة ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾⁽¹⁾.

فهنا بلاد تعتمد الإعاشة فيها على مواد غذائية أساسية قابلة للعصر مثل السمسم والعنب والزيتون وجميعها متوافرة في أثيوبيا بينما عصب الحياة اليومية الغذائي في بلاد القبط كان دائماً الأرز والخبز والبقوليات.

وهناك أمر في غاية الأهمية أيضاً وهو ارتباط الجفاف في بلاد كنانة (كنعان) بالجفاف في أرض مصر! وهو ما لا يحدث بفلسطين التي تعتمد الزراعة فيها على مياه الأمطار؛ بينما الزراعة في بلاد القبط تعتمد على ري مياه النيل فقط. والاعتماد في أغلب أرض أثيوبيا هو على أمطار الرياح الموسمية؛ فالغيث هنا ضروري.

(10) التأكيد على وجود الأبقار الأهلية معهم في التيه وهو ما ليس ممكناً كما أشرنا: ﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون⁽²⁾.

الفراعنة بالتراث العربي

ما ورد بالتراث العربي عن ملوك مصر العماليق اعتبر ضرباً من الخيال، ولا ندري إن كان المقصود به كلاماً عن غير بلاد القبط، أو إن كان له علاقة بالملوك الرعاة، وإن كنا نورده هنا فلمجرد الإحاطة بما تم تسجيله. بالقرآن فقط عاقل مصر في زمن موسى كان اسمه أو لقبه فرعون، وما من رابط قرآني بين مصر وإبراهيم، كما أن العاقل في زمن يوسف كان لقبه الملك. وفي اليمن كان لقب عاقل الحبشة هو

(1) سورة يوسف، الآية: 49.

(2) سورة البقرة، الآيات: 70 - 71.

الملك. أما بالتوراة فلقب ملوك مصر من إبراهيم حتى عصر نبوخذ نصر كان دائماً: فرعون. وذكر التابعي قتادة: الفراعنة ثلاثة: أولهم سنان «الأشل» صاحب سارة، كان في زمن الخليل (ع) بمصر، ثم الثاني «الريان بن الوليد»؛ وهو فرعون يوسف (ع)، ثم الثالث «الوليد بن مصعب» وهو فرعون موسى (ع)!

من مصر إلى سيناء والته

الأماكن المحتملة لإقامة بني إسرائيل في الحبشة هي أرض إكسوم، أما مركز الحكم فكان في مطيرة أو مطرة (Metera or Matara) التي آلت لتكون اليوم داخل الحدود الأريتيرية. وبقيت علاقة بني إسرائيل بهذه الأرض مئات السنين، وحدث عند غزوة نبوخذ نصر للحجاز أن فر قسم من الدنون (من عجز هوازن) إلى إكسوم وأسسوا مملكة لغتها الجعزية (وهي عربية محلية) كانت تكتب بالحروف المسندية (ما زالت مستعملة بالكنائس إلى اليوم)، وديانتها الشريعة الموسوية! وكانت 10 قبائل من القبائل الإسرائيلية الـ 12 لا تعترف إلا بصحف إبراهيم وموسى الخمس التي تؤلف التوراة دون سائر كتب العهد القديم الأخرى، وهو ما نجد عليه كل يهود الحبشة. كذلك نجد بأن كل الشعب الأثيوبي اليوم يهوديه ومسيحيه يمارس الختان للذكور وهو سنة إبراهيمية بامتياز! وكان العاهل الإثيوبي الراحل هيلا السيلاسي يلقب بأسد يهوذا شأنه شأن الأباطرة من أجداده على اعتبار أنه من نسل سليمان (ع)، وهذا كما ذكرنا سابقاً تأويل إضافي للآية ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽¹⁾ وهو ما لم يحدث بتاريخ بلاد القبط مطلقاً؛ أي أنها كانت تحت سلطة بني إسرائيل.

بمخرج بني إسرائيل من إكسوم انحدروا عبر الهضاب الشرقية وصولاً إلى باب المندب وعبروه بعد حدوث معجزة الجزر والمد الطبيعية في خضم فوران جيولوجي كان يلف القرن الأفريقي مفجراً للبراكين ومزلزلاً للأرض. وبعد وصولهم إلى البر الآسيوي عند باب المندب ابتدأت حلقة جديدة قبل وصولهم إلى الأرض الموعودة. تعتبر هذه الحلقة من أصعب الحلقات على جغرافيين التوراة لأنهم لم يستطيعوا أن يجزموا بتحقيق ولو موقع في رحلة تيه بني إسرائيل من البر المصري إلى الأرض

(1) سورة الشعراء، الآية: 59.

الموعودة وإنما كانت تخميناتهم تعتمد على الظن فقط. وبداية أقول بأن الأعداد التي أوردتها التوراة لتعداد من كانوا مع موسى في رحلة التيه مبالغه جداً؛ فمن المستحيل التصديق بإمكانية ستمئة ألف نفس التنقل والعيش في صحراء مجربة لمدة أربعين سنة. كما أن سياق القصة نفسه يحمل على الاعتقاد بأن عددهم كان بضعة آلاف فقط لأن المجموعة التي تستظل تحت ما يقارب السبعين نخلة لا يمكن أن تتجاوز هذا العدد، كما أنه من الناحية اللوجستية يصعب كثيراً الإهتمام بجيش من الرجال الأشداء في الأجواء الصحراوية فكيف بشعب يضم العجائز والصغار والنساء والرضع. لقد انتقد الرواية التوراتية الكثير من المفكرين لا سيما ابن خلدون المؤرخ العربي الذي أشار في «المقدمة» إلى أهمية الموضوعية عند كتابة التاريخ، ولعل الأعداد غير المعقولة هي من المبالغات الشرقية المعهودة!

والرواية التوراتية تجعل من الصعب التصديق بالجغرافيا التقليدية أي بأن التيه كان في ما يسمى اليوم شبه جزيرة سيناء وبأنهم انتقلوا إلى جبل موسى حيث تلقى موسى الشرائع مكتوبة على الألواح ثم نزلوا بعدها إلى شرقي الأردن حيث جنبوا عن دخول الأرض الموعودة ولذلك عوقبوا بالعودة إلى صحراء سيناء حيث بقوا ما يقارب الأربعين سنة حتى فني كل الجيل الأول الذي رفض الامتثال لأمر ربه بالقتال لفتح الأرض المباركة. وهنا اعتراف خاص من التوراة نفسها بأن العمر التقريبي لحياة الإنسان في ذلك الوقت كان بحدود أربعين سنة وبذلك يتم تصحيح المبالغات في أعمار بعض من سبق ذكره من الأنبياء الذين قيل بأن بعضهم عمّر مئتين وبعضهم الآخر ثلاثمئة سنة!

نقد جغرافيا التيه التقليدية

تقول التوراة بأن الله أمر موسى أولاً بالتوجه ببني إسرائيل إلى جبل سيناء في منطقة (ح ر ي ب) حرب وربما بحر بالإقلا ب. وعند الوصول إلى صحراء سين بدأت تنزل عليهم المن من السماء واستمر ذلك 40 سنة، ولم يعرف في تاريخ مصر أنها أنتجت من سيناء مادة حلوة تتساقط مع ندى الصباح بكميات تجارية قابلة للجمع والأكل. ثم عند وصولهم إلى جبل حرب/بحر كان الجبل بلا تردد بركاناً مضطرباً صعد إليه موسى مع السبعين رجلاً المختارين. وليس في شبه جزيرة سيناء كلها

منطقة بركانية واحدة فضلاً عن مواصفات جبل موسى المزعوم بسيناء اليوم البعيد عن طبيعة البراكين. وكان هناك منطقة قريبة من جبل حرب/ بحر سميت بماء ريبة لأن موسى طلب السقيا لبني إسرائيل عندها فأمره الله أن يضرب الصخرة بعصاه فتفجرت منها العيون، ولكن لتردده وشكه في ما أوحى الله إليه وخشيته من سخرية بني إسرائيل منه في حال عدم نزول الماء حرمة الله وأخاه هارون من دخول الأرض المقدسة فيما بعد، وليس بالقرب من جبل موسى في سيناء اليوم منطقة اسمها ماء ريبة. وفي أثناء وجودهم في منطقة الرفيديين (الرفود) تعرضوا لهجوم من العماليق، والمفروض بحسب الجغرافيين التقليديين أن تكون أراضي بني عمليق في شمالي الأردن لا في جنوب شبه جزيرة سيناء.

وسمع حمو موسى كاهن مدين فجاء بزوجة موسى وولديه وكان قد تركهما تحت رعايته بذهابه إلى مصر. وبحسب الجغرافيا التقليدية فإن مدين هي في أقصى الشمال الغربي للمملكة العربية السعودية عند البدع وهي منطقة بعيدة جداً بمقياس تلك الأيام عن جنوب سيناء لحاجتهم الذهاب شمالاً ثم الالتفاف عند العقبة.

ثم أرسل موسى من (ق د ش ب ر ن ي ع) كدسة بلعير اليوم وهي بجنوب الأرض المباركة 12 كشافاً ليتفقدوا الأرض فعادوا وقد رأوا بأن الأرض تفيض حليباً وأدباساً! كما عادوا بعينة من عناقيد العنب التي احتاجت لرجلين كي يحملها العنقود الواحد! وليس في فلسطين كلها بل في سوريا إنتاج لعنب تنطبق عليه هذه الأحجام. كان الخوف يملأ قلوب عشرة منهم بينما كانت الحماسة تملأ قلبي يوشع بن نون وكليب بن جفنة. وكان أن تمرد بنو إسرائيل ورفضوا بشدة أن يحاربوا لخوفهم من بني عناق (غميقة) الطوال القائمة، فكان أن أصدر الله حكمه عليهم بالعودة إلى البرية وأنه باستثناء يوشع وكليب فإن كل الجيل من الكبار سيكون محروماً من دخول الأرض المباركة وأن صغارهم هم الذين سيملكونها بعد أربعين سنة، فأقاموا في عدة محطات أغلبها بمحيط تهامة عسير وبلاد الحجر.

الجغرافيا الصحيحة المحتملة للتيه

بداية عبر بنو إسرائيل باب المنذب متجهين من البر الأفريقي إلى البر الآسيوي. وباب المنذب هو مجمع البحرين الذي ورد في القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾⁽¹⁾.

وباب المندب هو المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط التي ينطبق عليها وصف مجمع البحرين ذلك أن رأس مسندم يجمع بين بحر عُمان والخليج العربي كما أن رأس محمد يجمع بين البحر الأحمر وخليج العقبة، بينما باب المندب يجمع بين البحر الأحمر وبحر العرب. بعدها انتقلوا إلى منطقة رجال ألمع ثم إلى رفود (رفيديم) عسير حيث هاجمهم العماليق، وعند مربة (ماء ريبة) استسقى موسى لقومه وضرب الصخرة التي انفجرت منها 12 عينا:

﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ^ط فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ^ط﴾⁽²⁾.

ثم توجهوا إلى جنوب وادي قنا/بحر سكيئة حيث المنطقة ذات نشاط بركاني، وهناك صعد موسى إلى الجبل المقدس (طور سيناء المسمى أيضاً سينين) حيث كانت النار وحيث رفع الله الطور:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽³⁾.

وهنا كتبت القدرة الإلهية على الألواح. وجاء من منطقة بر مديني المجاورة لفرعة سنان اليوم عترو (ى ت ر و) (أو حَبَاب القناوي) حمو موسى الذي استبقى عنده عائلته عند عودته إلى مصر فهناه بسلامة العودة وعلى كل ما أجراه الله لموسى ولإسرائيل وشعبه.

وفي الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر أمرهم الله بالخروج والاستعداد لدخول الأرض المباركة فارتحلوا من أمام جبل سيناء (قرب فرعة سنان اليوم) باتجاه بحر صوفة (البحر الأحمر) وتوقفوا في قرية جبل التهوى حيث التقطوا طيور السلوى وجففوها، ثم هلك الكثيرون من أكل قديدها. ثم انتقلوا إلى منطقة بني حضاريت بمنطقة كباد. ثم انتقلوا فيما بعد إلى كدسة بلعير (ق د ش ب ر ن ي ع)

(1) سورة الكهف، الآية: 60.

(2) سورة البقرة، الآية: 60.

(3) سورة البقرة، الآية: 63.

جنوب القوز ومن هنالك أرسل موسى الـ 12 نقيباً (كشافاً) ليتفحصوا طبيعة الأرض الموعودة. وعادوا بعد 40 يوماً ومعهم العناقيد الكبيرة (زنة العنقود الواحد قد تتجاوز العشرين كيلوغراماً؛ وهذا معروف بالسراة وغير معروف بفلسطين). إلا أن عشرة من الـ 12 نقيباً ممن اختارهم موسى كانوا خائفين، أما يشوع وكليب فكانا يحثان الناس على المضي لفتح الأرض امثالاً لوعده الله لهم بالنصر:

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾.

لكن الجموع نفرت وقالت لموسى:

﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾⁽²⁾.

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾⁽³⁾.

وبسبب عدم إيمانهم قضى بنو إسرائيل أربعين سنة متنقلين في تهامة مع إقامات متقطعة. وكانت الكدسة (ق د ش ه) هي الموقع الذي قضوا فيه معظم سنيهم بالبرية. وهنا ماتت مريم أخت موسى.

بالنسبة إلى جغرافي التوراة التقليديين فإن من بين جميع المحطات الواردة في مرحلة التيه لم يتم التحقيق ظناً سوى بمكانين هما قادش برنيع في وسط سيناء وعصيون جابر عند العقبة وفي ما عدا ذلك فليس من أثر لأي أماكن قابلة للاستيطان أو التوقف في كل جنوب سيناء. وبرأيي أنه حتى هذين المكانين خاطئان لأن قادش هي الكدسة جنوب القنفذة، وعصيون جابر (ميناء النبي سليمان الشهير كما سنرى) لا يمكن أن يكون قرب إيلات لعدم وجود ملاحه شراعية بشمال البحر الأحمر في كل الألفية الثانية والأولى قبل الميلاد لأن الرياح الموسمية لا تصل شمالاً إلى أبعد من مدينة الوجه على الجانب السعودي من البحر الأحمر والواقعة شمال غربي المدينة المنورة.

(1) سورة المائدة، الآية: 23.

(2) سورة المائدة، الآية: 22.

(3) سورة المائدة، الآية: 24.

أطول سورة بالقرآن هي سورة البقرة وكلنا يعرف القصة بأن موسى أخبر بني إسرائيل بأن الله يأمرهم بأن يذبحوا بقرة! فأجابوه بأن البقر تشابه عليهم ربما لكثرتهم بينهم! ولم يخطر ببال المفسرين الأجلاء بأنه لا حياة طبيعية للأبقار بسيئاء المعروفة اليوم! وأضافت الآيات مواصفات الأراضي التي كانت واقعة بجوارهم: إنه يقول إنها بقرة: ﴿لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾⁽¹⁾.

أي إنها لم تستخدم من قبل بالزراعة! فلا بد أنهم كانوا على مقربة من وديان زراعية تستخدم فيها الأبقار في حرث الأراضي الزراعية؛ وهو واقع الحال في وديان عسير وشهر التهامية، بينما الزراعة شحيحة في سيناء لقلة الأمطار، وإن زرع بإحدى الواحات فإن الجمل كان هو المسخر فيها! وفي بلاد بارق بتهامة عسير واد باسم وادي بقرة تسكنه عشيرة بالاسم نفسه، فلا نستبعد علاقة للتسمية بقصة بقرة بني إسرائيل التي عادوا فذبحوها.

ولنتذكر دائماً التشابه اللفظي بين كلمتي التيه وتهامة، وكان اسم البحر الأحمر قديماً بحر صوفة كما ورد بالرسائل النبوية (ما مس بحر صوفة).

خلاصة: مصر التوراة والقرآن ليست بلاد القبط بل الحبشة. ترجمة التوراة أول مرة اللغة اليونانية بالإسكندرية في القرن الثالث ق.م. بتوصية من الملك بطليموس لضم الكتاب لمكتبتها الشهيرة ولزيادة ولاء الجالية اليهودية المزدهرة، ومصر في هذه الترجمة مذكورة «مصرًايم». ويبدو أن العلماء الذين وجدوا مازالوا يتقنون اللغة العبرية القديمة كانوا سبعين نفراً؛ فلذلك سميت بالسبعينية. وفيما بعد تمت ترجمة التوراة للغات أخرى عن هذه الترجمة اليونانية مثل الآرامية التي تمت في فلسطين، لكن التفاسير بدأت شيئاً فشيئاً تتحل أن مصر هي بلاد القبط وكنعان هي أرض فلسطين وآرام هي سوريا! وربما تم ذلك لزيادة الولاء لأراضي المهجر وللاستقلال القرار الديني عن الجزيرة التي ربما لم يعد فيها يهود بعد نزوح الهاشميين (الحشمونيين بالتحريف) من مكة بالقرنين الذين سبقا الميلاد.

(1) سورة البقرة، الآية: 71.

موسى (ع) من مصر إلى التيه

إخفاء بعض آيات صحف موسى:

أكثر نبي ذكر بآيات القرآن الكريم كان موسى (ع): 136 مرة، ومنذ قام الدين الحنيف على أيام سيدنا إبراهيم (ع) لم يخرج عن الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. وفي قصة موسى القرآنية هناك تكرار وتركيز على قصة اليوم الآخر بينما تخلو كل الأسفار التوراتية من الإشارة إليها.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾⁽¹⁾.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾⁽²⁾.

هنا نرى أن أول كلمة كانت لتعريف الله عن نفسه لموسى وقد وردت أيضاً بسفر الخروج⁽³⁾، إنما الكلمة الثانية عن الساعة والحساب مفقودة تماماً وبالتالي لا بد أخفيت لسبب، وقد جاء القرآن ليبين هذه الحقيقة. ونرى التعاليم التلمودية التي تفسر وتعلم أصول الدين بحسب الشريعة الموسوية تتطرق إلى مبدأ العدالة السرمدية والجزاء في الآخرة لكنها تنسبها لتراث شفوي تلقاه موسى بالإضافة للنصوص المكتوبة!

في فصل الخطوط العربية الأولى تطرقنا إلى موضوع التحريف الذي ذكره القرآن

(1) سورة طه، الآية: 14.

(2) سورة طه، الآية: 15.

(3) سفر الخروج، الإصحاح 3، الجملة: 6.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^١ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(١) وهنا موضوع ثانٍ تطرقت إليه الآيات القرآنية نسبة لما فعلته اليهود بنصوص التوراة لجهة الآخرة وهو الإخفاء! فقد جاء بسورة الأنعام:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ^٢ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا^(٢)﴾.

موسى وفرعون

هناك شخصية واحدة في القرآن اسمها فرعون وكان ملكاً على مصر.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، ليس فقط بمعنى أنه استعلى وعلا شأنه بل إنه ملك على بلاد تتميز بطبيعة هضابية مثل الحبشة.

«ثم قام ملك جديد على مصر^(٤) لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكبر وأعظم منا. هلم نحتاط لهم لئلا يزدادوا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون لأعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض». فاضطهد فرعون قوم موسى وكان في دفاعه عن أحدهم أن ارتكب جريمة ثم فر منهم إلى مدين (برمديني جنوب وادي قنا التهامي):

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٥).

ومدين هي اليوم منطقة برمديني جنوب وادي قنا التهامي، والقصة تقول بأن الشيخ الذي تزوج موسى إحدى ابنتيه كان كاهن مدين الذي يدعى عترو (ى و ت ر و) وأنه عند عودة موسى إلى مصر أبقى زوجته وأولاده في رعاية حميه. وفي مكان آخر من قصة

(1) سورة المائدة، الآية: 13.

(2) سورة الأنعام، الآية: 91.

(3) سورة القصص، الآية: 4.

(4) سفر الخروج، الإصحاح 1، الجملة: 8.

(5) سورة القصص، الآية: 22.

«البراق وزبارة»⁽¹⁾ نعلم أن حمي موسى كانت كنيته القناوي وكان اسمه حباب، وما زالت هناك قرية الحباب بمنطقة بارق. وشعيب القرآن كذبه قومه، فأخذتهم الرجفة ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾⁽²⁾. ولا يخبرنا القرآن تفاصيل عن موقع مدين إلا أنه يقول في سورة هود:

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ
أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾⁽³⁾.

والمقصود بالقرب هنا المكان لا الزمان لأن بينهم وبين زمن لوط أكثر من أربع مئة سنة، وكنا في فصل إبراهيم قد أوضحنا بأن مدين شعيب كانوا المدان بنجد ثقيف ترعة، وأن قوم لوط كانوا بسراة زهران!

وادي قنا هو أحد فروع وادي حلي العليا، وشماله كان وادي طيه الذي قد يكون طوى القرآني. مكث موسى ببر مديني (قنا) عشر سنوات في خدمة الشيخ الذي زوجه ابنته. وتذكر الآيات من ثم أنه كان وأهله في مكان ما بقطع من الليل فرأى ناراً: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ۖ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ۖ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾⁽⁴⁾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۖ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾.

(1) سفر القضاة، الإصحاح 4: الجملة: 11.

(2) سورة الأعراف، الآية: 93.

(3) سورة هود، الآية: 89.

(4) سورة طه، الآيات: 9 - 13.

(5) سورة القصص، الآيات 29 - 30.

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي • اذهبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى • فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى • قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى • قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى • فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾⁽¹⁾.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁽²⁾.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ﴾⁽³⁾.
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ • إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾⁽⁴⁾.

كلمة طغى ترمز إلى ادعاء فرعون الألوهية، وكلمة يتذكر ربما ترمز إلى رسالة يوسف في أرض مصر التي آمن بها بعض أهلها ومنهم الذي كان يذكرهم بما حدث لقوم نوح وعاد وشمود! ولو كانوا في وادي النيل لربما ذكر إدريس (أوزيريس) فيمن ذكر من الأنبياء، ونرى فرعون يقول: أليس لي ملك مصر؟ ومن المعروف أن الأقباط القدماء أطلقوا على بلادهم لا مصر بل «إيكمت» ولعل «إيجبت» اليونانية مشتقة منها. وكلمة يبرو المذكورة بالنقوش ليست اسماً لحاكم بل معناها «الباب الكبير» مثلما يقال الباب العالي أو البيت الأبيض ليعني مركز القرار في الدولة. كما أن قوله ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ لا تصح في أرض النيل التي ليس فيها سوى نهر واحد، ولتكون تجري من تحته يجب أن يكون في الأعالي فوقها؛ وهذا لا يصح في منطقتنا إلا بهضبة الحبشة التي تسيل منها الأنهار في جميع الاتجاهات ولا سيما باتجاه الشمال لتكون أهم روافد النيل (الأبيض والأزرق وعطبرة).

(1) سورة طه، الآيات: 42 - 47.

(2) سورة الزخرف، الآية: 51.

(3) سورة غافر، الآية: 31.

(4) سورة غافر، الآيتان: 23 و24.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁽¹⁾.

فهل يعقل لملك الأقباط أن يطلب من وزيره أن يبني له صرحاً من الطين ليكون له (مرصداً) بوجود الأهرامات العظيمة التي كانت موجودة قبل عصر موسى بألف عام!

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَتَّسَحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ • فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾⁽²⁾.

والطوفان النعمة كما فسره ابن عباس وهو كثرة الأمطار وليس الفيضان الذي له في مصر مفهوم النعمة التي يأتي بها سنوياً من جراء الطمي الذي يزيد من خصوبة التربة ويجدد من حيويتها.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ • وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ • وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ • فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ • كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽³⁾. وهنا نذكر بأنه لم يحدث في التاريخ قط أن بني إسرائيل تملكوا أرض مصر!

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾⁽⁴⁾.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ • فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ • قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾⁽⁵⁾.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى • فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة القصص، الآية: 38.

(2) سورة الأعراف، الآيتان: 132 و 133.

(3) سورة الشعراء، الآيات: 53 - 59.

(4) سورة الشعراء، الآية: 52.

(5) سورة الشعراء، الآيات: 60 - 62.

(6) سورة طه، الآيتان: 77 و 78.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۖ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۖ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾.

هنا يخرج بنو اسرائيل في الليل من إكسوم بمرتفعات الحبشة ومروا بريمس⁽²⁾ ثم بسقوطة ثم بأدامة. ويتبعهم جنود فرعون في الصباح (مشرقين) عندما علموا بالأمر، ولا نعلم كم استمرت المطاردة ولكن مرويات العهد القديم تخبرنا أن الله كان قبالهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم⁽³⁾ والتفسير الوحيد لهذه الظاهرة الطبيعية هو وجود براكين على الطريق ترسل الدخان بالنهار وتضيء نيرانها لهم بالليل. وإذا نظرنا إلى الخارطة الجيولوجية لمنطقة الشرق الأوسط لوجدنا أكبر تجمع براكين فيها على خط الفالق الإفريقي العظيم الممتد من شمال الحجاز إلى الأخدود في شرق إفريقيا من حيث انطلق بنو اسرائيل من إقليم اكسوم حتى وصلوا إلى البحر أمام باب المندب حيث أدركهم فرعون وجنوده. ولو كانوا في أرض النيل لاجتازوا الممر البري الذي شقته قناة السويس فيما بعد ولما احتاجوا للوقوف أمام البحر وانتظار معجزة. فإن قال قائل بأن الفراعنة كانوا يسدون هذا الممر بسواتر رملية عالية لمنع الغزو عن أرض مصر لأجبنا بأن الخروج حدث في نهاية أيام الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين أهملوا هذا الساتر تماماً لأن الإمدادات كانت تأتيهم عن طريق سيناء ولذلك فأرضه كانت أرض مساعدة لتثبيت احتلالهم للأرض ولم يكونوا يخشون غزواً خارجياً عبره!

عند مجمع البحرين بباب المندب قال أصحاب موسى «إنا لمدركون» لأن البحر من أمامهم والعدو من ورائهم. فماذا حدث؟ طلب الله من موسى أن يعبر ببني اسرائيل من أماكن جافة ما أمكن إلى أن وصل إلى منطقة عميقة نسبياً؛ وهنا طلب منه أن يضرب البحر بعصاه فانفلق البحر مخلياً لهم طريقاً يسيأ ساروا عليها.

(1) سورة الشعراء، الآيات: 63 - 67.

(2) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 5.

(3) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 21.

والتفسير العلمي لهذه المعجزة أنها بمعرفة توقيتها وهذا هو المقصود بـ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فالهداية هنا كانت هداية توقيت. أما البراكين النائرة فتشير إلى اضطراب جيولوجي في المنطقة، ومنطقة باب المندب هي أضعف منطقة زلزالية في كل الشرق الأوسط لتحرك الكتلة الآسيوية فيها عن الكتلة الإفريقية، فالضرب بالعصا لم يقدم ولم يؤخر؛ بل هو مثل: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ بقصة مريم بنت عمران عندما جاءها المخاض؛ أي الأخذ بالأسباب ولو على شكل صوري. حدث زلزال كبير في المنطقة التي كانت تشهد أيضاً فورة بركانية وهذا الزلزال أدى إلى حدوث جزر هائل مكن بني اسرائيل من العبور بسلام إلى الضفة الأخرى علماً أنها في تلك الأيام لم تكن عميقة بل إن أهل الأخبار في الصومال يؤكدون أنه في الزمن القديم كانوا يعبرون إلى اليمن على ظهور الجمال. وفي وقت أقرب كانوا يعبرون المضيق على طوافات بسيطة معومة على قرب الماء. وقد ذكر ابن المجاور كلاماً مشابهاً عن باب المندب! (1)

لنلاحظ دقة الآيات:

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (2).

قد يكون المعنى أن اتجاههم كان شرقاً؛ وهذا موقع البر اليمني من الساحل الإفريقي، وقد يكون أن تحركهم كان وقت الشروق وهو وقت الجزر الذي مكنهم من العبور! وبعد الجزر عاد البحر وارتد بمد عظيم أغرق فرعون وجنوده ولذلك ذكرت الآيات البحر في البداية ثم اليم فيما بعد عند إغراق المصريين لأن اليم يرمز إلى المد والجزر.

ثم تمضي الآيات القرآنية فتقول:

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۚ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ (3).

وهنا نتساءل لو كانت مصر القرآنية أرض النيل فمتى ورثها بنو اسرائيل؟ هذا لم

(1) صفة اليمن، ابن المجاور، ص: 95.

(2) سورة الشعراء، الآية: 60.

(3) سورة الشعراء، الآيات: 57 - 59.

يحدث قط في التاريخ! بينما إذا سرنا في نظرية أن مصر هي الحبشة نرى أنه فيما بعد تزوج نبي الله سليمان ماجدة ملكة سبأ (وكانت تملك على اليمن والحبشة) فرزقهما الله من هذا الزواج ولداً عيّته فيما بعد ملكاً تحت عرشها على الحبشة. وكما ذكرنا سابقاً فإن أمبراطور الحبشة الراحل هيلا السيلاسي كان دائماً يردد أنه من سلالة أسد هودة الذي هو ابن سليمان والمؤسس الأول للأسرة الملكية في الحبشة. وهناك الرواية الثانية الأكثر معقولة وهو زواجه من ابنة فرعون ملك مصر⁽¹⁾.

وقد حدث لفظ حول الآية 92 من سورة يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾⁽²⁾.

فهناك من أقحم إحدى مومياءات بلاد القبط وربطها بهذه الآية بلا دليل؛ بينما كل المسألة المراد منها أن اليم قذف بجثة فرعون إلى الشاطئ حتى يتبين لقوم فرعون بأنه بشر ميت وليس إلهاً خالداً!

﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا^٣ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾⁽³⁾.

فأين كانت هذه الأرض المباركة؟

الطريق إلى سيناء محطة التشريع

بعد نجاتهم من فرعون وجنوده أصبح بنو إسرائيل في المقلب الشرقي لباب المنذب وهو مجمع البحرين المذكور في القرآن حيث وقائع القصة الشهيرة مع العبد الصالح والمذكورة في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾⁽⁴⁾.

والبحران هما بحر العرب والبحر الأحمر (بحر صوفة بلغة العهد القديم).

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 11، الجملة: 1.

(2) سورة يونس، الآية: 92.

(3) سورة الأعراف، الآية: 137.

(4) سورة الكهف، الآية: 60.

وفي قصة الخروج⁽¹⁾:

«وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلاستيين مع أنها قريبة. لأن الله قال لثلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر! لأن نيتهم كانت بادئ ذي بدء العودة إلى منطقة أجدادهم لدفن عظام يوسف مع آبائه وأجداده بأعالي محافظة أضم، واستخدامها كنقطة انطلاق للصعود إلى مكة وهي الطريق الأقرب. وكان في طريقهم أرض الفلاستيين بأعراض تهامة من الجائزة حتى قرين عرفة.

وتمضي القصة التوراتية⁽²⁾ أنه بعد غرق فرعون وقومه:

«يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة السكان الفلاستيين. حيث يندش أمراء أدوم. أقوياء منهب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنانة. تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته. تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك».

ولا شك بأن الوصف هنا هو لحالة الشعوب المتاخمة بعدما أحسوا بالزلزال الكبير الذي حدث في المنطقة وليس أبداً من جراء غرق فرعون وقومه ونجاة موسى وبني إسرائيل. ومن منطقة باب المندب أو مجمع البحرين انتقل بنو إسرائيل إلى تهامة فعبروا⁽³⁾ وادي مرة (6 كلم جنوب البرك) ومنها إلى جي سين التي هي ضنك (ضنكان) كما بنسخة أخرى، حيث نظموا صفوفهم إذ قسمهم موسى إلى اثني عشرة فرقة على رأس كل فرقة قائد:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 17.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 15، الجملة: 14.

(3) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 8.

(4) سورة الأعراف، الآية: 160.

وتخبرنا مرويات العهد القديم أن ضرب الحجر قد تم في منطقة مربة بتهامة عسير. ويبدو أن العماليق الساكنين بالمنطقة وبلادهم كانت بأصدار تهامة بين وادي الشرى شمالاً والرفود جنوباً غرب أبها تصدوا لهم بعد ثلاثة شهور من وصولهم⁽¹⁾. وربما بنو عجاجة اليوم من بقيتهم لأن زعيمهم بزمن شاول/طالوت كان اسمه عجاج.

وفي البرية بمنطقة سيناء أو سينين (قرب فرعة سنان جنوب قنا والبحر) بالصيغة القرآنية تحت جبل الطور/السراة كانت محطة فاصلة؛ لأن إيمانهم كان ما زال ضعيفاً، وكنا رأينا التالي بعد عبورهم إلى بر الأمان ونجاتهم من فرعون وقومه:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ • إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ •﴾⁽²⁾.

وحتى موسى بعد تأنيبه لبني قومه نراه يتخذ موقفاً يذكرنا بموقف سيدنا ابراهيم من البعث بعد الموت عندما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمِنَ قَلْبِي •﴾⁽³⁾، فنراه يطلب شيئاً عجيباً:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ وَلَٰكِن انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ •﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ •﴾⁽⁴⁾.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 17، الجملة: 8.

(2) سورة الأعراف، الآيات: 138 - 140.

(3) سورة البقرة، الآية: 260.

(4) سورة الأعراف، الآيتان: 143 و144.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ٥٨ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ ٥٩ ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ٦٠ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ٦١ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ٦٢ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ٦٣ ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ ٦٤ (١).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

ولتقديم الطاعة وإبداء التوبة والندم على ما اقترفوا من إثم اختار موسى من قومه جماعة لمناجاة ربهم وطلب المغفرة:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ٦٥ ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ﴾ (٣).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٦٦ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤).

فالأيات تدل بوضوح على أنهم كانوا في حالة وعي شبه بدائية لا يستقيم معها لا الإيمان بالغيب ولا بإله مطلق بعيد عن التجسيد والتشخيص وهذه كانت حال الناس

(١) سورة طه، الآيات: ٨٨ - ٩١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٥ و ١٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٥٥ و ٥٦.

عموماً؛ بل إن بني اسرائيل كانوا في حالة وعي متقدمة على باقي الشعوب لإيمانهم بآله واحد وباليوم الآخر ولذلك سمح لهم ربهم بإخراج الشعوب التي سيأتي ذكرها من الأرض التي بارك فيها لأن بني اسرائيل - في أيامهم - وحدهم تقريباً كانوا من الموحدين أو هكذا كانت تعاليم دينهم على الأقل بينما كانت سائر الشعوب في الجزيرة تعبد البعل والعثر وباقي الكواكب وغير الكواكب؛ ما عدا الإسماعيليين والأدوميين (العدنانيين) ومن بقي على ملة هود وصالح (ع).

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾⁽¹⁾.

وكلمة مختصرة عن خطوط الكتابة قبل الوصول إلى الألواح: سبق وذكرنا أن الكتابة بخط المساند كانت منتشرة في أكثر مناطق الجزيرة وفي الحبشة أيضاً والتاريخ اليمني القديم يؤكد أنه كثيراً ما كانت الدولة اليمنية حاكمة على الحبشة وفي بعض الأحيان كانت الدولة في الحبشة هي الأقوى وهي الحاكمة والمالكة على اليمن. والغريب أن علماء التوراة يتجاهلون حقيقة أن بني اسرائيل كانوا في مصر مدة 430 سنة وبالتالي كانوا لا يعرفون كتابة غير الهيروغليفية وفجأة عند عبورهم إلى سيناء تصبح الأحرف التي كتبت على الألواح لموسى (ع) بأبجدية غريبة عنهم تسمى بالسينائية! كأن صحراء سيناء كانت نقطة إشعاع حضاري متقدمة على بلاد ما بين النهرين والشام التي كانت تكتب بالمسمارية وعلى أرض النيل التي كانت تكتب بالهيروغليفية؛ وكل ذلك لتبرير أن جغرافيا الخروج كانت من أرض النيل وما يعرف اليوم بشبه جزيرة سيناء.

وفي الواقع فإن الألواح التي في نسختها هدى ونور والتابوت الذي ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾⁽²⁾ هما انعكاس للحال المادية وليس المعنوية التي كان عليها بنو اسرائيل؛ فهم كانوا على غير استعداد لتنفيذ أوامر سماوية موحاة إلى موسى بل أرادوا تصديق شيء ملموس كحال جميع الناس في تلك الايام لأن فرعون أيضاً كان قد قال لقومه:

(1) سورة الأعراف، الآية: 145.

(2) سورة البقرة، الآية: 248.

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾⁽¹⁾.

بينما الذي آمن بموسى من قوم فرعون قال:

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾⁽²⁾.

إذا أرادوا تصديق شيء ملموس فنزلت الوصايا العشر مكتوبة على ألواح محسوسة ووضعت في صندوق خشبي (تابوت) على شكل عرش محمول وعليه أشكال ملائكة كأنها تحمل العرش. وكان بنو اسرائيل يعتقدون بأن (يهوه) «هو» أو «الله» هو روح غير مرئية ولكنها تسكن في الصندوق الذي وضع في خيمة بينهم!

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾⁽³⁾ وليس وحياً فقط.

وكان كلما احتاج ذهب إلى الخيمة على مرأى من بني اسرائيل في تيههم وخرج اليهم فيما بعد بالأوامر. وكانوا يحملون التابوت معهم أينما رحلوا ليتذكروا بأن الله معهم. وجاء في الذكر الحكيم عن التابوت أنه ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾⁽⁴⁾ والمقصود بالسكينة طمأنينة القلب وراحة البال التي تأتي من الإيمان بالملموس وليس بالغيب.

وعند الطور أمر موسى بالصعود إلى الجبل وهناك كلمه ربه عز و جل فأمره

حينئذ بالوصايا العشر:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾⁽⁵⁾.

﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾⁽⁶⁾

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمَرْ بِرَبِّكُمْ عَلَيْنَا أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا

(1) سورة غافر، الآية: 29.

(2) سورة غافر، الآية: 39.

(3) سورة النساء، الآية: 164.

(4) سورة البقرة، الآية: 248.

(5) سورة الأعراف، الآية: 142.

(6) سورة الأعراف، الآية: 145.

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴿١﴾.

ثم أخبره ربه بحدود الأرض المقدسة التي كتبها لبني اسرائيل، ولا تخبرنا الآيات القرآنية بحدود هذه الأرض ولكن مرويات العهد القديم ذكرت في الإصحاح 34 من سفر العدد أن تخومها هي بحر صوفة (البحر الأحمر) غرباً إلى جبال تهامة وسراة جنوب الطائف شرقاً، ومن وادي الجزل شمالاً إلى وادي نخلان جنوباً. ولكن عندما دقت ساعة الجد جنبوا عن دخول الأرض التي وعدهم الله بها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٣﴾.

محطات التيه:

من قصة التيه^(٤) يتبين لنا أن جبل سيناء هو جبل بركاني ولعله الواقع 4 كلم جنوب

(1) سورة الأنعام، الآيات: 151 - 153.

(2) سورة المائدة، الآيات: 20 - 22.

(3) سورة المائدة، الآيات: 24 - 26.

(4) سفر الخروج، الإصحاح 19، الجملة: 2.

بر مديني الواقعة 25 كلم جنوب منطقة بحر سكيته، وسفر العدد 33 فيه ملخص لكل محطات التيه.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾⁽¹⁾.

ولا بد أن لائحة المحطات التي توقف عندها بنو إسرائيل في الأربعين سنة من التيه قد أصابت جغرافي التوراة بالدوار! وكيف يحددون ثلاثين مكاناً في منطقة قاحلة وشبه خالية من السكان مثل ما يعرف اليوم بشبه جزيرة سيناء. لقد عدد⁽²⁾ سفر العدد هذه المحطات كما يلي وقد اجتهدت في تحديد بعض المواقع المشار إليها بين الأقواس وهي أسماء سيأتي يوم يحقق فيه غيري المزيد. بعد عبورهم مضيق باب المندب وصلوا إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية (ء ت م) التهام ونزلوا في (م ر ه) وادي مرة 6 كلم جنوب البرك بتهامة ثم ارتحلوا إلى (ء ي ل م) ألمع ثم عادوا ونزلوا على بحر صوفة (البحر الأحمر) ثم لبرية سنا (فرعة سنان) ونزلوا في دفقة ثم ب (ء ل و ش)، ثم في رفيدين (الرفود من قبائل قنا)، ثم عادوا لبرية سنا (فرعة سنان 5 كلم غرب آل فروان جنوب لتين) ثم إلى قرب جبل التهوى (ه ت ء وة) ثم إلى (ح ص رة) خضرا بخت كباد ثم (ر تم ه) أم رهط قرب بحر سكيته ثم في (رم ن ف ر ص) جبل ريمان المجاردة أو ريم عند الشقيق، ثم في لبنه ثم في (رس ه) الريث ثم (ق ه ل ت ه) قحمة ثم في جبل صيفر، ثم في (ح ر ده) حريضة ثم في (م ق ه لة) مخلوطة ثم في (ت ح ة) طحاحين محایل ثم في (ت رح) طارخ ثم في (م ت ق ه) مدكة جنوب شرق أبها ثم في (ح شم ن ه) مخشوشة ثم في (م س رو ة) بالمساهرة ثم ب (ب ن ي ع ق ن) بني عمق ثم ب (ح ر ه ج د ج د) خير الكدكد ثم في (ى ط ب ت ه) يبة ثم في (ع ب ر ن ه) الغبرة عند جبل عفف ومنها إلى (ع ص ن ج ب ر) عضان الجابر بين العرج وأضم ثم في برية ضن (الضنك) جنوب (ق د ش) (كدسة بلعير) ثم في جبل (ه ه ر) حير قرب جبل الحوراء. وعند جبل حير هذا مات النبي هارون ودفن فيه.

(1) سورة طه، الآية: 80.

(2) سفر العدد، الإصحاح: 33، بالكامل.

ويجب أن لا يفوت التذكير بما أسهنا به في مقال مصر القرآنية عن قصة البقرة التي طلب الله منهم ذبحها⁽¹⁾. وفي نصوص التوراة أيضاً⁽²⁾ الإشارة إلى الأبقار الكثيرة التي كانت مع بني إسرائيل بالتيه! وهو موضوع لم يقربه التوراتيون من قريب أو بعيد وفيه نفس لروايتهم عن إحدائيات التيه. وقد مر مفسرو القرآن أيضاً على هذا الموضوع دون أن ينتبهوا له أو يعلقوا عليه! فالبقر لا تستطيع العيش بشبه جزيرة سيناء المصرية بسبب الجفاف الشديد؛ ناهيك عن استعمالها بالحرث والسقاية التي هي نادرة بالصحارى على كل حال، بينما هي وسيلة الحرث والسقاية بتهامة شهر وعسير وجيزان.

الأراضي شرق الأغوار التهامية

سار بنو إسرائيل بطريق الأصدار التهامية صاعدين من عضان الجابر بين العرج وأضم ثم بأرض الغبرة عند جبل عفف ثم صعدوا إلى أرض مناهب دوس. ويبدو أن المواهب رضوا بأن يسمحوا لموسى وقومه بالمرور على أن يدفعوا ثمن مأكلمهم ومشربهم. ثم طلبوا من الملك سيحان⁽³⁾ ملك⁽⁴⁾ خشبان (أبي خشب) من بني عمرو المرور بأرضه ولكنه رفض وهاجمهم فوقعت المعركة عند جحصة ولكن الله نصرهم عليه. والعنف الذي اتسمت به المعارك وما استتبعها من القضاء على قوم سيحان العمريين: يدل أن الله أراد أن يجعل لبني إسرائيل هيبة بين الشعوب وأن يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب. ثم اتجهوا شمالاً من العرنين نحو المرتفعات الجبلية فهاجمهم وج (عوج) ملك بشيان⁽⁵⁾ التي⁽⁶⁾ كانت⁽⁷⁾ أملاكه تمتد من عاذر عند وادي عردة حتى عشيرة الطائف. وجرت المعركة عند ترعة ثقيف فانتصر بنو إسرائيل واستولوا على كل أراضي الملك

(1) سورة البقرة، الآيات: 70 - 71.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 12، الجملة: 38.

(3) سفر العدد، الإصحاح 21، الجملة: 21 - 30.

(4) سفر التثنية، الإصحاح 2، الجملة: 24 - 37.

(5) سفر التثنية، الإصحاح 1، الجملة: 4.

(6) سفر التثنية، الإصحاح 3، الجمل: 1 - 13.

(7) سفر العدد، الإصحاح 21، الجمل: 32 - 35.

وج (وادي وج الطائف ينسب لـ: وج عبد الحق أو عبد الحي ملك العماليق الذي كان عرشه برقة بني هُثَم)، فكان من نصيبهم أيضاً باقي مملكة وج المشتملة على الشيط، هائرة، وادي بحيان، جلدان، والطائف.

وحل الشعب بالشيط. وخشي بليق بن عصفور ملك المناهب من جموع الإسرائيليين، فأرسل إلى بلعوم، وهو عراف مشهور من وادي الدواسر ليلعن بني إسرائيل، ولكن الله جعل بلعوم يباركهم عوضاً عن أن يلعنهم، ونصح بليق وبني مدّان بأن لا يحاربوهم بل يغزوهم بالنساء ليفضب الله عليهم ويسخطهم. وهكذا كان إذ فتنت نساء مدّان شباب بني إسرائيل فغضب الله عليهم وأمر موسى (ع) أن يقضوا على المدّانيين الساكنين في النجد. وهنا نغالط الجغرافيا التقليدية التي حسبت أنها بالبدع في أراضي تبوك الشمالية على خليج العقبة وعلى امتداد الأراضي المواجهة للساحل السينائي، وهي بالتالي بعيدة جداً عن أراضي منهب.

ولم يسمح لموسى بدخول الأرض المباركة بسبب شكه وارتياحه عندما طلب منه ربه أن يضرب الصخرة عند ماء ريبة (مرية) كما شرحنا سابقاً، فصعد إلى جبل نبو (النبي إبراهيم) ورأى من هناك الأرض المباركة من وراخ إلى جلعاد (جلدان) وأراضي هوزة (حيث هذيل اليوم) حتى تمن (وادي يصب بعليب) وحتى البحر الغربي (الأحمر). أما بالجغرافيا التقليدية للأماكن التوراتية فموقع جبل نبو هو غرب مأدبا في شمال المملكة الأردنية الهاشمية وهنا فإن موسى قد يرى بعضاً من أراضي جلعاد ودان ونفتالي وإفرايم ومنسى ولكنه لن يتمكن البتة من رؤية أراضي هوزة الممتدة إلى البحر ولا النقب في الجنوب، وهو إن رأى أريحا فلن يتمكن من رؤية صغرة لأنهم وضعوها جنوبي البحر الميت، ولن يرى البحر الأبيض المتوسط بتاتاً. في الواقع كان صعوده لجبل نبو (النبي إبراهيم - بثرة) حيث رأى من هناك كل المناطق المذكورة والتي سيتم تبيانها.

حدود الأرض المباركة

ثم نجد كيف أن موسى (ع) شرح لبني إسرائيل حدود الأرض المباركة:

1 - جنوباً⁽¹⁾: (جملة 3): بشكل عام برية الضنك (شرق البرك) وصولاً إلى وادي نخلان عند حدود مصر التوراتية التي تبدأ من صبيا إلى اليمن والحبشة. وتبدأ الحدود الجنوبية من الشرق بأعلى تهامة بني شهر عند بني المليح ثم إلى عقبة ضلع ثم إلى وادي نخلان شمال صبيا وصولاً إلى البحر الأحمر. و (ن ح ل م ص ر ي م) الذي فسر تعسفاً بعد ترجمة بطليموس السبعينية (وربما لأسباب سياسية) على أنه وادي المصريين ونهر النيل استتباعاً هو هذا الوادي حيث كانت تبدأ حدود مصر التوراتية من صبيا وجازان نازلة جنوباً إلى اليمن وغرباً إلى الحبشة. ومن البديهي أنه لا حقيقة البتة عن وصول حدود مملكة داود وسليمان إلى بلاد القبط.

2 - غرباً⁽²⁾: البحر الكبير وهو البحر الأحمر.

3 - شمالاً⁽³⁾: من البحر الأحمر إلى جبل الحوراء عند أم لج اليوم وصولاً إلى وادي حمض، ووادي (ف ر ه ج ز ل)⁽⁴⁾ هو وادي فرعة الجزل الذي له شعبتان عظيمتان واحدة غربية هي الفرعة وأخرى شرقية هي وادي القرى الوارد ذكره بالسيرة النبوية. ووادي فرعة الجزل فسر بتعسف أيضاً على أنه وادي الفرات العظيم! ومن البديهي أنه لا حقيقة البتة عن وصول حدود مملكة داود وسليمان إلى نهر الفرات بشرق بادية الشام. والإشارة الغامضة إلى «النهر» بالإطلاق ودون تحديد بفتوحات داود (ع) هو ليس للحدود الشمالية بل الجنوبية الشرقية عند وادي الدواسر.

4 - شرقاً⁽⁵⁾: من فرعة الجزل إلى عينين (جبل أحد المدينة) إلى صفينة إلى ربله (بركة عشيرة) إلى قرن المنازل إلى الملحاء قرب الطائف، وتتابع التخوم على (هـ و ر د ن) وهي العروض أي جبال تهامة العليا وصولاً إلى مليح بتهامة بني شهر. هذه قصة تخوم الأرض المباركة الحقيقية، أرض كنانة الأولى الأقدم من إبراهيم (ع)، وهي كما نجد لا علاقة لها بالنيل، ولا بالفرات.

(1) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 3.

(2) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 6.

(3) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 7.

(4) سفر التثنية، الإصحاح 1، الجملة: 7.

(5) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 10.

خطبة الوداع

وقبل صعوده إلى الجبل وانتقاله ألقى موسى على بني إسرائيل خطبة الوداع. ومما تنبأ به موسى لبني إسرائيل وذكره لهم في خطبة الوداع⁽¹⁾:

«فإن لم تحرصوا على العمل بجميع كلمات هذه الشريعة المكتوبة في هذا الكتاب..... ويردكم الرب إلى ديار مصر في سفن في طريق وعدكم ألا تعودوا ترونها، فتباعون هناك لأعدائكم عبيداً وإماء. وليس من يشتري».

المدعش أنه لم ينتبه أحد إلى هذه النبوءة التي تحققت في أيام نبوخذ نصر! ولكن لماذا قال موسى بأنهم لو كانوا سيعودون إلى مصر فإن ذلك يجب أن يتم بواسطة سفن؟ فلو كانت الطريق ستمر عبر جزيرة سيناء فما الحاجة إلى السفن والأرض متصلة بين البر الآسيوي والإفريقي قبل شق قناة السويس؟ وإنما نبوءة موسى كانت عن فرارهم عبر ميناء الشعبية باتجاه إثيوبيا.

ومات موسى بعد أن سلم القيادة إلى يوشع بن نون ليستكمل فتح الأرض الموعودة ويقوم بتقسيم أراضيها على الأسباط الباقية.

وتقول التوراة⁽²⁾: فمات موسى عبد الرب في أرض منهب بموجب قول الرب. وبعد موت موسى أقسم القوم أمام الله على طاعة أوامر يوشع بن نون لدخول الأرض المقدسة:

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾⁽³⁾.

(1) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجمل: 58 - 68.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 34، الجمل: 5 - 6.

(3) سورة إبراهيم، الآية: 15.

يوشع بن نون

قدمت قوات يوشع بن نون من نجد الطائف، وكان أول موقع بالأرض المقدمة تطؤه أقدامهم جلعجل (جليل) بأعلى الغور، هنا تقول النصوص بأن نزول المن توقف للمرة الأولى منذ 40 عاماً! وفي موقع شكم الذي يناسب الحوية دفنوا عظام يوسف (ع) كما كان قد أوصى قبيل وفاته، وهنا كانت قبلة السامريين فيما بعد: بعد خصامهم مع إخوانهم من هودة الساكنين بعري/عرش السلام (مكة).

أول قرية أمر يوشع بفتحها كانت (ى رى ح و) وهي ما يعرف اليوم بريحة بأعلى نخلة الشامية. وثاني قرية كانت (ه ع ي) وهي اليوم عيفان. ويبدو أنها كانت محصنة جيداً ولم يكن اقتحامها سهلاً. وتحالف ضده خمسة ملوك هم ملوك حبرون (ربوع العين) وعري السلام (مكة) والعرامطة والخشاش والعجلان فانتصر عليهم ثم ضرب كل أرض الجبل (جبل هذيل) والجنوب من كديس إلى غزه (الجايضة) وجميع أرض جوشن (جشم) إلى جبعون (قبع الليث) ثم عاد إلى مخيمات بني إسرائيل بجليل. ثم تصدى يوشع لتجمع من ملوك متحالفين⁽¹⁾ ملك حضور (الأخيضر وهو عرج الطائف) وملك المدنة (وهم لليوم من قريش كنانة بوادي شرب بالطائف) وملك السمرة (حرة السلميين أو بني سليم) وملك كشب وقرن وملك الدار (قرية بوادي المحرم)، كنانيين وعمريين، ومن الحوة وفراس والباسة وحافيين تحت سفوح الخرم غرب الحوية. خرجوا جميعاً والتقوا قرب تل

(1) سفر يشوع، الإصحاح 11، الجملة: 1 - 11.

مروان بأسفل لية فدفعهم الله قتلى أمامه، فعرقب خيلهم وأحرق محاملهم.
استطراد: كل هذه القبائل والعشائر كانت موجودة وهناك من يظن بأن الأرض
كانت قاعاً صفصفاً حتى قدوم قبيلة من اليمن اسمها جرهم!

تقسيم الأرض

أعطى موسى (ع) لبني «ريان» (منهم وائل، وكانوا بنجد الطائف واصطدموا مع
الهاجرين وأزاحوهم نحو الجنوب) و«جود» ونصف سبط أبناء «منسي» (ومنهم
عائرة) أراضي حسب رغبتهم شرق العرضان (جبال تهامة) وهي من خارج حدود
الأرض المباركة. ثم قسمت الأرض المباركة على باقي الأسباط على يد يوشع
بواسطة القرعة بالجرول (الحصى) بالسيل الكبير التي اندمجت مع قرن المنازل؛ وهي
اليوم ميقات أهل نجد المكي، وكانت النتيجة كالتالي:

1 - حصة قبيلة هوزة⁽¹⁾ (أراضيها تشمل أغلب أراضي هذيل اليوم) وهي الأهم:
حدودها جنوباً كانت تبدأ من عقبة ضلع جنوب غربي أبها نزولاً غرباً إلى وادي
نخلان بمخلاف «عثر» القديم حتى البحر، ومن عقبة ضلع تسير على أطراف السراة
شمالاً، ثم تشمل سراة الطائف شمالاً وصولاً إلى الحلقة ثم نخلة اليمانية فحنين
وصولاً إلى موقع قرية المجاهدين شرق الأبطح بمكة ثم نزولاً إلى جبل شعر
فالطارفي فسلع فالمعيصم فمضى فقرين عرفات فوادي عرنة إلى البحر الأحمر.
ويعدد السفر بعد ذلك عشرات القرى والأودية التي تتضمنها الأراضي. هذه القبيلة
هي الأهم وسنرى فيما بعد كيف سيطرت على قرار الأرض طوال أربعة قرون؛
واختصرت تاريخ بني إسرائيل الأهم من زمن داود (ع) حتى غزوة نبو قد نصر
(بختنصر) وسببه القوم لبابل، وسجلت تاريخها وتاريخ الحجاز بأسفار سموأل
والملوك وأخبار الأيام. بالتاريخ العربي رمز إلى تلك الفترة بجرهم وهو اسم
الحفيد الرابع لهوزة بن يعقوب (ع) بالقراءة اليونانية (التي تختلف بعض الأسماء
فيها لفظاً عن العبرية ربما لاختلاف المصدر)؛ وبعد السبي بدأت هوزة مرحلة

(1) سفر يشوع، الإصحاح 15 بالكامل.

جديدة انتسبت فيها إلى العدنانيين خصومها السابقين، وبقيت على سيرتها بحسن التدوين فكانت أفضل من حفظ دواوين شعرائها بين العرب!

وبالمقارنة فأراضي هذيل اليوم تمتد من الشواق جنوباً إلى شمال مكة وشرقها، مع قسم يسير من الشفا ومدركة ورهاط، بينما أراضي كنانة كانت تمتد إلى وادي حلي الذي كان لبني حرام، وكان مخلاف عثر لملوكه بني طريف موالي بني مخزوم، وبعده جنوباً مخلاف حكم المذحجين، كما ذكر الهمداني أن العبيدين بدوقة (بين الليث والقنفذة) كانوا بقية جرهم.

2 - حصص أبناء يوسف مجتمعين⁽¹⁾ (تشمل أراضيهم أسفل حرة بني سليم (السلميين أو السمران نسبة إلى أشجار السمر لا إلى سليم بن منصور) /هم أبناء أفرم ومنسي - النقرى) وكانت حدودهم الجنوبية من ذات عرق شرقاً عبر نخلة الشامية ثم السيل الكبير وحرة رهاط ووادي غران ثم الجبل شمال الجعرانة ثم أرض الفليته وصولاً إلى البحر. أكثر ما تنطبق اليوم على أراضي خزاعة لأن عمرو ابن لحي كان قد خزع (اقتطع) أراضيها من مملكة سليمان (ع). أراضي منسي⁽²⁾: بالإضافة إلى حصة نصف سبط منسي عبر الأغوار كانت أراضي بني شكم وحفير والسميدع، ونقرى وضررس. وثنية نقرى شمال عسفان ما زالت معروفة.

3 - حصة بن يمان⁽³⁾: ما بين هودة جنوباً والفروم شمالاً، وبها قرى هامة: الجعرانة، عيفان، الصفاح، سلع، الباسة (عري/عُرُش السلام وهي مكة)، جبعة (قبع العسيلة)، و«قرية» (موقع قرية المجاهدين اليوم بشرق مكة). وهم إلى اليوم بوادي الزبارة ونخلة الشامية، وربما منهم لحيان. المنطقة الغورية بين شمال الهدا وجنوب حرة رهاط كان اسمها: سرج بن يمان.

4 - حصة سمعان (السمعة)⁽⁴⁾: وهي من ضمن أراضي هودة تقع بين وادي مركوب

(1) سفر يشوع، الإصحاح 16 بالكامل.
(2) سفر يشوع، الإصحاح 17 بالكامل.
(3) سفر يشوع، الإصحاح 18 بالكامل.
(4) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 1 - 9.

جنوب يلملم ووادي القنفذة، وتشمل: شعبة إدام وأراضي العيسى والخرم بقنونا والصعاليك بدوقة وسعيا ولباوة والسرحة بالأحسبة، وعشم التي ذكرها الهمداني.

5 - بنو زبالة⁽¹⁾: وبقيتهم عند رابغ، وكانت أراضيهم من طرف جهينة شمالاً إلى جنوب ستارة، وتشمل: ثرابين الرويثة والصفراء، والجحفة، والقنعاء بين أمج وستارة، والحفير، إلى أطراف ثبير مزينة، إلى رثم المطيري. إجمالاً أرض البلادية من حرب اليوم.

6 - الشكرة⁽²⁾: أراضيهم وادي ساية شرقاً والسُّلم إلى خليص مروراً بالمزاريع (المزارع والمزروعي) وشمالاً لثبير بلاد مزينة. وربما بقي منهم اليوم بطن من الجلاة من حبش من سليم.

7 - الشواهرة⁽³⁾: أراضيهم من جهينة من الحلقة جنوباً مروراً بسعد جهينة ينبع حتى الحوراء عند أملج شمالاً وإلى وادي الصوير وخاص بخير، وقناة، ورمان. وربما وصلت أراضيهم إلى دادان العلا.

8 - أفتل/غطفان (أفتل الخثاعمة ونفعة عتية)⁽⁴⁾: وكانت ديارهم تشمل الضعن وحمى وعينين (المدينة) وذوي الحليفة ومريين وحكاك وورقان وثبير مزينة، ورثم وأخيضر عرج الطائف، وآرة، وأقداس، وجليل وذرة وصولاً إلى قرن المنازل.

9 - الدنون/هوازن⁽⁵⁾: وكان نصيبهم ضرعاء والأشطاط والبرقا والروقة والثعالبية والشعبية. وصعدوا إلى بني الليث واحتلوا أرضهم وأسموها ودان على اسم أبيهم، كما أن أراضي الروقة والبرقا توحى وكان لهم علاقة بقبيلة هوازن.

الجدير ذكره أن حدود القبائل شكلت معضلة لعلماء التوراة ذلك أنه في الإصحاحات 13 - 19 كانت تذكر أراضي عشيرة ما على أنها داخل حدود أرض قبيلة ما لتعود في الإصحاحات 20 - 21 ويذكر اسمها على أنها تخص قبيلة أخرى!

(1) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 10 - 16.

(2) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 17 - 23.

(3) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 24 - 31.

(4) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 32 - 39.

(5) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 40 - 46.

10 - بما أن سبط اللاويين⁽¹⁾ (بني لؤي) المنحدرين من هارون (ع) لم يعطوا أراضي محددة (لكونهم من الكهنة) فقد كانت وصية موسى (ع) أن تعطيتهم الأسباط الأخرى من مدنها ومراعيها، فكان نصيبهم متفرقاً بين باقي القبائل كما يلي:

1 - لبني قهيد 25 مدينة من أسباط هودة وسمعان وبن يمين والفروم والهوازن ونصف سبط المنسي ومنهم جرهم وبنو صوفة الذين كانوا يلون الإجازة بالناس من عرفة⁽²⁾.

2 - ولبني (ج ر ش و م) # (كريشان/قريش) 13 غوراً من أسباط الشكرة والأشاهرة وأفتل/غطفان ومن نصف سبط منسي ببشيان بنجد الطائف. وقريش اسم عام، وقد عدّ عاتق البلادي 7 قريشات غير قريش كنانة⁽³⁾، والمسألة تحتاج لمزيد بحث خاصة في ضوء أن قريشاً كانت متفرقة في أحياء العرب، وخاصة بين بطون كنانة، فجمعها قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب.

3 - ولبني مرة حسب عشائريهم 12 غوراً من سبط ربان وجود وزبالة. وكانت وفاة يوشع ودفنه في دمنة السرحات من أرض الفروم⁽⁴⁾، وكما ذكرنا سابقاً فقد دفنت عظام النبي يوسف (ع) بشكم (حوية الطائف) بالأرض التي كان أبوه قد اشتراها من حمير بن شكم الحافي الكناني بعودته من وادي الدواسر.

خلاصة: تجب مراجعة كل هذه الأسماء من المختصين بعلم الأنساب ومماهااتها مع ما توصل إليه وشرحه عالم السلالات الجينية الأشهر البروفسور كلوسوف عن إلتقاء أبناء إسماعيل وأسباط الموسويين تحت عائلة I₁!

(1) سفر يوشع، الإصحاح 21 بالكامل.

(2) شفاء الغرام، ج 2، ص: 31 - 32.

(3) معجم القبائل الحجاز، البلادي، ص: 417.

(4) سفر يوشع، الإصحاح 24، الجملة: 30.

الأسباط (القضاة) الموحى إليهم

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ..﴾⁽¹⁾.

هنا المقصود بالأسباط ليس أبناء نبي الله يعقوب (ع) لأنهم باستثناء يوسف (ع) ما كانوا أنبياء. الأسباط الموحى إليهم هم قضاة كان يوحى إليهم وحكموا بشرع الله وأفتوا لبني إسرائيل بفترة أسماها السامريون «فترة الرضا» وامتدت من زمن خليفة موسى (ع) وهو نبي الله يوشع بن نون (ع) حتى ظهور النبي سموأل. وهنا تأريخ لنهاية مرحلة دامت 4 قرون وابتداء المرحلة الملكية التي دامت 4 قرون أيضاً وانتهت بالغزو والسبي الخلداني/الكلداني للحجاز على أيام معد العدناني؛ على ما ذكر الطبري.

بداية مرحلة الأسباط كانت في القرن 14 ق. م، وقد تعرض إيمان بني إسرائيل لعدد لا يحصى من الردات التي كانوا يتوبون بعدها إلى الله، وكان الله يرحمهم في كل مرة ويبعث لهم من ينقذهم من أعدائهم.

القضاة:

1 - عيثان إل (من وادي الغالة)⁽²⁾ وكان من عشيرة كليب: وقد خلّصهم من 8 سنين من الاستعباد لملك من النجد اسمه كوثنان، واستراحت الأرض بعد ذلك مدة 40 سنة.

(1) سورة النساء، الآية: 163.

(2) سفر القضاة، الإصحاح 3، الجملة: 9.

2 - أحيّد من سبط بن يمان⁽¹⁾: وقد خلصهم من عجلان ملك المناهب الذي حالف بني غنم والعماليق واحتل وادي نخلة، واستعبد بني إسرائيل 18 سنة. فقتل أحيّد عجلان واستراحت الأرض بعد ذلك 80 سنة.

3 - سنجر بن عناة⁽²⁾ الذي حارب الفلاسة (الفلاسيين بتهامة كانت أراضيهم بجبال تهامة تشمل الجائزة بأعالي حلية جنوباً والشدادين بحقال وكساب بوادي أضرم حتى عسلق يلملم وخدم والقرين بعرفات).

4 - البراق بن أبي النعم⁽³⁾ من منطقة جبال قدس من ديار عتيبة (سفر الأسباط/ القضاة 4) الذي قاوم أبان الذي ملك على كنانة وكان بأخيضر العرج شرق الطائف وكان على رأس جيشه سيسرى وكان مركز جيشه بحريشة قرب عشيرة. عسكر البراق بجبل ثبير شرقي مكة ثم انقضض على كنانة وهم بوادي نخلة (كوثان)، وكان النصر حليفه وتم قتل سيسرى، واستراحت الأرض 40 سنة.

5 - جدعان بن عياش أبي العذرة⁽⁴⁾ (من سبط المنسي) من عفار (جبل ببلاد سفيان) الذي حارب المدينة بنجد الطائف الذين كانوا في حلف مع العماليق وقديمات العوامر، وكانوا يغيرون على أراضي بني إسرائيل الذين كانوا بالطائف. وكانت معركة بوادي نخلة، وجدعان وأنصاره من أرض البلادية وجهينة وغطفان اليوم، فضرب جدعان المدينة ففروا شرقاً إلى الشط وأرض الصريرات. طلب جدعان من سبط الفران (بني أفرم) تتبع فلول المدينة⁽⁵⁾ ففعلوا وقتلوا أميرين منهم (ذئب وغراب) وجاؤوا برأسيهما لجدعان من عبر العروض وهي جبال تهامة، ثم عبر جدعان إلى نجد الطائف مطارداً ذباح وسلمان وتبعهما حتى ظفر بهما قرب نبوح التي اليوم هي قنة وهي فلاة بين نخب ولية.

(1) سفر القضاة، الإصحاح 3، الجملة: 15.

(2) سفر القضاة، الإصحاح 3، الجملة: 31.

(3) سفر القضاة، الإصحاحات: 4 و5 بالكامل.

(4) سفر القضاة، الإصحاحات: 6 و7 و8 بالكامل.

(5) سفر القضاة، الإصحاح 7، جملة: 22.

- 6 - ثم كان أبو مالك⁽¹⁾ من شكّم (الحوية).
 7 - ثم كان طليع⁽²⁾ من الشكرة بجبل الفران.
 8 - ثم عائرة⁽³⁾ من جلدان شرقي الطائف.
 9 - ثم فتيح⁽⁴⁾ الجلذاني من شرق الطائف الذي حارب بني غنم، وكان بعد موسى
 بـ 3 قرون.

- 10 - ثم علوان⁽⁵⁾ من بني زباله - أرض البلادية.
 11 - ثم عبيدان بن هلال⁽⁶⁾ الفرعتاني (من وادي الفرع - مستورة شمال رابغ)،
 ويقول أهل الجحفة عن قصر قديم مهتم شمالها أنه من صنع الهللا؛ أي بني هلال⁽⁷⁾.
 12 - ثم كان شمسان⁽⁸⁾ من بني دن/الوازن (هوازن) وكان من وادي ضرعاء
 نعمان، وكان منذوراً لله فلم يقصوا شعره، وكانت له قوة بدنية خارقة، وكان صراعه
 مع الفلاسّة الذين تعبدوا للوثن دجن/دعجان. أفتى لإسرائيل 20 سنة ثم أوقعت به
 دليّة لصالح أعدائه بعد أن أغوته وقصّت شعره، فأخذه للجائزة بمحافظة الليث
 حيث سجنوه ثم أرادوا إذلاله فهذّ عليهم المعبد بالقصة المعروفة.
 ماذا حل بالفلاسّة؟ بعد أن أخضعهم داود (ع) لم يعد لهم ذكر كفلاسّة؛ فمن
 الممكن أنهم دخلوا في شريعة موسى مع قبيلة هوذة القوية التي تسكن هذيل أرضها
 اليوم، أو صاروا معروفين ببني مالك بجيلة. وقد يكون بنو الفلاسي اليوم منهم. وربما
 هاجروا إلى السواحل الشامية فأسميت فلسطين نسبة إليهم وقد ذكرها هيرودوت.
 وربما هاجر قسم منهم مع ناس من قبيلة الدان (هوازن) إلى الحبشة وقت الغزو
 الخلداني (الكلداني) حيث ظلوا إلى اليوم معروفين بأنهم الفلاشا (الأغراب)!

(1) سفر القضاة، الإصحاح: 9 و 10 بالكامل.
 (2) سفر القضاة، الإصحاح 10، الجملة: 1.
 (3) سفر القضاة، الإصحاح 10، الجملة: 3.
 (4) سفر القضاة، الإصحاح 11 و 12 بالكامل.
 (5) سفر القضاة، الإصحاح 12، الجملة: 11.
 (6) سفر القضاة، الإصحاح 12، الجملة: 13.
 (7) على طريق الهجرة، البلادي، ص: 58.
 (8) سفر القضاة، الإصحاحات: 13 - 16 بالكامل.

13 - النبي سموأل وهو الذي نزلت فيه الآية القرآنية:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾⁽¹⁾.

من العجيب أن قصة السموأل التوراتية والمفصلة⁽²⁾ متطابقة تماماً مع قصة الغوث بن مر بن أد بن طابخة، بن إلياس بن مضر، وهو من بني صوفة! وكانوا يلون الإجازة بالناس من عرفة، ويجيزون بهم من منى، ولا ترمى الجمار حتى يرمي بنو صوفة. وكان الغوث هذا يلي البيت لأن أمه كانت من جرهم وكانت عاقراً فنذرت إن هي ولدت رجلاً أن تتصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، فكان ذلك، وكان يلي تلك الأمور وبنوه من بعده لمكانته من الكعبة⁽³⁾⁽⁴⁾. كما نرى فهناك تشويش بالرواية العربية! فالغوث بن أد هو في الحقيقة مرتبط بالأزد، وطابخة كما رأينا بفصل إبراهيم (ع) له ارتباط بإرمي نجد من سلالة أخي الخليل الذي بقي بوادي الدواسر فكيف صار من إلياس بن مضر التهامي؟

سفر السموأل اثنان 2+1 (السفر واحد إنما كانوا يقسمونه إن طال حتى لا تصبح مجلته الملفوفة طويلة وثقيلة) يغطي كفاح الملك الأول وهو شاول؛ واسمه بالقرآن طالوت، وقد سقط نهاية في معاركه مع الفلاسة، كما يغطي السفر صعود داود (ع) وحروبه ومآثره حتى تأسيس المملكة الهامة التي أصبحت مع سليمان (ع) مركزاً للإشعاع الحضاري بالجزيرة العربية في عالم الشرق الأوسط القديم.

(1) سورة البقرة، الآية: 246.
(2) سفر سموأل 1، الإصحاح 1 بالكامل.
(3) شفاه الغرام، ج2، ص: 31 - 32.
(4) السيرة لابن هشام، ص: 119، 128.

أورشليم داود الحجازية

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾^(١).

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٢).

ولد داود (ع) باللهيماء من وادي نعمان الأراك جنوب عرفة، وقرب هذه الديار مسحه النبي سموأل (من بني صوفة) ملكاً. واللهيماء اليوم منازل بني عمرو بن الحارث الهذليين. كان داود (ع) ابن رجل من هوزة اسمه عيسى^(٣)؛ ونشأ يرعى غنم والده بينما كان إخوته الثلاثة الكبار يقاتلون في جيش الملك شاول/سيال بن قيس (طالوت) لقبه بالقرآن لأنه كان طويلاً مثل السيال؛ وهو نبات شوكي ينبت بالصحراء ويمتاز بساقه الطويلة) فأرسله أبوه لتفقد إخوته في وقت مواجهة مع الفلاسة؛ فتطوع لقتال المحارب العملاق جالوت وصرعه بالمقلع ثم حز رأسه:

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

بعد أن أظهر شجاعته الفائقة حسنت حال داود عند (طالوت) حتى أنه رضي

(١) سورة الأنعام، الآية: 84.

(٢) سورة ص، الآية: 26.

(٣) سفر السموأل 1، الإصحاح 16، جملة: 1.

(٤) سورة البقرة، الآية: 251.

تزويجه ابنته (ميكال) وصار مقدماً بين رجال الحرب في بني اسرائيل. لكن الحسد دخل إلى قلب شاول الذي رأى فيه منافساً خطراً؛ لا سيما أنه بدأ يتمتع بمحبة بني اسرائيل، وما لبثت كراهيته أن انقلبت إلى حقد مميت فحاول اغتياله مرات عديدة إلا أنه نجا برعاية الله. وكانت لطالوت طوال سنين ملكه حروب مع الفلاسة (عبدة دجن/دعجان) الذين كانوا يقيمون بجبال تهامة بين الجائزة جنوباً وعرفة شمالاً، وكانوا يتكلمون بلهجة كنانة التي تكلم بها بنو اسرائيل. وكان بنو اسرائيل يأنفون منهم بشكل خاص لأنهم كانوا غلفاً، لا يختنون. وفي وقت من الأوقات، عندما كان طالوت يلاحقه للفتك به لجأ داود إلى عكاشة ملك جدم للاحتماء به؛ فضمه هذا الأخير إلى جيشه لكن باقي قادة الفلسطينيين لم يرضوا أن يشاركهم في القتال ضد طالوت فأقطعه عكاشة على الصعاليك بوادي دوقة جنوب مكة. وكانت مواجهات كثيرة بين الطرفين: بوادي فخ⁽¹⁾ أيام علي/عالي الكاهن الأكبر، ثم بالمغمس أيام سموأل النبي⁽²⁾، وبالشاقة كانت مواجهة داود لجالوت⁽³⁾ ثم بجبله (السعايدة) التي قضى فيها طالوت وثلاثة من أبنائه⁽⁴⁾، فقام أنصار داود من بني هوزة ونصبوه ملكاً عليهم. ثم كان اغتيال ابن طالوت المتبقي غدرأ على يد غلامين من غلمان داود دون علمه؛ فغضب داود لهذا الفعل وصالح أتباع بيت طالوت؛ فشكل هؤلاء وفداً من شيوخهم يمثل جميع الأسباط، وجاؤوا إلى داود يبائعونه للملك على كل اسرائيل.

لكن ولاء الأسباط العشرة لداود بقي مشوباً بالحذر خصوصاً وأن سبط بن يمان الذي منه بيت طالوت لم يتقبل انتقال الملك من سبطهم إلى هوزة. وكان داود أثناء فراره من طالوت وفي بداية حكمه يعتمد على جيش من المرتزقة التفوا حوله من العشائر المجاورة لبني اسرائيل، وعلى رأسهم الجبرة، وهم بطن من بني شعبة من كنانة وما زالوا يسكنون قرية غميقة وما حولها (اسمهم بالتوراة بنو عناق) شرق بلدة

(1) سفر سموأل 1، الإصحاح 4، الجملة: 1.

(2) سفر سموأل 1، الإصحاح 13، الجملة: 16.

(3) سفر سموأل 1، الإصحاح 17، الجملة: 1.

(4) سفر سموأل 1، الإصحاح 31، الجملة: 1.

الليث إلى الشمال على الضفة اليمنى لوادي الليث، ويذكروا بالجبارين الذين ورد ذكرهم بالقرآن في السياق نفسه في سورة المائدة 22، الآية: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾⁽¹⁾ وجاء بالتوراة أيضاً أنهم أكثر من هابه الكشافون الذين أرسلهم موسى لدراسة أرض تهامة قبل فتحها، ويبدو أن هذه الهيئة بقيت عالقة في نفوسهم طوال الأربعين سنة التي مكثوا فيها بتهامة وهي أرض التيه، مما اضطر موسى إلى عدم السير بهم شمالاً إلى مكة مع أن الطريق أقصر بكثير؛ فكان الصعود إلى السراة عبر أراضي بني منهب الدوسيين ثم خوض معارك مع سيحان ملك العمريين، ثم مع وج ملك العماليق بشرق الطائف، ثم بعد ذلك تولى أمر فتح الأرض المباركة يوشع بن نون (ع) كما أسلفنا.

كانت عاصمة داود الأولى بمنطقة (ح ب ر و ن) ربوع العين بأعالي وادي العرج من محافظة أضرم جنوب مكة اليوم وذلك حين كان داود ملكاً على سبط هودّة وحده، فلما نودي به ملكاً على «جميع إسرائيل» نقل مركز حكمه إلى مصدة أي قلعة (ص ي و ن) التي كانت بالمعلاة بمكة عند وادي طوى، وسمي الوادي بغور داود وصارت عري/عُرش السلام وهي من أسماء مكة (أورشليم) وموطن الباسيين (بجبل قبيس) عاصمة لداود، ولكنه كان رجل حرب فمكث مع رجاله بالمعلاة حتى وفاته وهناك دفن⁽²⁾. وباتت مقبرة الحجون منذ ذلك الوقت المقبرة الملكية لكل عواهل الدولة حتى غزوة نبوخذ نصر وإجلاء بعض أهل تهامة إلى بابل، وبقيت كمقبرة لأهل مكة بالجاهلية حتى صدر الإسلام، واستمرت كذلك حتى اليوم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾⁽³⁾ يعني القرآن مدرسة، وخذ من القرآن ما شئت لما شئت (حديث شريف)، هنا أريد أن أبين موقع (ص ي و ن) و (ي ر و ش ل م) لأهميتهما، إنما يجب أن نراجع بعض أسماء مكة التي أوردها الفاسي⁽⁴⁾ وهي 44؛ والتي زاد عليها النهرواني 12 اسماً إضافياً! فمما أورده الفاسي

(1) سورة المائدة، الآية: 22.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 2، الجملة: 10.

(3) سورة القمر، الآية: 54.

(4) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.

من أسماء تهمنا في هذا البحث: القادس، الباسة، السبوحة، السلام، الحرم، القرية، بكة، العروش، العرش، العُرش، العُروش، العريش. ومن أسماء النهرواني: الرأس، أم كوئى.

وفي مكة موقع الضنك المسمى على اسم وادي الصحراء التي يقع بجنوبها جبل سيناء. على أرض الواقع الصحراء اليوم هي صحراء ضنكان الممتدة من فرعة سنان (سيناء) جنوب إقليم قنا والبحر إلى وادي يبة بتهامة. قرب ضنكان وعلى مسافة 30 كيلاً جنوب خميس البحر يوجد جبلان أسودان الشرقي أو الأيمن منهما هو جبل سيناء البركاني (حيث نزلت الألواح على موسى)، وإلى الشرق منه آل فروان. وبأعلى مكة بين أظلم وأذاخر اليماني شمال المحجة عندما تدخل الأبطح يوجد شعب يقول عاتق البلادي مكتوب بعرق أبيض فيه رسم لكلمة ضنك بحروف متصلة، فلعلها إشارة إلى الموقع الذي كان داود (ع) قد بنى فيه قلعته خارج أسوار عرش السلام فهي ضن (ظيون) باللفظ اليهودي وصهيون بلفظنا. ولعل هذه القلعة الملوية الشكل دمرت بغزوة بختنصر. أما (ى رو ش ل م) فقد كان سكانها من الباسيين (سكان الباسة وهو أحد أسماء مكة) ولعل موقعها عند جبل قبيس وهو أقدم المستوطنات القريبة من وادي إبراهيم الوادي الرئيسي، وما دون الحرم يسمى المسفلة بينما أعلى الوادي يسمى المعلاة. و (ى رو ش ل م) مركب من اسمين: عرش والسلام، فلعله عُرُش السلام لأن الإسمين العُرش والسلام قد وردا ضمن الأسماء التي عددها الفاسي، وربما كان عرى السلام. وفي مكة أيضاً ريع الحجون (جيحون أو جي بن هنوم، والجى الريع) المذكور وقت إعلان سليمان ملكاً. وهناك وادي الرفاعيين أي العمالق الذين كانوا تحت قيادة السמידع بأسفل مكة بحسب التراث الجاهلي وهو اليوم وادي إبراهيم، وهناك عين سلمى بأعلى مكة (بركة سلوان) وجرول، وباب السمك (باب جدة اليوم) وكلها مذكورة بالنصوص، و (ى ف ت ح أ ل) وهي البطاح بأول طريق مكة لمنى وعرفات، و (ل و د) وهي الليط.

جاء في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۚ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ

اغْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ⁽¹⁾.

وفي هذا توقيت تاريخي لزمان داود بأنه كان بداية العصر الحديدي؛ والمتعارف عليه أنه كان حوالى بداية القرن العاشر ق. م، والظاهر أنه سكن ببلاد جبليّة، بينما لا تعتبر فلسطين بلاداً جبليّة، ووجدنا المستوطنين الجدد لفلسطين يسكنون السهول الساحلية والشمال الخصب؛ فيما وُصِفَ الشمال بالتوراة على أن أرضه كانت رديئة وغير مقبولة على لسان الملك خيران (أحيرام) بأيام سليمان (ع)!

وعن حروب داود⁽²⁾: (سفر سموأل الثاني) نتابع بعض التفاصيل التي وقعت بتهامة ومحيط أم القرى، والرقم الأول يرمز إلى الإصحاح أما الثاني فيرمز إلى الجملة:

5: 1 جميع أسباط إسرائيل جاؤوا لداود ب (ح ب ر و ن) يلفظونها خبرون، واسمها الأصلي ربوع على اسم مؤسسها من بني عنق الذين ربما انتقلوا لاحقاً لأضم أو الفرع أو غميقة، واليوم اسمها ربوع لوقوع سوق المنطقة فيها يوم الأربعاء.

5: 5 من ربوع العين ملك على هوذة (أراضي هذيل اليوم واقعة ضمنها) سبع سنين وستة أشهر.

وفي عرى/عرش السلام (مكة) ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع قبائل إسرائيل وهوذة.

5: 6 سار الملك ورجاله إلى عرش السلام.

5: 7 أخذ داود مصدة (تحصينات) طوى، وسمّى الوادي عرّ (جانب الوادي) داود أي قرية داود.

5: 8 إشارة إلى فتح عرش السلام وهي غور الباسيين (القيبيين).

هنا نتوقف قليلاً لهذا الحدث الذي يذكرنا بما حدث يوم فتح مكة ودخول المصطفى (ص) حيث صلى عند دخوله إلى حائط بالخرمانية وهي مشرفة على الحرم حيث أمانة العاصمة اليوم. قال ابن إسحق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، أن

(1) سورة سبأ، الآيتان: 10 و 11.

(2) حروب داود، كمال الصليبي، ص: 45.

النبي (ص) لما انتهى إلى ذي طوى عام الفتح (وطوى قال البكري: بفتح أوله مقصور منون على وزن فعل: واد بمكة) وقف على راحلته معتجراً (ملتحفاً) بشقة برد حبرة حمراء، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثونه (شعر لحيته) ليكاد يمس واسطة الرحل! وفي الجاهلية، قال الأزرقى، كانت اليهود تعظم البيت الحرام وتخلع نعلها عند دخول وادي طوى! وذكر أن أحبارهم نصحت الملك تبع يوم كان بتهامة بعدم التعرض للبيت الحرام؛ بل وبتعظيم الكعبة عندما اعتل؛ ففعل ولما شفي كساها! وعُرف عن داود (ع) أنه كان رجل حرب طول عمره، وأنه لم يسكن مطلقاً مع العامة بل دوماً بين الجنود، وحتى مسكنه ودار حكمه على الحقيقة لم تكن سوى قلعة في أعلى الوادي.

5: 2 تجمع الفلاسة مجدداً للصعود وانتشروا في وادي الرفاعيين (إبراهيم) واستخار الله فجاء الإلهام: لا تصعد؛ بل در من ورائهم، واتهم من جهة بكة! هنا كان انتصار داود وهو من هوذة (جرهم آل هو الجيل الرابع من هوذة) وبأعلى مكة يحاكي انتصار المضاض الملك الجرهمي على السמידع ملك العماليق الذين كانوا بأسفل مكة، ولعل القصة الثانية مجرد ترميز بالتراث إلى الأولى.

6: 2 قام داود وسير، ومعه جميع أتباعه من ملأ هوذة، تابوت العهد الذي يعطيهم السكينة، وكانوا يعتقدون أن الإله روح ساكنة داخله وهو في وسطهم! فكانوا يسرون به أينما توجهوا؛ بينما في الحقيقة لم يكن فيه سوى قطعتين من حطام الألواح التي خطت يد القدرة الإلهية عليها وصايا الشريعة؛ والتي حطمها موسى بسورة غضب عند رؤيته العجل، وبقي داخل قبة الزمان أو الاجتماع المضروبة حتى ابتنى سليمان الهيكل ووضعه في قدس أقداسه. وكان لا يزور التابوت إلا الكاهن الأكبر وفي يوم واحد في السنة هو يوم (الغفران) الذي يصومونه للتكفير عن عبادة العجل.

6: 12 فسار داود وأصعد التابوت من بيت عبد الدايم من قرية عروان التي كانت قريبة من موقع قرية المجاهدين اليوم والقريبة من مدخل مكة الشرقي.

6: 13 وكان كلما خطا حاملو تابوت «هو» ست خطوات يذبح ثوراً أو مسمناً.

6: 14 كان داود يتحرك أمام «هو» بكل نشاط، وكان يرتدي صداراً فقط.

هنا نرى النبي داود يتحرك حول تابوت العهد الموضوع على محامل عليها رموز تمثل ملائكة مجنحة، وهو الرمز لعرش الله العظيم الذي يحمله الكروبيون؛ كما الكعبة هي الرمز للبيت المعمور الذي تطوف حوله الملائكة في السماء السابعة (كما جاء في حديث المعراج لابن عباس). ولم يكن داود (ع) يضع عليه من الثياب كما يقول الإصحاح سوى سترة تغطي صدره وقد بقيت عادة الطواف في العراء دارجة في مكة حتى جاء الاسلام فأبطلها. وكان المقصود منها في الجاهلية التذلل لله أولاً ثم طرح الثياب التي أذنبوا فيها (ولا يعودون للبسها أبداً) وهذا كان مطبقاً على جميع الناس سوى أهل الحمس، وكان على من لم يجد من يعيره ثوباً الطواف بالبيت الحرام عارياً! ولعل هذه العادة تعود إلى الزمن البعيد؛ أيام وجود بني إسرائيل بتهامة. وإنه لمن الغريب أن هذيلاً كانت تتصرف بالنسبة إلى عادة خلع الثياب وكأنها من أهل الحل لا الحمس مع أنها من أهل الحرم مثل خزاعة؛ فهل كان ذلك تأسيساً منهم لما كان من أمر داود (ع) مؤسس عزهم التليد؟

جاء داود بالتابوت إلى كداء ثم إلى دار حكمه (القلعة في أعلى طوى) لكنه أبقاه في خيمة ثابتة ولم يُنقل التابوت بعد ذلك إلا مرة واحدة عندما انتهى نبي الله سليمان (ع) من تشييد هيكله الشهير في عرى السلام؛ التي باتت حاضرتة. وحلت البركة الإلهية على داود فنصره الله في جميع حروبه حتى خضعت له البلاد والعباد.

8: 11 ضرب داود الود عزز ملك ضبة وأخضعه، فجاءت رمة الدماشقة (نجران) لنجدة الأول فضربهم أيضاً وعرقب خيلهم، وأخذ من مدن الضبيين (2 سموأل 8: 8) نحاساً كثيراً، فجعمها لله مع الفضة والذهب الذي غنم من جميع الشعوب التي أخضعها:

12: 8 وغنم داود من إرم (نجد عسير ووادي الدواسر)، ومن مناهب دوس، ومن بني غنم (دوس) حيث جاؤوه بغطرة ملكهم المذهبة والمرصعة فلبسها داود (والعمائم تيجان العرب)، ومن الفلاسة أو الفلاسيين (أراضيهم من الجائزة بأعلى الليث حتى وادي عرفة جنوب مكة)، ومن العماليق (كانوا بأصدار تهامة من أثرب حوالة جنوب

العرضيات حتى الرفود بتهامة أبها). كما أخضع بلاد الإحجور وجعل له مندوباً بإدومة (بلفرن اليوم). فكان داود (ع) بذلك أول من جمع الحجاز بسراته وتهامته ونجده في كيان سياسي مستدام. وكان داود (ع) من أعظم الشخصيات المذكورة في العهد القديم فهنا نجد نبياً صاحب كتاب (الزبور في القرآن أو المزامير) وكان ملكاً قاضياً حكيماً وشاعراً موسيقياً وعازفاً ومنشداً ذهب صوته مضرب الأمثال، كما كان محارباً ومهتماً بصناعة السلاح ونراه مقاتلاً في سبيل الله عاش على جبهات القتال وبين جنوده حتى آخر رمق في حياته وكان عليه السلام عابداً ناسكاً رحوماً يخاف الله في السر والعلن.

فتنة داود

(استغرق سرد أحداثها من الإصحاح 10 - 19 من سفر سموال 2).

كان داود بعرش السلام وجيشه يقاتل بني غنم ببلاد زهران فلمحت عينه جارته الجميلة بنت السبع زوجة عروة القائد العسكري وهي تستحم؛ فافتن بها! وعمل على التخلص من زوجها بوضعه في مكان مكشوف وخرج أمام العدو تسبب في هلاكه مما مكنه من الزواج منها فيما بعد! لكن القصة تطورت بأن عاقبه الله بموت ابنه البكر منها، وكان سليمان الابن الثاني، ثم تالت الويلات التي انتابته بانقلاب ابنه أبي سلام عليه واضطراره للفرار إلى تربة حيث أعاد تجميع قواته وأخذ زمام المبادرة من جديد.

وهنا نتوقف لسرد عبرة؛ ذاك أنه في التقليد الاسلامي دعاء: ربي لا تكنني إلى نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك، أي إن التسليم لأمر الله يجب أن يكون تاماً، وقيل إن نبي الله داود كان يقول: ربي لا تكنني إلى نفسي إلا طرفة عين فأراد الله أن يعلمه وإيانا بأن الإنسان لا يتحمل أن يوكل أمره إلى نفسه ولو طرفة عين! ذلك أن رؤية الجارة الجميلة لم يدم سوى لحظة؛ لكنها كانت كافية ليقع داود في غرامها برغم العدد الكبير من الزوجات والجواري التي كانت ملك يمينه، ولهذه القصة إشارة بالقرآن:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِصِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ

قَالُوا لَا تَخَفْ^ط خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشِطْ
وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ • إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ • قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ^ط
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ • فَغَفَرْنَا لَهُ
ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ • يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١﴾.

وبعد، فهل في التراث العربي ما يشير إلى وجود داود (ع) بمكة؟ نعم، فقد
جاء في الإكليل⁽²⁾ نقلاً عن ابن لهيعة أن داود عليه السلام لما أصاب الخطيئة
أعمل الاختلاف (أي لجأ) إلى غيران (مغارة) للعبادة حتى وقع على جبل حراء
جبل العبادة (بمكة) فأوحى إليه أن يدخل إلى الغار بالقرب منه فهبط إليه داود
عليه السلام!

وفيما ذكر عن كرامات العاشر من محرم (رواية شفهية سمعتها ولم أقرأها) أن
توبة داود النصوح قبلت في ذلك اليوم - وبدأت نبوته - بعد أن طاف حول بيت الله
الحرام زحفاً وهو يكنس الأرض بلحيته راجياً رحمة ربه وعفوه! والأحاديث النبوية
ذكرت بأنه ما من نبي إلا وحج بيت الله الحرام في مكة.

وهناك أيضاً قصة ما أورده ابن إسحق بالسيرة عن نزاع الحارث بن مضاخ
الجرهمي (وجرهم كانت بشمال مكة) مع السמידع بن هوبر ملك قطوراء وهم من
العماليق (وكانوا بالقسم الجنوبي من مكة) فأخرجتهم جرهم منها. بالتوراة وادي
إبراهيم اسمه وادي الرفاعيين الذين منهم الزمزميون؛ وهم من العماليق، وهذا يُذكر
باسم بئر مكة الأشهر: زمزم. وقيل بأن اسم أجياد مكة عائد لأجياد السמידع، وربما
يكون عائد للصافنات الجياد التي استعرضها سليمان (ع) والتي كانت إحدى نسائه

(1) سورة ص، الآيات: 21 - 26.

(2) الإكليل، الهمداني، ج 8، ص 239.

من بني الغنم قد نذرت لها للزلة قُشش (وربما كماش/ذي الكفين)، والتوراة تقول بأن بني غنم (ببلاة زهران) هم من كان يطلق على الرفاحيين اسم الزمزميين⁽¹⁾.

وورد⁽²⁾ أن داود (ع) طلب إجراء إحصاء لبني إسرائيل فبلغت هودة وحدها 500 ألف نسمة وباقي القبائل 800 ألف، لكن النصوص تفيدنا بأن الله غضب عليه لاعتزازه بالعدد لا بالاتكال عليه فأصاب البلاد وباء شديد مات فيه سبعون ألف رجل، فاستغفر ربه، فقبل منه وكف البلاء عن العباد، وأقام داود (ع) مذبحاً لله في أرض يملكها شخص اسمه عرنة الباسي. وملك داود على إسرائيل أربعين سنة. في ربيع العرين بأضم ملك سبع سنين وبعرش السلام ملك ثلاثاً وثلاثين سنة. وفي نهاية أيامه أوصى بأن يركب ابنه الفتى سليمان على برذونه ويُنزل به إلى الحجون⁽³⁾ فيمسحه الكاهن صديق بدهن الطيوب ملكاً على هودة وإسرائيل! ومات داود ودفن بمقبرة الحجون بالمعلاة.

تحديد فلكي لإحداثيات صرى/عرش السلام

كنت أقرأ في الكتاب الرائع عن الساعات الشمسية للكاتب الفرنسي المعاصر دنيس سافوا⁽⁴⁾ عندما استرعى انتباهي ذكره لظاهرة شمسية تحدث فقط وقت الانقلاب الصيفي بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية أي يوم 21 أو 22 أو 23 يونيو (حزيران) في إطار الدائرة الاستوائية فقط؛ أي من خط عرض 23 درجة و26 دقيقة وما دون وكذلك جنوباً بالنسبة إلى خط الجدي وقت الانقلاب الشتوي في أيام 21 أو 22 أو 23 من ديسمبر (كانون الأول)؛ تلك الظاهرة الأعجوبة التي هي مجهولة من الغالبية العظمى من الناس وحتى في العصور السابقة التي استعملت فيها الساعات الشمسية لآلاف السنين تتمثل في ارتداد الظل إلى الورااء أي إن الظل بعد أن يمتد بعد الزوال ظهراً يعود في وقت ما عصراً مثلاً فينقبض راجعاً نحو خط الظهيرة بدلاً

(1) سفر التثنية، الإصحاح 2، الجمل: 20 - 21.

(2) سفر السموأل 2، الإصحاح 24، الجملة: 1.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 1، الجملة: 33.

(4) Sundials, design, construction, and use by Denis Savole, Springer 2009

من الاستمرار نحو وقت الغروب مساءً! سبب هذه الظاهرة هو دوران الشمس حول الأرض في مدارها الكوني الذي يكون بشكل حلزوني بحيث تتسامت على الأرض عند بلوغها درجة 23 و 24 دقيقة وهي درجة ميلان محور الأرض الثابت في دورانها على نفسها. وهذه الحركة من الشمس هي التي ينشأ عنها تنوع الفصول ولولاها لكان طقس كل الأيام واحداً على مدى السنة. الاطلاع على هذه الظاهرة أعاد إلى ذهني الآيتين 45 و 46 من سورة الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾⁽¹⁾.

كل أهل التفسير فهموها على أنها تصف حركة الظل عندما يكون بامتداده الأقصى في بداية النهار ثم يبدأ بالتناقص تدريجاً ليختفي عند الزوال بوقت الظهيرة، وبأن الله قادر على أن يجعل الأشياء بدون ظل إن شاء! طبعاً إن الله قادر على كل شيء وهو يفعل ما يشاء، إلا أنه ليس هذا المقصود لأن الله إن غير السنن الفلكية الطبيعية فلن يعيش مخلوق ليرى النتائج! فلا بد أن المقصود بالآيتين هو ظاهرة طبيعية تحدث منذ خلق الله الأرض وما عليها وتشهد على آية أخرى من آياته. تبدأ الآية بالتعجب وهنا ما يلفت النظر لأن الظل عادة من البديهيات عند كل الناس وليس مدعاة للتعجب في امتداده! كما أن كلمة السكون هنا ليس المقصود بها التوقف عن الحركة بل لزوم الظل في مكانه قبل بلوغ السميت عند الزوال، وذلك بسبب دوران الشمس حول الأرض وهو ما لم يعرف إلا بالعصور الحديثة! تقول الآية ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً إشارة إلى أن في هذه الظاهرة دليلاً على حركة الشمس؛ وهي حركة الشمس في فلكها الكوني الحلزوني. وحالما تبلغ الشمس ارتفاعاً توازي درجته خط العرض الواقع عليه المراقب يزول الظل ليعود فيرتد في الاتجاه الذي جاء منه مدة تتناسب مع بعد الموقع عن خط السرطان، وهذا تأويل بقية الآية ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾⁽²⁾ وهو ما أغفله المفسرون لعدم علمهم بهذه الظاهرة الفلكية.

هذه الظاهرة لا تحدث كما قلنا شمال خط السرطان وهو خط عرض 23 درجة

(1) سورة الفرقان، الآيتان: 45 و 46.

(2) سورة الفرقان، الآية: 46.

و40 دقيقة؛ وأقصى خط تحدث فيه هو خط عرض 23 درجة و26 دقيقة وهو إذا ما أخذنا منطقة الحجاز يوازي محطة السقيا قديماً (أم البرك حديثاً) على طريق الأنبياء بين مكة المكرمة والمدينة المنورة. فهذه الظاهرة ممكن رصدها ابتداء من محطة السقيا ونزولاً باتجاه الجنوب إلى مكة ثم إلى ما قبل الدرجة صفر عند خط الاستواء على مستوى كمبالا عاصمة أوغندا مثلاً. وأكرر: هذه الظاهرة لا يمكن رصدها أبداً في منطقة المدينة المنورة ولا في أي منطقة شمالاً لا ببلاد الرافدين ولا الشام حتى القطب الشمالي، بينما ممكن رصدها في الجزء الذي يلي خط الاستواء جنوباً حتى ما قبل خط الجدي عند درجة خط العرض ناقص 23 و26 دقيقة.

أول من ذكر هذه الظاهرة في العصر الحديث كان عالم الرياضيات والفلك الإنكليزي توماس كيث (1759 - 1824) الذي نشرت أطروحته عن حركة الأجرام في العام 1855 وأوضح فيها أن هذه الظاهرة تحدث مرتين: قبل الظهر وبعده في يوم الانقلاب الصيفي في شمال خط الاستواء وكذلك في يوم الانقلاب الشتوي في جنوب خط الاستواء إلى مدار الجدي عندما يكون وقت الانقلاب الشتوي في شمال الكرة الأرضية. وذكر كذلك أنه كلما ازداد الفرق بين خط عرض الموقع ودرجة انحدار الشمس؛ وهي في هذا اليوم تكون في حدها الأقصى عند 23 درجة و26 دقيقة كان الارتداد أطول. ففي مدينة مثل أبها بعسير عند خط العرض 18 و12 دقيقة و59 ثانية كان الارتداد يومي 21 و23 حزيران / يونيو من العام 2010 عشرين درجة كاملة بحسب تجربة الدكتور نور الدين المستقيم المنشورة على الشبكة العنكبوتية: فبعدما استمر الظل بعد الظهر في الامتداد بعد الزوال باتجاه عقارب الساعة الطبيعي حتى الساعة الثانية بعد الظهر عاد وانقبض بعكس اتجاه عقارب الساعة (الشمسية) بنسبة 20 درجة وهو ما يعادل في حسابات الساعات الشمسية ساعة وثلث الساعة لأن كل ساعة تقسم إلى خمس عشرة درجة؛ أي إن الدرجة تعادل 4 دقائق من التوقيت الحديث. ولو جرى قياس الارتداد في مكة المكرمة وهي عند خط العرض 21 و25 دقيقة فسيكون الارتداد حتماً أقصر (ربما نصف عدد الدرجات التي بأبها).

ومن قراءتي بالعهد القديم موضع فيه إشارة إلى هذه الظاهرة الفلكية الفريدة⁽¹⁾:
وقال حدقة (الملك) لسعيا (النبي): ما العلامة أن الرب يشفيني فأصعد في اليوم
الثالث إلى بيت الرب (9) فقال سعيا هذه لك علامة من قبل الرب على أن الرب
يفعل الأمر الذي تكلم به: هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات (10)
فقال حدقة إنه بديهي على الظل أن يمتد عشر درجات لا أن يرجع الظل إلى الوراء
عشر درجات (11). فدعا سعيا النبي الرب فأرجع الظل بالدرجات التي نزل بها
بدرجات الملك «أخاذا» عشر درجات إلى الوراء!

وتكراراً في سفر شعيا⁽²⁾ (اسعيا): وهذه لك العلامة من قبل الرب على أن
الرب يفعل هذا الأمر الذي تكلم به (8) ها أنذا أرجع ظل الدرجات الذي نزل
في درجات «أخاذا» بالشمس عشر درجات إلى الوراء. فرجعت الشمس عشر
درجات في الدرجات التي نزلتها. ونعلم بعدها أن ملك بابل «برادك بلادن» أرسل
وفداً لتهنئة الملك حدقة بالسلامة (وللاستخبار عن «المعجزة» الحاصلة). أما
من زعم بأن النبي شعيا (اسعيا) قد خدع الملك بما قاله وأنه من سحر كان قد
تعلمه في بابل فقد خاب ظنه لأنه افترى على نبي الله بما لم يحسب له حساباً،
فهذه الظاهرة لم تكن معروفة لا في بلاد الرافدين ولا في بلاد القبط ولا في بلاد
اليونان، فأدنى نقطة في العراق عند البصرة تقع عند خط عرض 30 درجة وثلاثين
دقيقة! إنه الوحي، العلم الرباني الذي علّم نبيه ما لم يكن يعلم. إنها ظاهرة طبيعية
من ضمن المنظومة الإلهية الموضوعية بميزان الإبداع والتي لا مجال لأن تتبدل
قيد أنملة حتى يرث الله الأرض وما عليها. إن الإعجاز هنا هو في مناسبة توقيت
هذا الحدث الطبيعي مع مرض الملك ووعد الله له بالشفاء لأنه أناب إليه خاشعاً
متضرعاً بقلب سليم وبكى بكاءً شديداً فقبل الله توبته وأوحى إلى نبيه شعيا
(أشعيا) بأنه سيشفيه.

هل من فوائد جانبية نجنيها من هذه المعلومة؟ بالطبع:

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 20، الجملة 8.

(2) سفر أشعيا، الإصحاح 38، الجملة 7.

1 - فأولاً هنا دليل آخر على الإعجاز بآيات القرآن، وبأنها وحي رباني لنينا

محمد (ص)

2 - وثانياً أماناً إثبات بحسابات فلكية على أن الحاضرة الملكية عري/عرش السلام (أورشليم) ما كانت بأراضي فلسطين اليوم بل بتهامة. وبحسابات يعرفها الفلكيون جيداً ممكن تحديد إحداثياتها بدقة متناهية، ولا مجال للخطأ في هذه الأمور. وتقديري بأن الحسابات ستكون متطابقة مع الإحداثيات الفلكية لأم القرى؛ حرسها الله وزادها شرفاً.

وأذكر في نهاية هذا الفصل بحديث النبي (ع) عن السريحة التي بقرب مكة والتي قطعت تحتها سرر سبعين نبياً. فأى أمة ولد فيها هذا العدد من الأنبياء غير بني إسرائيل؟ يجب العمل على إعادة جمع كل الأحاديث النبوية التي تخص بني إسرائيل كما فعل البعض بالنسبة إلى آي القرآن عنهم، فربما فيها معلومات إضافية لم تكن ذات بال في الماضي واليوم بتنا نعلم أهميتها.

هيكل سليمان التهامي وقدس الأقداس

جَعَلَ داود (ع) من عري/عرش السلام (مستوطنة جبل قبيس) عاصمته الرسمية إلا أنه أقام معظم وقته بحصن المعلاة القريب من وادي طوى الذي سمي بعريّ داود (والعريّ جانب الوادي)، ومات هناك ودفن بمقبرة الحجون⁽¹⁾. هناك ولد ابنه وخليفته سليمان وأقام إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الله وسور المدينة (الملوك الأول 1: 3) وقد جاء في القرآن الكريم ذكر لقصر سليمان (ع) أثناء زيارة ملكة سبأ له:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْنِهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾.

استلم سليمان من والده مملكة عظيمة امتدت من تمرّة بوادي الدواسر شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً ومن وادي نخلان شمال صبيا بتهامة جنوباً حتى وادي القرى شمالاً (امتدت الأراضي التي حكمها سليمان من دان إلى بئر السبع)⁽³⁾. وقرب الليث (لا إيلات) ابنتى قاعدة بحرية لتجارته التي امتدت عبر بحر العرب إلى شرق إفريقيا والهند. وهنا نرى أن الأسطول الذي أقامه سليمان (ع) كان بمساعدة خيران (حيرام) ملك صور؛ وصور هنا هي صور عُمان بالطرف الشرقي

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 2، الجملة: 10.

(2) سورة النمل، الآية: 44.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 4، الجملة: 25.

لشبه جزيرة العرب وبحارتها كانوا الأمهر ببحر العرب قاطبة، وقد قرأت كتاباً وضعه أميرال بريطاني في بدايات القرن العشرين ذكر فيه أن صينيين بهونغ كونغ أخبروه بأن مخطوطاتهم القديمة تذكر بأنهم تعلموا بناء السفن الكبيرة العابرة للمحيط (Junk) من أهل صور العُمانيين! وكان العُمانيون يشدون ألواح سفنهم بالحبال (الدرس) المصنوعة من أشجار النارجيل/جوز الهند التي لا تؤثر فيها ملوحة المياه! جاء في القرآن الكريم:

﴿وَلِسْلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾⁽¹⁾ المتصور هنا أن الله مكّن لسليمان (ع) أن تتعلم بحارته أسرار الرياح الموسمية التي كانت تأخذ سفنه إلى الهند وسواحل إفريقيا الشرقية مع توقف في موانئ عُمان (ريسوت وترشيش؟) وأوفير (العفار بجيوتي اليوم) التي ذكرت بمرويات العهد القديم⁽²⁾. وصنع سليمان (ع) سفناً بعضان الجوارب (التي بجانب الليث) على شاطئ بحر صوفة (الأحمر) بتهامة، فأرسل خيران (حيرام) عبده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا إلى أوفير (عفار جيوتي) وأخذوا من هناك ذهباً (لعل مصدره القارة الإفريقية) وزنه أربع مئة وعشرون وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان. (هنا نسجل لمؤلف كتاب «كنوز الملك سليمان» سبق في تخمين صحيح لجغرافية تلك المناجم في شرق إفريقيا وربما في الداخل عند زيمبابوي) لأنه ما من مناجم ذهب لا في عُمان ولا في الهند. نعلم أيضاً أنهم كانوا يأتون بطيور مثل الطواويس وهذه موجودة بسيلان والهند بينما العاج والقردة والأفاوية قد تكون من شرق إفريقيا أو الهند.

وهنا أود أن أبين استحالة أن تكون عصيون جابر في منطقة إيلات جنوب فلسطين، إذ كيف سيأتون إليها بالخشب من لبنان لبناء أسطول! هل كانوا سيحملون هذه الأخشاب على ظهور الحمير والبغال عبر صحراء النقب! ولماذا يبني أسطولاً في البحر الأحمر وأمامه البحر الأبيض المتوسط للتجارة على طول الساحل! ثم

(1) مكتبة أرامكو السعودية التقنية.

(2) سورة سبأ، الآية: 12.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 9، الجملة: 26.

لم يبلغ إلى مدار كنا أن الفينيقيين أبحروا في البحر الأحمر قبل رحلة حنون ورفاقه؛ والتي اعتبرت مغامرة فريدة في ذلك الوقت فقد دار حول إفريقيا وعاد عن طريق جبل طارق بعد ثلاث سنوات وذلك في القرن السادس قبل المسيح أي بعد زمن سليمان بأربعة قرون. وبالمناسبة فإن التاريخ سجل أن الإبحار في شمال البحر الأحمر لم يصبح ممكناً إلا بعد احتلال الرومان لبلاد القبط أي بعد زمن سليمان بألف عام تقريباً باستخدام السفن الكبيرة نسبياً التي تستطيع الإبحار في وسط البحر بواسطة عشرات المجذفين دون الحاجة للتوقف مراراً وتكراراً لتعبئة الزاد وخصوصاً المياه العذبة؛ وهذا الأمر لم يكن متيسراً بالبحر الأحمر لخلوه من موانئ متعددة وآمنة لدخول المراكب بسبب الشعب المرجانية الخطرة على السفن الخشبية.

والأمر نفسه ينطبق على قصة سليمان مع ملكة سبأ. فعندما تكون القصة أن مملكتها في مأرب على مسيرة محجة تكون المسألة عادية لتذهب إلى مكة وتهنته ببناء العاصمة الجديدة وافتتاح الهيكل والصرح (قصره الجديد). أما أن تذهب من مأرب إلى شرق المتوسط وهي على مسيرة ثلاثة أشهر للقوافل العادية فأمر صعب لموكب ملكي على رأسه امرأة مرفهة يجب أن ترتاح غير مرة في اليوم. وعندما يكون على هذا المقدار من القرب الجغرافي يصبح تهديده ودعوته لها وقومها لتوحيد الله وترك عبادة الشمس أمراً جدياً؛ ولا سيما أن ملكه كان واصلًا إلى نجران القريبة نسبياً من الجوف ومأرب. أما تهديده لها لو كان في القدس بفلسطين فما كان سيكون له الوقع نفسه لبعد المسافة. وقد جربت روما بجيوشها الجرارة وإمكانات إمبراطوريتها العظيمة غزو الجنوب العربي بعد ألف عام فلم تقدر على تحقيق أية نتيجة وبالكاد وصلوا إلى نجران ثم انسحبوا، وكانت غزوتهم الفاشلة بدءاً من بلاد القبط إلى الوجه على الساحل ومن ثم عودتهم عن طريق البحر.

الهيكل

كثير الحديث في عصرنا عن الهيكل الذي شيده النبي سليمان (ع)، وبحثوا تحت تلة المسجد الأقصى بالقدس من أقصاها إلى أقصاها وعلى أعماق متعددة فما وجدوا شيئاً يعود إلى ألف سنة قبل الميلاد! فوق ما يسمى بحائط المبكى كان يقوم الهيكل

الثاني، ونعلم ذلك بالتواتر خصوصاً أنه شيد وهدم بالحقبة الرومانية بعصر التدوين الذي بدأ مع أبي التاريخ هيرودوتس بالقرن الخامس قبل الميلاد واستمر بالنسبة إلى العالم الغربي منذ ذلك الوقت. الجدير ذكره أن هذا المؤرخ الإغريقي الذي عرف بكتاباته التفصيلية التاريخية والجغرافية لعصره جاء بداية لكتابة تاريخ الفينيقيين الذين نافسوا قومه في التجارة البحرية على طول البحر الأبيض المتوسط، لكنه زار أيضاً بابل التي كانت أهم حاضرة في العالم بعصره ودون تاريخها، ثم ذهب إلى مصر وفعل الأمر نفسه. في كل المدة التي عاشها بمنطقتنا لم يسمع بشيء اسمه هيكل سليمان ولا بأورشليم ولا بداود ولا موسى ولا إبراهيم ولا التوراة ولا بني إسرائيل أو اليهود، ولا صادف أحداً منهم، بينما المفروض أن كان يجد هذا الكتاب كاملاً؛ سيما وأنه كان قد تم الفراغ من تدوينه قبل قرن من عصر هيرودوتس. هنا نستنتج بأن الهيكل الفلسطيني البدائي تم تشييده بالفترة التي تلت عصر هيرودوتس وقبل عصر الإسكندر المقدوني في نهاية القرن الرابع ق. م؛ الذي زعموا بأنه تلقى دعوة أحبارهم لزيارته. ثم إن الملك العدناني حريد قام ببناء هيكل عظيم بقي حتى السنة 70 ميلادية عندما دمره الرومان بسبب ثورة اليهود على حكم روما.

تفاصيل بناء الهيكل السليماني مدونة بكثير من التفصيل⁽¹⁾. وقد راسل سليمان ملكاً مجاوراً يطلب منه المساعدة على البناء. و (ح ي رم) هنا كان ملك السعديين (لا الصيدونيين) بسراة الطائف الذي قام رجاله بقطع أخشاب سدر (أرز) وبروشم (عرعر) كما أوضح تفسيرها الدكتور قشاش بكتاب «أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة» ولبنان هنا هما جبلا لبن الأعلى والأسفل بهذا الطائف، ونقل الأخشاب تم يماً بمعنى غرباً لا بحراً. وصحيح أن الهيكل دمر تماماً على يد نبوخذ نصر في القرن السادس ق. م إلا أن أسسه بحجارتها الضخمة التي نحتت بالجبال المجاورة ثم نقلت إلى الموقع وصفت بعناية استغرقت 4 سنوات⁽²⁾ بقيت سليمة، لذلك فهي بيت القصيدة؛ والكل مشغول بالبحث عنها من مئات السنين لإثبات تاريخية النصوص. فإذا لم تكن بيت المقدس الفلسطيني فآين تكون؟

(1) سفر الملوك 1، الإصحاحات: 5 - 9 بالكامل.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 6، الجملة 37.

نقل سليمان مركز حكمه من المعلاة لجبل قبيس حيث شيد صرحه المسمى أرز لبنان، وعلى مقربة من أجياد كانت الجياد المنذورة للشمس التي كانت تحت رعاية زوجه من بنات الغنم التي كانت ما زالت على دين قومها؛ وهذا سر ذبحه لها بعد أن فتته وشغلته عن الصلاة وذكر الله، أما الهيكل فكان بالأسفل من صرحه القبيسي! ولو تتبعنا مواصفات الهيكل كما وردت بالإصحاح 7 لوجدنا بأن الهيكل عبارة عن بناء بمقاييس متواضعة بحكم اليوم: طوله 30 متراً وعرضه 10 أمتار فقط! خارج المدخل الرئيسي إلى اليمين منحراً لتقديم الأضاحي وإلى اليسار حوض كبير لمياه الوضوء للداخلين للصلاة. أما أهم ما في الهيكل فكان غرفة بنهايته يصعد إليها بدرجات من أخشاب الصندل أتى بها عن طريق العفار (جيبوتي)؛ فكانت هذه المقصورة المغلقة قدس الأقداس الذي وُضع بداخله تابوت العهد الذي بداخلها قطعتان من رضارض الألواح الأولى التي خطتها يد القدرة الإلهية وحطمها موسى بسورة الغضب التي اجتاحتها عندما رأى قومه يسجدون للعجل الذهبي أسفل الجبل. اللافت هو مقاييس هذه الغرفة المرتفعة التي كانت مربعة وطول كل ضلع من أضلاعها 20 ذراعاً (والذراع القديم يعادل 45 سنتيمتراً اليوم) وهو ما يوازي 9 أمتار حالياً! فما هو البناء المربع والمرتفع الباب الذي يقع أسفل من وعلى مقربة من جبل أبي قبيس وله قدسية كبيرة ليسمى قدس الأقداس؟

لو راجعنا قياس أبعاد الكعبة المشرفة من الداخل بحسب مركز أبحاث الحج لجامعة أم القرى (1408هـ) وهو الأحدث لوجدناه يبلغ 81،4 متراً مربعاً! وإلى الشرق من الكعبة هناك ما بات يعرف بمقام إبراهيم وهو حجر على شكل جرن صغير منحوت داخله بعمق 15 سنتم وله ارتفاع للواضع رجله داخله (بغير ارتياح) لا يتعدى سنتيمترات قليلة عن الأرض! فكيف يكون لوقوف من يريد أن يعلو بالبنيان 10 أمتار! كذلك إلى غرب المقام موقع ماء زمزم وهو مناسب تماماً للحوض الكبير الموصوف والمخصص لماء الوضوء. ناهيك أن اسم الكعبة مشتق من الكعب أي العلو وليس من التكعيب بمعنى تساوي الأضلاع؛ فالبناء ارتفاعه أكثر من أبعاده المربعة بمتراً تقريباً، ولا يوجد تفسير مقنع لعلو بابها عن مستوى صحن الحرم كأن يكون لحمايتها من السيل، أو السرقة وهي فارغة على كل حال، أو لمنع الأعداء من

دخولها؛ إلا لأنها بنيت طبقاً لمواصفات قدس الأقداس الذي بناه سليمان (ع) وكان له درج للولوج إليه من الهيكل من قبل الكاهن الأكبر يوم عيد الغفران. وفي العهد القديم لا نجد النصوص التي تحدد الموقع الذي كانت فيه الكعبة قبل أيام سليمان (ع) لكن الذكر الحكيم أشار إليها:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾⁽¹⁾.

فالكعبة هي البناء المرتفع داخل الهيكل أي الحرم المكي الذي بناه سليمان (ع) والبيت الحرام هو البيت المتواضع الذي رفعه إبراهيم (ع) فيما مضى ولم يكن له باب مرتفع، فتأويل هذه الآية أن الكعبة السليمانية شيدت بمكان البيت العتيق! هل هناك براهين أركيولوجية على هذه الفرضية؟ نعم. فقد ذكر الأزرقى⁽²⁾ بالتواتر عن جده الذي عاصر عبد الله بن الزبير (ر) وشهد بناءه للكعبة أنه عند الكشف عن أسسها وجدت حجارة ضخمة يعادل حجم كل منها سنامي جمل ومرصوفة بعناية كبيرة! وقد تم التثبت من هذا الأمر في عهد الملك سعود (غفر الله له) عند الحفر على جانب البيت لمد أقنية لتصريف مياه المطر، وقد تم توثيق ما قاله الأزرقى بالصور المنشورة⁽³⁾. ولو تم اليوم الكشف بالسونار (Ground Penetrating Radar) لتبين بأن هذه الأسس تمتد باتجاه مقام إبراهيم ودون موقع زمزم، وهو الحيز المسمى بالحطيم لأن حطام الهيكل من الحجارة بعدما هدمه الخلدان (الكلدانيون) كان مجموعاً فيه، وربما لم يتبق لنا منه اليوم سوى حجر واحد هو المسمى بمقام إبراهيم، وقد ورد بالتراث وجود كتابة مسندية عليه قرأها يهودي يمني وقال بأنها كتابة ذات طابع ديني! وبمواجهة باب الكعبة كان موقع باب الهيكل وبقي في الجاهلية والإسلام وحتى بداية العهد السعودي محدداً بما كان يعرف بالباب الأعظم أو باب بني شيبه، وصوره ما زالت موجودة على الشبكة العنكبوتية. وبعد الفراغ من بناء الهيكل أنزل سليمان (ع) تابوت العهد من مسكن والده بالمعلاة ووضع داخل قدس الأقداس.

ملك سليمان أربعين سنة عرفت فيها مكة فترة غير مسبقة من الازدهار، وصارت

(1) سورة المائدة، الآية: 97.

(2) تاريخ مكة، الأزرقى.

(3) الآثار الإسلامية، في مكة المكرمة، د. ناصر الحارثي، اللوحة: 51.

فيها مركزاً حضارياً لكل الجزيرة العربية؛ حتى أن ملكة سبأ سليلة الحضارات اليمنية القديمة والمتعالية أتت لترى وتتحقق مما سمعته؛ فأخبرته بأن ما شاهدته فاق ما كانت قد سمعته؛ وكثير من مظاهر الحضارة العربية التقليدية في الجزيرة اليوم يعود إلى تلك الفترة الزاهرة أكان لجهة المأكل والملبس والنقوش الخشبية والمجوهرات الفضية التي تكثر فيها الزينات المسدسة والتي ترمز إلى خاتم سليمان (المعروف عند اليهود بنجمة داود) والموسيقى والغناء والرقص (السامري)، واستعمال دهن الطيوب وإصعاد بخور اللبان والعود. كانت آنيته من الذهب، وخشب المزاهر من خشب العود الخالص؛ ومن هنا ربما جرت المواءمة بين الاسمين؛ ويقال بأن الفضة كانت على عهد مثل حصي الطرقات لكثرة مواردها؛ غير الذهب والحلل والسلاح والطيوب والخيول والبغال سنة فسنة⁽¹⁾. وبلغت شهرة سليمان الآفاق وتكلم بـ3000 مثل وكتب 1500 نشيد وتكلم عن الأشجار والطيور والدواب والسمك. وكانت الناس من جميع الشعوب التي سمعت به تأتي لتسمع حكمته. وبعد حكم زاهر استمر 40 عاماً مات ودفن بمقبرة المعلاة التي باتت المدفن المعتمد لملوك بني إسرائيل. وبعض الأعمال الخارقة التي تحتاج إلى جهد ومال عظيم تعود إلى حقبة؛ منها درب الفيل الذي طوّر كطريق سريع يشد أطراف مملكته، ومشاريع أقيية المياه لمكة التي ربما قامت على مساراتها أقيية زبيدة في العصر العباسي.

طرفة عن سليمان

جاء في حديث للمصطفى (ص) أنه ما من نبي إلا رعى الغنم، وكنت أتساءل: كان سليمان (ع) ملكاً ابن ملك فما حاجته لرعي الغنم! إلى أن قرأت⁽²⁾ بأن سليمان أحب راعية ورغب في أن تبادله الشعور بعيداً عن أبهة الملك، فتنكر في زي راع يرعى بالجوار كي يتقرب منها؛ فاللهم صل على محمد.

مصير الكعبة في الزمن الغابر

بقيت الكعبة قبله المسلمين من ذرية إبراهيم (ع) عصوراً طويلة حتى هدمها

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 10، الجملة 25.

(2) نشيد الأنابيد، محمود شريح.

نبوخذ نصر، ثم أعاد بناءها عائد من بابل اسمه ذر بابل الذي جاء بالإذن من الملك الفارسي كورش، ثم لم نعد نسمع عنها شيئاً. هنا يبدأ القرآن يفرّق؛ فمن عصر العزيز ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾⁽¹⁾ لم تعد الإشارة لبني إسرائيل الذين بادوا ككيان سياسي وصار الكلام فقط عن يهودا! وبات بنو إسرائيل ذكرى مثل عاد وثمود. جاء الفتح اليوناني للمشرق فانهارت سلطة بلاد الرافدين على جزيرة العرب، ورفعت الحماية الأمبراطورية عن اليهود وباقي الأقليات، ولم يمهل القدر الإسكندر لمد ظل أمبراطوريته على جزيرة العرب فعرف أهلها الحرية من جديد بعد أن كانوا خسروها منذ الغزو الخلداني. نشطت التجارة وفتحت الأراضي الواسعة بين آسيا وأوروبا وإفريقيا فبدأت جماعات اليهود القابضة على دينها بالهجرة إلى خارج الجزيرة، لأنهم حملوا وزر الاحتلال الأجنبي الماضي بتحديثهم دولتي أثور وبابل الجديدة. وكانت هجرة الحجازيين منهم إلى بلاد الشام وهجرة أهل نجد وحائل إلى العراق. وكان استيطان لفلسطين من قبل هاشميين مكين أصحاب الإسم الإلهي (وليس حشمونيين مكابين) فأقاموا هيكلًا ثانياً وفق مواصفات الهيكل الأول وبقدس أقداسه! وكان مفهوم المؤمنين أن يتوجهوا بأفئدتهم عند الصلاة إلى قدس الأقداس الذي ربما كان بداية متوجهاً نحو البيت الحرام بمكة حيث قبله إبراهيم (ع)؛ وهذا ما يسمى عندهم بالقبالة (استقبال القبلة)، التي كانت مكانية ثم صارت قلبية؛ إذ قام بطليموس ملك الإسكندرية بترجمة النصوص العبرية لليونانية وعنها تمت كل الترجمات فيما بعد؛ وأتى تفسير يسقط كل جغرافيتها على أرض فلسطين! عند ظهور الإسلام كانت قبلة المسلمين بمكة تجاه بيت المقدس ليمتحن الله قلوب المؤمنين، وبقيت كذلك إلى ما بعد الهجرة إلى يثرب بسنة ونصف عندما نزلت الآيات المباركة التي أعادت القبلة إلى سابق عهدها من أيام إبراهيم (ع): صوب المسجد الحرام المكي. ولعمري فإن إعادة تصويب القبلة لهو من أهم إنجازات البعثة المحمدية:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾⁽²⁾.

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

(2) سورة البقرة، الآية: 144.

هيكل سليمان التهامي وقدس الأقداس

علامة: كانت قبله بني إسرائيل مكية (لبيت الله الحرام) حتى غزوة نبوخذ نصر للحجاز، ثم كانت مرحلة ثانية هي المرحلة اليهودية؛ فصارت القبلة لبیت القدس بفلسطين، ثم عادت مع البعثة المحمدية لبیت الله الحرام كما كانت أيام إبراهيم (ع) وفترة بني إسرائيل بغرب الجزيرة العربية.

تابوت العهد والسكينة

ما هو تابوت العهد وهل تطرق القرآن إليه؟ جاء بالذكر الحكيم: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ!﴾⁽¹⁾ فماذا جاء عنه؟

الحجر الأسود

ما هي حقيقة الحجر الأسود أو الأسعد ومتى وضع في جدار الكعبة المعظمة وما هي أهميته؟ تتضارب النظريات والروايات حول منشأ الحجر، وقد قيل بأنه حجر من الجنة وأنه أتى على شكل نيزك بأيام آدم ليرشده أين يبني البيت؛ بالاستناد إلى أحاديث نبوية مفردة الإسناد حول الموضوع يُشكّ في صحتها. وحقيقة فإن النيازك تحترق عادة عند دخولها المجال الأرضي ولا يتبقى منها سوى المعادن الصلبة التي تتحمل الحرارة والتي عادة ما تكون ثقيلة وغامقة الألوان؛ وهو ما يناقض طبيعة الحجر الأبيض اللون القابل للانكسار والخفيف إلى درجة تجعله يطفو على سطح الماء؛ وهو ما نقله ياقوت الحموي عن الشيخ محمد الخزاعي الذي استلم الحجر الأسود من القرامطة فوصف بأن طوله ثلاثة أشبار، أبيض اللون ما عدا القسم الخارجي الذي هو أسود. ولما قال له أحد القرامطة: وما يدريك بأننا لم نحفظ بالأصل وما أعطيناه لكم هو شبيه له أجابه: خسئت فإننا نعرفه يطفو بالماء وهذا هو كذلك! كان الموقف حرجاً ولولا هذه المعلومة لما حسمت هذه المسألة وقتذاك! وما نراه من الحجر اليوم قطعة مقطعية من لوح غاطس في جدار الكعبة مقداره ذراع، وهو إذاً خفيف

(1) سورة الأنعام، الآية: 38.

الوزن، يطفو على الماء لخفته وسريع الانكسار، ولونه بين الأبيض والأسود! ما هي الرواية الثانية عن طبيعته؟ وصف علي بك العباسي الحجر الأسود بأنه كتلة من البازلت البركاني، كذلك قال الرحالة السويسري بوركهارت بأنه عبارة عن حمم بركانية تحوي حبيبات عديدة صغيرة الحجم خارجية من مادة ذات لون أبيض وأصفر! أما أكثر من احتكر التعامل معه براحة فكان جون كين البريطاني⁽¹⁾ الذي عمل بمكر ودهاء! إذ كان من المقيمين بالهند فترة طويلة فتظاهر بأنه من المسلمين والتحق بخدمة مهرابا آت لفريضة الحج في العام 1877م. وبينما كان الناس بمزدلفة كان هو في الصحن يدرس الحجر. ولم يكن في الجوار سوى اثنين من المعتمرين المغاربة فكان له ما أراد من تفحص الحجر وملامسته على الوجه المطلوب، وكان قد راجع بالمتحف البريطاني سابقاً طبيعة كل الأحجار المعروفة بالعالم فتأكد له ومن ملازمته 4 أشهر أنه من أحجار الأوبسيديوم (OBSIDIAN) وبالعبية حجر السبع! فالوصف من هذا الأجنبي يحل اللغز تماماً؛ فأحجار السبع من الحمم البركانية زجاجية التكوين، وتتواجد بالألوان السوداء والرمادية والبيضاء، فإن صادفت مطراً أثناء الفوران البركاني تبرد بسرعة فائقة تحبس معها فقاعات من الهواء مما يجعلها خفيفة إلى درجة تطفو بالماء. كما أن الطبيعة الزجاجية لللابة هي التي تجعل منها قابلة للكسر! وقد وردت حوادث الكسر عند إخراج جرهم للحجر من مكة (وسنعود لذلك فيما بعد) وأيام ثورة ابن الزبير، وفي أيام القرامطة، وفي أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي.

عند مراجعة المعلومات المتوافرة عن حجر السبع تبين أنه استعمل في كثير من الحضارات من قبل المعالجين النفسيين لمداواة المرضى المتعبين لأنهم كانوا يعتقدون بأنه قادر على سحب الذبذبات السلبية الموجودة بهالة الطاقة المحيطة بالأجسام البشرية! هذا يذكر كيف أن الأيدي والأرجل والجلود تشهد على أفعالنا السلبية يوم القيامة، وأن من حج ولم يفسق أو يرفث رجع كيوم ولدته أمه!

(1) ستة أشهر في الحجاز، جون كين.

قَالَ عُمَرُ (ر) لِلْحَجَرِ بَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَأَنَّهُ يَقْبَلُهُ فَقَطْ لِأَنَّهُ رَأَى نَبِيَّ اللَّهِ (ص) يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَصَادَفَ وَجُودَ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ك) فَأَلْقَى مُحَاضِرَةً طَوِيلَةً حَوْلَ مَزَايَا الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ جَعَلَتْ عُمَرَا يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ لِبَابِ مَدِينَةِ الْعِلْمِ: لَا جَعَلَنِي اللَّهُ أَقْطَنَ فِي بَلَدٍ نُسْتُ فِيهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ!

وقد أورد الطبراني نقلاً عن ابن عباس: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه! فما دخل الحجر بيمين الله؟

تابوت العهد

ذكرنا بفصل داود (ع) أن أورشليم كانت مستوطنة عرش السلام بجبل قيس بمكة، وبفصل سليمان (ع) أن أهم قسم بالهيكل الحرم كان الكعبة المشرفة التي هي قدس الأقداس؛ وأن أهم ما كان فيها هو تابوت العهد الموضوع داخلها منذ أنشأ سليمان (ع) الهيكل. هذا التابوت الذي يحتوي قطعتين من رضارض ألواح موسى، ضاع في خضم حملة نبوخذ نصر الخلداني على الجزيرة عموماً وتهامة ومكة خصوصاً! وهناك قول بأن نبي الله إرميا وقوماً من سبط الدانيين (أعجاز هوازن) فروا به إلى الحبشة، وربما هم أول من أسس دولة اكسوم الموسوية الدين في المنطقة نفسها التي استعبد فيها بنو إسرائيل بمصر سابقاً (كانت تابعة لمملكة مطرة المجاورة في أيام النبي يوسف) وكانت لغتها الجعزية اللغة الرسمية للدولة. وهنا تأويل ثانٍ للآية التي أعجزت مفسري القرآن ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽¹⁾ إذ لم يثبت قط أن بني إسرائيل ملكوا بلاد القبط قديماً. وما زالت الجعزية إلى اليوم لغة الكنيسة بإثيوبيا؛ وهي من لغة كنانة القديمة التي جاءت نبوءات على لسان رسل لبني إسرائيل عن استعمالها بالمستقبل في مصر/الحبشة كلغة مخاطبة، وكتابتها بأبجدية المساند التي كانت سائدة بغرب الجزيرة قبل غزوة نبوخذ نصر وإجلاته السكان، والنقش الذي قيل إنه وجد على مقام إبراهيم شاهد على ذلك! ومن بقايا عادات الإثيوبيين لليوم الاحتفاظ بتابوت خشبي داخل كل كنيسة يكون مسؤولاً عنه كاهن مخصوص يأتي به يوم الصلاة الأسبوعي

(1) سورة الشعراء، الآية: 59.

ويحظر على العامة الاقتراب منه لمسافة أمتار عدة، ويطاق به بين المصلين بحمله على رأس الكاهن المسؤول فقط في الأعياد والمناسبات الكبرى.

بعد الجلاء إلى بابل والعودة إلى السلام وإعادة إعمار الهيكل (اقتصصر على الكعبة دون باقي الهيكل) يذكر التاريخ اليهودي أن الناس بفقدانها التابوت من الهيكل «لم تعد تجد السكينة»! وهو التعبير نفسه الذي ذكره القرآن عن التابوت: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾⁽¹⁾. اللافت هنا هو ربط السكينة بالرب! فما دخل التابوت بالرب؟ ونتساءل هل أتى التاريخ العربي على ذكر لهذا التابوت؟ جاء في الإكليل⁽²⁾ نقلاً عن وهب بن منبه: لما أخذت جرهم التابوت هم وعدنان ومن معهم من العرب العماليق وطسم وجديس تهاونوا به ودفنوه في مزيلة؛ فنهاهم عن ذلك الحارث بن مضاض الجرهمي والنبي اسماعيل بن الهميسع ابن نابت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (ع)؛ وأن الأخير أخرج التابوت من المزيلة وحفظه عنده، وجعل أبنائه يتوارثونه حتى زمن عيسى ابن مريم (ع)؛ فإنه أخذه من كعب بن لؤي بن غالب. وهذا يتماهى مع ما ورد في التاريخ العربي الجاهلي أن جرهم قامت عند إخراجها من مكة بخلع الحجر الأسود من موقعه ودفنته في زمزم، وفي رواية أخرى بجبل قبيس ولذلك سمي الجبل بالأمين. وورد في الأثر أن امرأة من خزاعة أبصرت موقع دفن الحجر الأسود فأخبرت قومها فعملوا على استخراجها من مدفنه وأعيد إلى موقعه الأصلي! وكما قلنا سابقاً فإن فترة جرهم ترمز إلى فترة ملك بني إسرائيل بتهامة، وأن إخراج جرهم هو إخراج هوزة من مكة على يد جند بختنصر، وكذلك قصة التابوت هي قصة الحجر الأسود نفسه، وأن الأخير ما هو إلا واحد من رضارض الألواح التي خطت يد القدرة الإلهية لموسى عليها: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾⁽³⁾ وإلا فكيف نفسر الوجود بمكة لهذا الأثر الذي في طبيعته من اللابات السبجية؛ إلا أن يكون أتى من رضارض الألواح المختارة ريانياً من جبل

(1) سورة البقرة، الآية: 248.

(2) الإكليل، الهمداني، ج 8، ص: 238.

(3) سورة الأعراف، الآية: 145.

فرعة سنان البركاني قرب ضنكان شرق البرك أثناء وجود موسى (ع) بأعلى الجبل وبني إسرائيل في أسفله، والتي حطمها موسى بسورة غضب عند رؤيته قومه يعبدون العجل الذهبي الذي صاغه السامري لهم!

وحكاية الإكليل عن وصول التابوت لعيسى ابن مريم (ع) تذكر هنا يبحث الدكتور صليبي⁽¹⁾ الذي رأى فيه أن عيسى بن مريم كان من فترة بني إسرائيل (التي انتهت بغزوة بختنصر) بينما يسوع هو من الفترة اليهودية بفلسطين.

هذا الأمر يفسر كل شيء، يفسر أصل الحجر الأسود ويفسر أهميته ولماذا ارتبط التابوت بالرب ولماذا دعي الحجر الأسود يمين الله في أرضه! فإذا كان القرآن قد نسب فعل الكتابة إلى الله فلا شك أن هذا الحجر عليه أثر رباني خفي له تأثير عجيب بإحداث سكينة في داخل من يقترب منه. وحتى استلامه من بعيد برفع اليد تجاهه والتكبير له التأثير نفسه لأن طبيعة الحجر قد تسحب الكدر من جسم الحاج والمعتمر، وتأثير القدرة الربانية بالخط عليه يملؤه بالسكينة! وهناك احتمال أن يكون النبي ارميا يوم غزوة نبوخذ نصر قد قسم المجازفة؛ فأبقى لوحاً من الاثنين في مكة وهو الحجر الأسود الذي دفن بجبل قبيس، وهرّب الثاني معه إلى إكسوم بالحبشة حيث توفي، وحيث تقليد إلى اليوم بوجوده بكنيسة على جزيرة داخل إحدى البحيرات! وعليه فلا نلقي بالأبعد اليوم لكل الخرافات المنتشرة على الشبكة العنكبوتية حول التابوت.

(1) البحث عن يسوع، كمال الصليبي.

المملكة الشمالية بالسامرة من الانشقاق حتى سبي نينوى

(930 ق.م - 722 ق.م)

تنبأ النبي أحيّ (أخيا) بانقسام مملكة سليمان، بحيث سيتبع عشرة من أسباطها ربعان (يربعام)، أما السبطان الآخران هود (هوذة) وبن يمان فسيظلان على ولائهما لبيت داود (ع). وكثيراً ما يذكر هود أكبر الأسباط وبن يمان أصغرهما كسبط واحد إذ كانت لهما حدود مشتركة. وكان سبط أفرم/الفروم (الفران) الأبرز بين الأسباط العشرة المنشقين.

ملخص⁽¹⁾ لتاريخ المملكة الشمالية «اسرائيل (930 ق.م - 722 ق.م):

الملوك

930 ق.م ربعان (يربعام) الأول (22 سنة) بنى الحوية (شكيم) عاصمة له وأقام عجلين ذهبيين ربما بسقام بأعلى وادي مر الظهران (صار مقام العزى حتى صدر الإسلام) وبرهاط (صار مقام سواع حتى صدر الإسلام). وقاد ربعان قومه للخطيئة، وسمح لأي كان بأن يصبح كاهناً بعد أن كانت هذه المهمة فيما مضى محصورة بذرية هارون (ع) من بني لؤي (اللاويين)!

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 768 - 771.

- 909 ق.م نديب (ن د ب) (ستان).
 908 ق.م بعثة (ب ع ش ي ه) (حكم 24 سنة) قاد الشعب لعبادة الأوثان.
 886 ق.م عالية (ء ي ل ة) (حكم سنتين) استمر في عبادة الأوثان.
 885 ق.م زمرة (زم ر ي) (حكم 7 أيام).
 885 ق.م تبين (ت ب ن ي).
 885 ق.م عمرو (ع م ر ي) (حكم 12 سنة) بنى السامرة (صارت فيما بعد عسفان) عاصمة له وكان له جند كثير واستمر في السماح بعبادة الأوثان. قد يكون الأصل لأسطورة عمرو بن لحي الذي نشر الأصنام في بلاد العرب!
 874 ق.م أهاب (ء ح ب) (حكم 22 سنة) تزوج أسبيل (ء ز ب ل) (امرأة ضالة، وكانت ابنة عتيب آل ملك السعديين) عبد البعل (هبل) وأصابته أرضه بزمان إلياس (ع) مجاعة دامت ثلاث سنوات؛ ذكر الكتاب أنها كانت نتيجة لعصيانه لله! وقد ورد اسمه في حديث نبوي:
 لو جعل هذا القرآن في إهاب ثم ألقي بالنار ما احترق! ولم يستطع مفسر واحد فهم معنى كلمة «إهاب»! وبالطبع فإن أحداً من أهل الكتاب لم يتطوع لهدايتهم إلى المعنى الصحيح لأنه حجة أخرى لنبوة محمد (ص) الذي يزوده بهذه المعلومات علام الغيوب!
 853 ق.م اخزاعة (ء ح ز ي ه) (حكم سنتين) أبدى النية لتعاون تجاري مشترك مع مملكة هودّة.
 852 ق.م حارم (ي ه ورم) (حكم 12 سنة) عانى قومه المجاعة والحرب معظم أيامه.
 841 ق.م حي (ي ه و) (حكم 28 سنة) كان مسؤولاً عن مقتل عارم (ي ورم) (ملك هودّة) واخزاعة ملك إسرائيل وأسبيل (أم حارم الضالة). قتل كهنة البعل وهدم معابده؛ لكنه لم يرعى الله حق رعايته.
 814 ق.م الواخذ (ي ه وء ح ز) (حكم 17 سنة) أضل قومه نحو رجس عبادة العثر.

798 ق.م إياس (ي ه و ء ش) (حكم 16 سنة) كان ملكاً ضالاً لكنه وقرّ نبي الله اليسع عليه السلام.

793 ق.م ربعان (ي ر ب ع م) الثاني (حكم 41 سنة) كان شديد الضلالة؛ إنما قوياً حازماً فازدهرت أحوال قومه أمناً وتجارة.

753 ق.م زكريا (حكم 6 شهور) أشار على قومه بعبادة الأوثان.

752 ق.م سلام (شلوم) (حكم شهراً واحداً).

752 ق.م مناحي (م ن ح ي م) (حكم عشر سنوات) فرض إتاوات ثقيلة وضيق على قومه.

742 ق.م فقي (ف ق ح ي) (حكم سنتين) داوم على عبادة الأوثان.

740 ق.م فقيه (ف ق ح) (حكم 8 سنوات) في أيامه سبي عدد كبير من الشعب إلى نينوى عاصمة آشور.

732 ق.م واسع (هوشع) (حكم 9 سنوات) فرضت عليه آشور جزية ثقيلة ثم غزته، وسبت عدداً من بني إسرائيل إلى نينوى وأحلت محلهم غرباء.

722 ق.م نهاية المملكة الشمالية. سبي شلمنصر (سلام النصر) باقي بني إسرائيل من المملكة الشمالية إلى آشور. وبقي اسم شمنصير بالأرض إلى اليوم اسماً لجبل بديار سليم قرب رهاط.

ويقول سفر الملوك الأول إن ربعان (يربعام) بنى شكيم/الحوية أو سقام في جبل الفران (أفرم) وسكن بها⁽¹⁾. بعد ذلك مباشرة، عمل ربعان (يربعام) على بناء (وربما المقصود تحصين) بلدة فنوء⁽²⁾ التي قد تكون اليوم قرب تربة. ولكي يمنع أتباعه من الذهاب للعبادة في مكة (أورشليم) جعل لهم مقامات جديدة في بيت ايل (الجعرانة) وودان⁽³⁾. وأقام ملوك إسرائيل الذين خلفوا ربعان عواصم لأنفسهم أولاً في ترصة⁽⁴⁾

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 12، الجملة: 25.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 12، الجملة: 25.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 12، الجملة: 29.

(4) سفر الملوك 1، الإصحاح 15، الجملة: 33.

(ضرس شمال مكة) ثم في يزرعيل⁽¹⁾ (الزراعييل وهي اليوم خليص)، ثم في السامرة⁽²⁾ وهي اليوم عسفان. وكانت هذه الأخيرة، أي السامرة مدينة قام ملوك إسرائيل أنفسهم بينائها على هضبة اشتروها من رجل اسمه سامر، ومن هنا جاء الاسم الذي أعطوها، وهو بالعبرية شمرون. ولعل للزراعييل (وهي معربة: يزرع ءل أو «زرع الله») علاقة بآل الزرع (ءل زرع) قرب خليص الحالية. وقد افترض علماء التوراة حتى الآن أنها مرج ابن عامر الذي يفصل بلاد فلسطين عن الجليل بالشام، وهو افتراض لا يركز على شيء. والأكثر احتمالاً هو أن سامراً وهو المالك الأصلي للهضبة التي بنيت فوقها السامرة كان منه عشيرة السمرة، ويستمر وجود اسمها قرب وادي غران إلى يومنا هذا. وشمران أو عسفان الحالية كانت تقوم قلعتها المميزة على هضبة وحدها، تماماً كما هي موصوفة في العهد القديم، وخارجها كان وادي المجذومين المذكور بالتوراة وبالسيرة النبوية العطرة.

ورث الخلدان (الكلدان) الدولة الآشورية وأراضيها ثم قضوا على استقلال الدولة الإسرائيلية الجنوبية (هوذة) وأجلوا أهلها إلى الحيرة أيام نبوخذنصر (بختنصر)، ثم آلت هذه للإخمينيين بعد استيلاء كورش (ذي القرنين بحسب أبي الكلام آزاد) على بابل الذي عاد فسمح للموسويين بالعودة إلى الحجاز. قضى الإسكندر على الدولة الفارسية الأولى واستولى على أراضيها ببلاد الرافدين وسوريا وبلاد القبط لكنه مات قبل أن يمدّ ظل دولته إلى الجزيرة العربية، ففقد المؤمنون الرعاية الإمبراطورية للأقليات وتعرضوا لضغوطات في دينهم من الكفرة؛ فآثر كثير منهم الهجرة إلى أراضي الدولة السلوقية المزدهرة التجارة بالشام؛ خصوصاً في فلسطين. وهناك أقام السامريون لأنفسهم سامرة جديدة فيما هو اليوم سبسطية، بالقرب من مدينة نابلس الحديثة. وهناك عرّف السامريون هضبتين محليتين بأنهما جبل جرزيم وجبل عيبال التوراتيتان، وقالوا بقدسيتهما؛ وكله من باب الحنين! والنصوص التوراتية التي تتحدث عن هذين الجبلين تعطي الانطباع بأنهما كانا شديدي القرب واحدهما من الآخر.

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 18، الجملة: 15.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 20، الجملة: 43.

ويأتي ذكر جبل جرزيم وجبل عيبال⁽¹⁾ بعد الحديث عن فتح الاسرائيليين ل (ى رى ح و) و (ه ع ى) وهما ريحة الحالية قرب الحوية وعيفان قرب الزيمة اليوم. أما بيت ايل الواقعة مع (ه ع ى) فهي الجعرانة الواقعة على مقربة من درب زبيدة. واستناداً إلى سفر التثنية⁽²⁾، فإن جرزيم وجبل عيبال كانا يقعان عبر العروض وهي جبال تهامة المكية بأعلى الغور؛ فهما اليوم لجرزيم جبل الدمة قرب حوية الطائف ولعبال جبل عيبال قرب لية بالطائف. وجبل جرزيم كان الجبل الذي باركه الاسرائيليون⁽³⁾، وجبل عيبال هو الجبل الذي لعنه الاسرائيليون⁽⁴⁾. وجاء ذكر جبل جرزيم مترافقاً مع شكهم⁽⁵⁾ (الحوية). ومهما كان شأن الهضبتين المقدستين لدى السامريين الفلسطينيين في نابلس، فهما بالتأكيد ليستا جبل جرزيم وجبل عبال المذكورين في التوراة. وهناك اعتقاد بأن إسم موقع جرزيم مشتق من الجزورين الذين شقّهم إبراهيم عندما سأل ربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾⁽⁶⁾.

أهم أنبياء المملكة الشمالية

النبي الأول: إيليا (إلياس) 875 - 848 ق.م

كان أشهر أنبياء إسرائيل وأكثرهم ظهوراً. تنبأ ببداية ونهاية ثلاث سنوات من الجفاف. سخره الله بإذنه لإحياء ابن ميت لأمه، وفي كشف دجل كهنة البعل أمام الناس. «فاستدعى أهاب جميع بني إسرائيل⁽⁷⁾، وجمع الأنبياء إلى جبل الكامل (الكرمل)، فخطب إيليا الشعب: حتى متى تظلون تعرجون بين الفرقتين. إن كان اللاهم هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل هو الله فاتبعوه. فلم يجبه الشعب بكلمة. ثم قال إيليا للشعب: أنا بقيت وحدي نبياً لللاههم، وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون. فأعطونا ثورين، وليختر أنبياء البعل أحدهما، فيقطعوه ويضعوه على الحطب من غير أن يشعلوا ناراً. وأنا أقرب الثور الآخر وأضعه على الحطب من غير أن أشعل ناراً. ثم تتضرعون باسم

(1) سفر يشوع، الإصحاح 8، الجملة: 33.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 11، الجملة: 30.

(3) سفر التثنية، الإصحاح 27، الجملة: 12.

(4) سفر التثنية، الإصحاح 27، الجملة: 13.

(5) سفر القضاة، الإصحاح 9، الجملة: 7.

(6) سورة البقرة، الآية: 260.

(7) سفر الملوك 1، الإصحاح 18، الجملة: 20.

آلهتكم، وأنا أدعو باسم الرب إلهي. والإله الذي يستجيب وينزل ناراً يكون هو الإله الحق. فأجاب جميع بني إسرائيل: هذا قول صائب. فقال إيلياس عندئذ لأتبياء البعل (هبل): اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً، وقربوا أولاً لأنكم الأكثر عدداً وادعوا باسم آلهتكم، ولكن إياكم أن تشعلوا ناراً. فأحضروا الثور الذي أعطي لهم ووضعوه على المذبح، وظلوا يدعون باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين: يا بعل استجب لنا. فلم يكن هناك صوت أو مجيب. فراحوا يرقصون حول المذبح المشيد. وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال: ادعوا بصوت أعلى فهو حقاً إله! لعله مستغرق في التأمل أو في خلوة أو في سفر! أو لعله نائم فيستيقظ. فشرعوا يهتفون بصوت أعلى، ويمزقون أجسادهم بالسيوف والرماح كعادتهم، حتى سال منهم الدم.

وانقضت ساعات الظهر، وظلوا يهذون صارخين حتى حل وقت إصعاد التقدمة المسائية، من غير أن يكون هناك صوت أو مجيب. عندئذ قال إيليا للشعب كله: تقدموا إلي. فدنا جميع الشعب منه، فرمم مذبح الرب المنهدم، ثم أخذ اثني عشر حجراً حسب عدد أسباط إسرائيل، ذرية يعقوب الذي دعاه الله إسرائيل وبنى بهذه الحجارة مذبحاً باسم الرب، وحفر حوله قناة تتسع لنحو كيلتين من الحب. ثم رتب الحطب وقطع الثور، ووضع أجزائه على الحطب وأمر أن يملأوا أربع جرات ماء ويصبوها على المحرقة وعلى الحطب. ثم قال: ثنوا فثنوا، وعاد يأمر: ثلثوا فثلثوا. حتى جرى الماء حول المذبح وامتلات القناة أيضاً بالماء. وفي ميعاد ذبيحة المساء صلى إيلياس: أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل، ليُعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل، وأنا عبدك، وبأمرك قد أقدمت على هذه الأمور. استجب لي يارب، استجب لي، ليدرك هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنت أنت تردّ قلوبهم إليك. فنزلت نار من السماء التهمت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست ماء القناة. فلما شاهد جمع بني إسرائيل ذلك خروا ساجدين على وجوههم إلى الأرض هاتفين: اللاهم هو الله! اللاهم هو الله. فقال إيلياس: اقبضوا على أنبياء البعل ولا تدعوا رجلاً منهم يفلت. فقبضوا عليهم وساقهم إيلياس إلى وادي خشان⁽¹⁾ وذبحهم هناك. (انتهى)

(1) خشان: خشاش؛ نخلة الشامية.

وهذه القصة تذكر بالآيات القرآنية: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ يُتِىُّ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾⁽¹⁾.

واخير اهاب زوجته أسيل بما صنعه إيليا فتوعدته بالقتل فقر إلى بشر الشباعة (زمزم) التابعة لهوذة ثم سار في الصحراء أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى بلغ جبل الله حرب/بحر البركاني 30 كلم جنوب بحر أبي سكينه (بتهامه عسير). فقال له الرب⁽²⁾: اذهب راجعاً في الطريق الصحراوية (النجدية) المفضية إلى الدماشق (نجران قاعدة مذحج)، وهناك امسح هذال (حزائيل) ملكاً على إرم، ثم امسح حي بن نمس (ياهو بن نمشي) ملكاً على إسرائيل، وكذلك امسح اليسع (اليسع بن سبط) من عبل محلة (عبال الحلاءة قرب عكاظ) نبياً خلفاً لك.

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿أَتَدْعُونَ بَغْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ⁽³⁾.

والياس من الأنبياء الذين انتقلوا رفعا وليس قبضا. فشانه شأن ادريس وعيسى ابن مريم عليهم السلام أجمعين.

النبي الثاني: اليسع (اليسع بلغة القرآن): 848 - 797 ق.م

خلف إيليا (الياس) كنبى لله. استمرت خدمته أكثر من خمسين سنة. كان له تأثير كبير في أربعة أقوام: إسرائيل وهوذة والمناهب (بلاد دوس بزهران) وإرم (وهي نجد عسير وصولاً إلى نجران وهي مذحج الشمالية). كان رجلاً ورعاً قام بمعجزات كثيرة لمساعدة ضعاف القوم. وجاء في القرآن الكريم عنه: ﴿وَإِذْ كُنَّا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 183.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 19، الجملة: 15.

(3) سورة الصافات، الآيات: 123 - 132.

(4) سورة ص، الآية: 48.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

النبي الثالث: يونان (يونس أو ذو النون): 793 - 753 ق.م

كان على أيام حكم ربعان 2 (يربعام الثاني) أقوى ملوك اسرائيل وكانت أثور (أشور) ألد أعداء إسرائيل، وكان الأثوريون يستعرضون قوتهم أمام الله والعالم من خلال أفعال وحشية خالية من الرحمة. ووصف هذا النبي بأنه عبد «هو» إله إسرائيل⁽²⁾. وتنبأ يونان بتوسع مملكة اسرائيل، وتم ذلك في عهد ربعان بن عياش (يربعام بن يواش) الذي كان ملكاً على إسرائيل في السامرة (حوالي 793 - 753 ق.م)، أي في ما هو اليوم عسفان. ويعرف سفر يونان النبي بأنه نون بن أمية (يونان ابن أمتي) وهو الاسم نفسه الذي يعرف به بسفر الملوك الثاني. ويضيف هذا السفر الأخير بأن موطن يونان الأصلي كان بمكان اسمه حفير⁽³⁾ (جبة حفر). اختاره الله تعالى ليعثه إلى نينوى عاصمة الدولة الآشورية، فقام النبي بإخبار ملكها بأن الله يعتزم تدمير مدينته بسبب أفعاله، فكانت النتيجة أن خشي الملك وتضرع إلى الله ليعفو عنه وعن شعبه، فقبل الله منه وعدل عن سخطه. وما كان من يونس إلا أن غضب لفقدانه مصداقيته أمام الناس فقفل عائداً إلى موطنه عن طريق الخليج العربي، فترشيش (ربما كانت ريسوت الواقعة في عمان) على بحر العرب؛ وهو البحر الوحيد في الشرق الأوسط التي توجد فيه الحيتان الزرقاء بشكل دائم. ولعل حادثة الحوت تمت في فصل الشتاء، إذ كان البحر عاصفاً وغير مناسب لنقل الركاب خوفاً على سلامتهم فاستقل يونس سفينة شحن؛ فغرقت والتقمه حوت أزرق ملقياً إياه سالماً على الشاطئ! وأجمل ما في سفر يونان الصلاة في جوف الحوت⁽⁴⁾:

ثم صلى يونس إلى الرب إلهه من جوف الحوت، قائلاً «استغثت بالرب في ضيقي فاستجاب لي، ومن جوف الهاوية ابتهلت فسمعت صوتي. لأنك طرحني إلى اللجج العميقة في قلب البحار، فاكتفني الغمر وأحاطت بي تياراتك وأمواجك

(1) سورة الأنعام، الآية: 86.

(2) سفر الملوك 2، الإصحاح 14، الجملة: 25.

(3) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجملة: 13.

(4) سفر يونان، الإصحاح 2، الجملة: 1.

فقلت: قد طردت من حضرتك. ولن أعود أتفرس في هيكلك المقدس. قد غمرتني المياه وأحدقت بي اللجج، والتف عشب البحر حول رأسي. انحدرت إلى أسس الجبال وهبطت إلى أعماق الأرض حيث أغلقت عليّ مزاليجها إلى الأبد. ولكنك تُصعد حياتي من الهاوية أيها الرب إلهي. عندما وهنت نفسي في داخلي، تذكرت إلهي، فحلقت صلاتي إليك، إلى هيكلك المقدس. إن الذين يبجلون الأصنام الباطلة يتخلون عن مصدر نعمتهم. أما أنا فبهتاف الحمد أذبح لك، وما نذرته أوفي به، لأن الرب الخلاص. فأمر الله الحوت فقذف يونس إلى الشاطئ.

وجاء في القرآن الكريم عن قصة يونس:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِ الْمَشْحُونِ • فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ • فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾⁽¹⁾.

﴿وَذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ • فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ • وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ • لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ • وَأَنْبَثْنَاهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ • وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ • فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾⁽³⁾.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾⁽⁴⁾.

وعن التقام الحوت ليونس (ع) يقول الدكتور زغلول النجار بأن الحوت الأزرق وهو أضخم المخلوقات قد يصل طوله إلى أكثر من 35 متراً ووزنه أكثر من 180 طناً؛ وهو على ضخامته لا يأكل إلا الكائنات الدقيقة التي تسمى البلاكتون الطافية

(1) سورة الصافات: الآيات: 139 - 142.

(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 87 و 88.

(3) سورة الصافات: الآيات: 143 - 148.

(4) سورة يونس، الآية: 98.

الهائمة؛ فهو ليس له أسنان على الإطلاق وله ألواح رأسية يصطاد بها هذه الكائنات وطريقة تناوله لغذائه كالآتي: يأخذ بفمه عدة أمتار مكعبة من الماء فيصطاد به من كائنات طافية ويخرج الماء من جانبي الفم؛ فإذا دخل فمه أي شيء كبير لا يتسع لجوفه ولذلك بقي سيدنا يونس (ع) في فمه كاللقمة ولهذا قال الله ربنا الحق: فاستنقذ الحوت؛ يعني لا هو قادر على بلعه ولا مضغه لأنه (أهتم) ليس له أسنان. والحوت يتنفس بالأوكسجين ولذا فهو يرتفع فوق سطح الماء مرة كل 15 دقيقة ولسانه يستطيع أن يقف عليه أكثر من رجل براحة تامة بمعنى أن سيدنا يونس كان جالساً بما يشبه الغرفة الواسعة المكيفة. فقصة القرآن بأن الحوت التقمه أي إنه بقي فقط في فم الحوت أقرب إلى المنطق والحقيقة العلمية، لأنه لو وصل إلى بطن الحوت لانتحى وتحطمت أضلاعه بفعل العضلات القوية التي تتميز بها بطون الحيتان، فضلاً عن الأحماض التي تفرزها معدة الحوت، وقد قام العلماء بمحاولة لإدخال رجل في بطن حوت ميت؛ لكنهم أوقفوا المحاولة بعدما أيقنوا أن الداخل إلى بطن الحوت لا بد أن يموت قبل أن يصل إلى المعدة. فـ«التقمه الحوت» تعني بقي كلقمة في فم الحوت لم يستطع أن يتلعها وإن لم يلفظها مباشرة.

هنا أريد أن أستطرد لفائدة. كان يونس تهماً، والله أوضح بالذكر الحكيم أنه ما بعث رسولاً إلا بلسان قومه ليتبينوا، فكيف يرسله إلى نينوى عاصمة الآشوريين ليدعوهم للرجوع إليه لو كانت لهجة كنانة العربية بعيدة وغير مفهومة في شمال العراق في ذاك الزمان؟ المغزى: يجب علينا النظر بكل قواميس اللغات القديمة التي وضعها المستشرقون من أكادية وبابلية وأثرورية وخلدانية وإعادة قراءتها على أنها لهجات محلية للغة عربية واحدة. وما بقاء هذه اللغة واستيعابها لهذا الكم من المفردات إلا لكونها اللغة الأم والأصل لكل هذه اللهجات.

نهاية المملكة الشمالية

في أيام فقيه بن رملة (فجح بن رمليا) ملك إسرائيل هاجم تغلث فلاسر ملك أثور البلاد، واستولى على مدن عيون (عينين المدينة)، وابل بيت معكة (عبل بيت قمعة)، ويانوح، وقدس، وحضور (الأخضر أسفل وادي العرج أو خضيرة بوادي شرب

بنجد الطائف)، وجلعاد (جلذان) والجليل (بحرة رهاط)، وكل أرض أفتل / غطفان (والنفعة) وسبي أهلها إلى أثور. وفي السنة الثانية عشرة من حكم أخاذ (آحاز) ملك هودّة، اعتلى الواسع بن عيلة (هوشع بن أيلة) عرش إسرائيل في السامرة مدة تسع سنوات. وارتكب الأباطيل أمام الله إلا أنه كان أفضل قليلاً من أسلافه ملوك إسرائيل. وزحف عليه شلمناصر ملك أثور فصار الواسع (هوشع) تابعاً له يدفع جزية. وما لبث أن اكتشف ملك أثور خيانة الواسع (هوشع) الذي أرسل وفداً يستغيث بسيوى ملك مصر، ولم يؤد الجزية لملك أثور كعهده في كل سنة، فقبض عليه وزجه في السجن واجتاح أرض إسرائيل، وحاصر السامرة ثلاث سنوات. وفي السنة التاسعة من حكم الواسع (هوشع) سقطت السامرة، فسبي الإسرائيليون إلى أثور وأسكنوا في مدينة حلف، وعلى ضفاف نهر خابور في منطقة جوزان، وفي مدن مادي. تم ذلك في العام 722 ق.م.

المملكة الجنوبية في هوزة من الانقسام

حتى سبي بابل (930 - 586 ق. م)

تمّ انشقاق مملكة سليمان، فكانت واحدة شمالية وعاصمتها السامرة بعسفان شمال جدة اليوم، وأخرى جنوبية بقيت عاصمتها عري/عرش السلام (مكة).

ملخص⁽¹⁾ لملوك هوزة بعد سليمان (ع)

930 ق.م رجبعام (رحبان) (حكم 17 سنة) بنى الكثير من المدن الحصينة ودعم الاقتصاد (رغم الجزية التي دفعها لمصر). تبع الله مدة ثلاث سنوات، لكنه بعد ذلك أقام أصناماً ومعابد للآلهة الغربية.

913 ق.م أبين (ء ب ي م) (حكم 3 سنوات) رغم صغره دعا الله ليعينه في الحرب ضد المملكة الشمالية.

910 ق.م آسى (ء س ء) (حكم 41 سنة) هدم المذابح الوثنية ورمم مذبح الله، وحصّن المدن وغنم ثروات عظيمة من غزو البلاد المجاورة وخلع الملكة الأم (معكة أو قمعة) لعبادتها العشر، وقاد قومه لعبادة الله من قلوبهم، وساد السلام البلاد وكان محبوباً من الناس؛ فلما مات دفن باحتفال مهيب.

872 ق.م يهوشافاط (السافط) (حكم 25 سنة) رتب زواج ابنه من ابنة أهاب (التي جلبت المتاعب فيما بعد). وكان له جيش قوي وحاميات في مدن اسرائيل التي كان

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 768 - 771.

قد استولى عليها أبوه. أخذ الجزية من الفلاسيين، عبد الله بإخلاص وهدم الأصنام ونشر التعليم وعين قضاة ومحاكم.

853 ق.م حارم (ى ه و رم) حكم 8 سنوات، تزوج ابنة أهاب الشريرة، وأجبر قومه على عبادة الأوثان وقتل كل إخوته.

841 ق.م الواخذ (ى ه و ء ح ز) حكم سنة واحدة؛ وكان صديقاً لحارم ملك اسرائيل.

841 ق.م عدلا (ع ت ل ي ه) (ملكت 6 سنوات) قتلت كل أحفادها ما عدا نوّاس الذي خباته مرضعته ست سنوات، ونهبت الهيكل لتبني هيكلًا للبعل.

835 ق.م إياس (ى ه و ء ش) (حكم 40 سنة) توج ملكاً وهو ابن سبع سنوات بواسطة الوازع (يهويداع) (رئيس الكهنة) فحافظ على السلام والإزدهار، ورمم الهيكل وهدم مذابح البعل. ولكن بعد موت الوازع، ابتعد عن الله وأمر بقتل ابن الوازع.

796 ق.م عميسة (ء م ص ي ه) (حكم 29 سنة) كان صالحاً أساساً ولكنه لم يقض على عبادة الأوثان تماماً. نظم الجيش وأجرى إحصاء.

792 ق.م عزة (ع ز ي ه) (حكم 52 سنة) بنى مدينة الليث، وكان يمتلك الكثير من المزارع والكروم. بنى خزانات للمياه وحصوناً وأعاد تنظيم الجيش (وكان من القوة بحيث وصلت شهرته إلى مصر) ولكنه تعدى على شريعة الله بممارسة الكهنوت فضربه الله بالبرص.

750 ق.م وتين (ى و ت م) حكم 16 سنة، بنى الباب الأعلى في الهيكل ورمم الأسوار والمدن ولكنه سمح بالعبادة الوثنية. ولعل «الباب الأعلى» إشارة لباب الكعبة الثاني الذي كان معروفاً من الجاهلية فأقامه ابن الزبير وعاد الحجاج فأغلقه.

735 ق.م الواخذ (ى ه و ء ح ز) حكم 16 سنة، قدم ابنه ذبيحة للأوثان وأغلق أبواب الهيكل.

715 ق.م حذقة (ح ز ق ي ه) حكم 29 سنة، كان تابعاً أميناً لله، أعاد فتح الهيكل وطهره وأقام الكهنة على خدمته، ونظم فرق الترنيمة للعبادة، وكسر الأصنام (بما فيها

الحية النحاسية التي رفعها موسى لأن الشعب كان يقدسها) واحتفل بالفسح، ودعا أناساً ممن كانوا يعيشون في الشمال للمشاركة فيه. وعمل مصادر عامة للمياه ومد الله في عمره 15 سنة، ولكنه أظهر لسفراء بابل ثروة الهيكل.

697 ق. م منسى (م ن ش ه) حكم 55 سنة، أعاد بناء كل المعابد الوثنية وقدم أحد أبنائه ذبيحة، ومارس السحر، وأقام صنماً في الهيكل وقتل الكثيرين من قومه.

642 ق. م أمين (ء م و ن) (حكم ستين).

640 ق. م واسية (ى و ش ى ه) حكم 11 سنة، أحب الله من كل قلبه، رمم الهيكل، ووجد لفافة مفقودة من الشريعة فوعد بإطاعتها، ولذلك لم يقض الله على هوزة إلا بعد موته. أشرف بنفسه على المشروع الكبير لتدمير معابد الأوثان، وأعاد كهنة الإله إلى خدمتهم، واحتفل بالفسح بغيرة على الدين بأعظم مما كان منذ أيام سموأل.

609 ق. م الواخذ (ى ه و ء ح ز) (حكم 3 شهور) سجن وأخذ إلى مصر حيث مات هناك.

609 ق. م اليقين (ء ل ى ق ى م) (حكم 11 سنة) أحرق لفافة من كلام الله، وكان دمية في يد مصر ثم في يد بابل، ورأى ذهب الهيكل وأدواته تؤخذ إلى بابل، ورأى السبي الأول (الذي أخذ فيه دانيال).

598 ق. م الوكيل (ى ه و ى ك ى ل) (حكم 3 شهور) رأى السبي الثاني إلى بابل.

597 ق. م منسى (م ت ن ى ه) (غيره نبوخذنصر لصدقة) رأى حرق الهيكل وتدمير (عرش السلام) أورشليم. عُدّب وأخذ في السبي الأخير إلى بابل.

شيشق ملك مصر يغزو (عرش السلام) أورشليم

هنا نقطة هامة إذ يبدأ إلى حد ما بعض التوافق بين التاريخ التوراتي والتاريخ القبطي، إذ يُرمز إلى الملك شيشق (شيشانق) على أنه مصري ربما لأنه كان يحكم الحبشة أيضاً لأننا نعلم ذلك من تشكيلات جيشه الحاوية أحباشاً وبربراً، وقد ذكرنا عنه تفصيلاً أكثر في فصل «مصر لم تكن بلاد القبط».

وما إن ترسخت دعائم مملكة رحبان (رحبعام) وقويت شوكته⁽¹⁾ حتى نبذ هو وكل اسرائيل معه شريعة الله. فغزا شيشق ملك مصر عرى السلام (مكة) في السنة الخامسة لحكم رحبان (رحبعام) دعماً للمنشق ربعان الذي كان لاجئاً بمصر ومتزوجاً من الأسرة الملكية. فجاء على رأس جيش لا يحصى من لبيين وسوكيين (سقوطة بالحبشة) و(كوشيين/غوثيين يمينيين)... واستولى على خزائن بيت الله الحرام، وخزائن قصر الملك وغنم أتراس الذهب التي صنعها سليمان.

أول شخصية أوروبية هامة وقفت أمام وثيقة كبيرة عن الفرعون الذي تطلق عليه التوراة اسم شيشق كان نابليون بونابرت، وكان لا يعلم عنها شيئاً لأن لغز الشيفرة الهيروغليفية لم يكن قد وجد حلاً، فدار في العام 1799 مذهباً مع جماعة من العلماء الفرنسيين في أرجاء معبد الكرنك العظيم على الشاطئ الشرقي لطيبة (الأقصر). وفي وسط المعبد المرفوع وسط 134 من الأعمدة الضخمة التي تعلو 25 متراً وجدوا لوحة حجرية تمثل الإله آمون متقدماً إلى الفرعون شيشانق وفي يده اليمنى سيف بينما الأخرى تمسك بأطراف حبال مربوط فيها 156 أسيراً يمثل كل واحد منهم قرية أو مدينة، وفي أعلى اللوحة توجد السجلات الطبوغرافية المصرية المتعلقة بالحملة العسكرية.

وفي مقدمة جدولته الكبير في الكرنك يتحدث شيشانق عن إخضاعه جيوشاً، ومن قراءة للدكتور كمال الصليبي نقبس:

ميتاني التي هي المدينة في شمال الحجاز، وكذلك (يششور) التي هي على الأرجح قرية يسير الحالية بمنطقة رابع في تهامة الحجاز. وهناك:

عون التي ربما ترمز إلى وادي عرنة

محتم التي ترمز إلى المناحي بالجلس من أراضي عتبية اليوم،

ينمر (نمرة قرب عرفات)

(قدشت) قادش أو قادس وهو جبل جنوبي المدينة المنورة وأمق وهي وادي

(1) سفر أخبار الأيام 2، الإصحاح 12، الجملة: 1.

المملكة الحبوبية هي هوده من الإلهام حتى السبي لبابل (0.10) 586 ق. م.

عمق وحنني وهي وادي حنين شرق مكة ويشحت هي وادي الشحوط وشنيهي هي الشنية و(خبري): الخبارة بوادي يللمم ورحبيء وهي رجة في وادي أضم في تهامة ما بين مكة والليث.

ويقول الدكتور صليبي⁽¹⁾ إن دراسة أسماء الأماكن المدرجة في جداول حملة شيشانق قد جرت حتى الآن على أساس الافتراض بأنها تشير إلى مواقع في فلسطين أخضعها شيشانق، أو مر بها، خلال حملته على بلاد يهوذا. وقد لجأ الباحثون إلى أساليب ملتوية في معالجتهم لهذه الأسماء في تهجتها المصرية الواضحة، لجعلها تتطابق مع المشهد الفلسطيني، افتراضاً منهم بأن المصريين القدماء لم تكن لهم القدرة على نقل هذه الأسماء السامية إلى لغتهم بدقة. والواقع هو أن لغة المصريين القدماء لم تكن بعيدة عن السامية، ولم يكن لدى هؤلاء المصريين أية صعوبة في ضبط أسماء الأماكن السامية بشكل واضح في كتابتهم.

النبي الأول: النبي إشعيا (سعيا) (740 - 681 ق. م)

تنبأ اسعيا (إشعيا) في أيام خمسة ملوك ولكنه لم يبدأ بالتنبوء من البداية، ففي الوقت الذي مات الملك عزة، كان سعيا قد برز كاتباً في القصر الملكي في (عرش السلام) أورشليم، وهي وظيفة مرموقة. ولكن كانت لدى الله ترتيبات أخرى لعبده، فقد كانت رؤيا اشعيا دعوته ليكون نبياً لشعبه وهي رسالة صعبة، إذ كان عليه أن يخبر شعباً يعتقد بأنه مبارك أن الله مزع أن يهلكه بسبب عصيانه. جاء في سفر اشعيا⁽²⁾:

ويل للأثوريين قضيب غضبي، الحاملين في أيديهم عصا سخطي فأرسلهم ضد أمة منافقة وأوصيهم على شعبي الذي غضبت عليه، ليغنموا غنائمهم ويستولوا على أسلابهم، ويطأوهم كما يطأوا طين الأزقة. ولكن ملك أثور لا يعرف أنني أنا الذي أرسلته، ويظن أنه بقدرته قد هاجم شعبي، وفي نيته أن يدمر ويجتاح أمماً كثيرة. لأنه يقول: أليس كل قوادي ملوكاً؟ أليس مصير كلنو كمصير كركميش. أليس مآل حماة

(1) التوراة جاءت من جزيرة العرب. كمال الصليبي. ص 208.

(2) سفر اشعيا، الإصحاح 10، الجملة: 5.

كمالك أرفاد. أليست السامرة كدمشق. لقد قضيت على ممالك وثنية أصنامها أعظم من أصنام أورشليم والسامرة! أفلا أقضي على أورشليم وأصنامها كما قضيت على السامرة وأصنامها. ولكن حالما ينتهي الرب من عمله بجبل صهيون، فإنه سيعاقب ملك أثور على غرور قلبه وتشامخ عينيه، لأنه يقول: بقوة ذراعي قد صنعت هذا، وبحكمتي، لأنني متين!

ها هو جيش أثور مقبل⁽¹⁾، قد وصل إلى عياث (عوية)، واجتاز بمجرون (قرن). وضع مؤونته في المغمس. قطعوا المعبر، وباتوا في قبع (كبكب). ارتعد أهل الرامة (أسفل رهاط)، وهرب سكان جبعة شاول (العسيلة). اصرخي يا بنت جليم (الغالة) واسمعي يا ليشة (ليث)، واجيبي يا مدينة عناثوث (أنواط). هرب أهل مدمنة. فر سكان جييم طلباً للنجاة. اليوم يتوقف في نوب (نباوة) ويهز قبضته على جبل بنت صهيون، أكمة أورشليم.

فيعود الرب ليمد يده ثانية⁽²⁾ ليسترده البقية الباقية من شعبه، من أثور ومصر وفتروس (فرشاط) وغوث وغيلان وشنعار (شعار) وحماة (حمى)، ومن جزائر البحر، وينصب راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض، فيتلاشى حسد أفرم، وتزول عداوة هوذة، فلا أفرم يحسد هوذة، ولا هوذة يعادي أفرم، وينقضان على أكتاف الفلاسة غرباً ويغزوان أبناء قديمة (العامري) معاً، ويستوليان على بلاد أدوم (عدنان) ومناهب (أرض دوس زهران)، ويخضع لهم بنو عمون (غنم دوس زهران). ويجفف الرب تماماً لسان بحر مصر (باب المندب)، ويهز على النهر فتهب ريح عاصفة تقسم ماءه إلى سبع ممرات تعبر فيها الجيوش. ويمد الرب طريقاً من أثور ليعود منه من بقي هناك من بني إسرائيل، كما أعاد الله جميع إسرائيل من مصر. وفي السنة التي أوفد فيها سرجون ملك آشور⁽³⁾ تترتان رئيس جيشه إلى أشدود (الشدادين) وحاربها وقهرها، تكلم الرب على لسان اشعيا (اسعيا) بن آموص

(1) سفر اشعيا، الإصحاح 10، الجملة: 28.

(2) سفر اشعيا، الإصحاح 11، الجملة: 11.

(3) سفر اشعيا، الإصحاح 20، الجملة: 1.

(عمواس) قائلاً: اذهب واخلع المسوح عن حقوك و انزع حذاءك من قدميك. ففعل كذلك ومشى عارياً حافياً، وقال الرب: كما مشى عبدي اشعيا عارياً حافياً لمدة ثلاث سنوات علامة وآية على المصائب التي سأنزلها بمصر وغوث (كوش)، هكذا يقود ملك أثور أسرى مصر وغوث (الحبشة واليمن) صغاراً وكباراً، عراة حفاة، بأقفية مكشوفة، عاراً لمصر.

وفي السنة الرابعة عشرة من حكم الملك حذقة (حزقيا)⁽¹⁾، اجتاح سن حراب (سنحاريب) ملك أثور جميع مدن هوزة المحصنة واستولى عليها. ووجه ملك أثور رب السقي (ريشافي) (القائد العام) من الخشاش (الخيش) إلى اورشليم (مكة) (إلى الملك حزقيا/ حذقة) على رأس جيش جرار.

ثم بلغ ملك أشور أن ترهاقة ملك كوش قد خرج لمحاربته⁽²⁾، فبعث مرة أخرى رسله إلى حذقة (حزقيا) قائلاً لهم: هذا ما تبلغونه إلى حذقة (حزقيا) ملك يهوذا: لا يخدعنك إلهك الذي تتكل عليه عندما يقول: لن تسقط عرش السلام (أورشليم) في قبضة ملك أثور. فها أنت قد علمت بما ألحقه ملوك أشور بكل البلدان من تدمير كامل! فهل يمكن أن تنجو أنت. هل أنقذت آلهة الأمم الأخرى أهل جوزان (جازان) وحاران (خيران) ورصف وأبناء مدآن. في تل سار الذين أفناهم آبائي. أين ملك حماه (حمي) وملك أرفاد (رفيدة) وملك مدينة سفروايم (الصفراء)، وهينغ وعوا (عوية). إلا أن حذقة (حزقيا) تضرع إلى الله بأن ينجي شعبه من الأثوريين فاستجاب له ربه على لسان سعي (اشعيا) وفتك الوباء بالجيش الغازي فانسحب سن حراب (سنحاريب) إلى نينوى حيث اغتاله ولداه فخلفه ابنه أسرحدون على العرش.

النبي الثاني: النبي جَرَمَ (ارميا) (627 - 586 ق. م)

خدم جرم (ارميا) في أيام حكم ملوك هوزة الخمسة الآخرين: يوشيا (واسية)، يهوآحاز (الأخاذ)، يهوياقيم (الواقم)، يهوياكين (اليقين)، وصدقيا (صدقة). وكانت

(1) سفر اشعيا، الإصحاح 36، الجملة: 1.

(2) سفر اشعيا، الإصحاح 37، الجملة: 9.

الامة اليهودية تهوي سريعاً إلى الخراب. وأخيراً استولى عليها البابليون في 586 ق.م وكان النبي صفنيا (صفينة) قد سبق جرم (أرميا)، وكان حقيقاً معاصراً للجرم. هذه نبوءة⁽¹⁾ أرميا بن حلقيا (جرم بن حلقة) أحد الكهنة المقيمين في عناثوت (أنواط) بأرض سبط بنيامين. وقد أعلن الرب له هذه النبوءة في عهد يوشيا بن آمون (واسية بن أمين) ملك هوذة، في السنة الثالثة عشرة من ملكه. وذلك في أثناء حقبة حكم يهوياقيم بن يوشيا (الواقم بن واسية) ملك هوذة وحتى نهاية الشهر الخامس من السنة الحادية عشرة من ولاية صدقيا ابن يوشيا (صدقة بن واسية) ملك هوذة، الذي فيه تم سبي أهل عرش السلام (اورشليم).

وهذا ما يعلنه الرب⁽²⁾: قفوا في الطرقات وانظروا واسألوا عن المسالك الصالحة القديمة واطرقوها. فتجدوا راحة لنفوسكم. ولكنكم قلتم لن نسير فيها. فأقمت عليكم رقباء قائلاً: اسمعوا دوي البوق. ولكنكم قلتم: لن نسمع. لذلك اسمعوا أيها الأمم. واعلمي أيتها الجماعة ماذا يحل بهم. اسمعي أيتها الأرض وانظري، لأنني جالب شراً على هذا الشعب عقاباً لهم على أفكارهم الأثيمة، لأنهم لم يطيعوا كلماتي وتنكروا لشريعتي. لأي غرض يصعد إلي اللبان من سبأ، وقصب الذريرة من أرض نائية. بخورك مرفوض، وذبائحكم لا تسرني. لذلك يعلن الإله: ها أنا أقيم لهذا الشعب معاً يتعثر بها الآباء والأبناء معاً، ويهلك بها الجار وصاحبه. انظروا، ها شعب زاحف من الشمال، وأمة عظيمة تهب من أقاصي الأرض، تسلحت بالقوس والرمح، وهي قاسية لا ترحم. جلبتها كهدير البحر وهي مقبلة على صهوات الخيل. قد اصطفت كإنسان واحد لمحاربتك يا اورشليم. سمعنا أخبارهم المرعبة فذب الوهن في أيدينا، وتولانا كرب وألم كآلم امرأة تعاني من المخاض. لا تخرجوا إلى الحقل ولا تمشوا في الطريق، فالعدو سيف، والهول محقق من كل جهة.

وفي مستهل حكم⁽³⁾ يهوياقيم بن يوشيا (الواقم بن واسية) ملك هوذة، أوحى الرب بهذه النبوءة إلى جرم (أرميا):

(1) سفر أرميا، الإصحاح 1، الجملة: 1.

(2) سفر أرميا، الإصحاح 6، الجملة: 16.

(3) سفر أرميا، الإصحاح 27، الجملة: 1.

هذا ما أعلنه الرب: اصنع لنفسك أربطة وأنياراً وضعها على عنقك، وابعث برسالة إلى ملوك أدوم (عدنان) وموآب (منهب) وبني عمون (غنم) وصور (بنجد الطائف) وصيدون (السعديين) مع الرسل الموفدين إلى أورشليم إلى صدقيا (صدقة) ملك هوزة، وأوصهم أن ينقلوا هذه الرسالة إلى سادتهم قائلاً: هذا ما يعلنه الرب القدير إله اسرائيل: أنا بقوتي العظيمة وبذراعي الممدودة صنعت الأرض بما عليها من بشر وبهائم، ووهبتها لمن طاب لي أن أهبها له. والآن قد عهدت بجميع هذه الأراضي إلى نبوخذ نصر ملك بابل عبدي⁽¹⁾، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليكون في خدمته.

ثم وضعت أمام الركابين⁽²⁾ جراراً ملاً بالخمير وكؤوساً، وقلت لهم: اشربوا خمراً فأجابوا نحن لا نشرب خمراً لأن يوناداب (جندب) بن ركاب أبونا أوصانا: لا تشربوا خمراً أنتم ولا أبناءكم إلى الأبد. ولا تشيدوا بيتاً، ولا تزرعوا زرعاً، ولا تفرسوا كروماً، ولا تملكوا واحداً منها، بل أقيموا في خيام طوال حياتكم، فتطول أيامكم على وجه الأرض التي أنتم فيها متغربون.

نهاية مملكة هوزة كما وردت في سفر الملوك الثاني

كان يهوياكين (اليقين) في الثامنة عشرة من عمره حين ملك⁽³⁾، ودام حكمه ثلاثة أشهر في أورشليم واسم أمه (نحاسة بنت الناطن) نحوشتا بنت الناثان من عرش السلام (أورشليم). وارتكب الباطل في عين الإله على غرار ما فعل أبوه. وفي أيامه زحف قادة نبوخذنصر ملك بابل على أورشليم وحاصروا المدينة، ثم جاء نبوخذنصر ملك بابل بنفسه في أثناء حصار المدينة وتسلم زمام القيادة، فاستسلم اليقين (يهوياكين) ملك هوزة وأمه ورجاله وقادته وخصيانه إلى ملك بابل، فقبض عليه نبوخذ نصر. فكان ذلك في السنة الثامنة لملكه. واستولى على جميع ما في خزائن الهيكل وخزائن القصر، وحطم كل آنية الذهب التي صنعها سليمان ملك اسرائيل لهيكل الرب، تماماً كما قضى الرب، وسبي نبوخذ نصر أهل عرش السلام (أورشليم)، وكل

(1) نص يذكر ب: **هَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**، سورة الأعراف، الآية: 128.

(2) سفر أرميا، الإصحاح 35، الجملة: 5.

(3) سفر أرميا، الإصحاح 24، الجملة: 8.

الرؤساء، وجميع رجال الحرب الأشداء، والخصيان. فكانت حملة المسبيين عشرة آلاف مسبي، كما أخذ الصنّاع والحدادين، ولم يترك في هودّة سوى فقراء الشعب المساكين. وسبى يهوياكين (اليقين) وأم الملك ونساءه وخصيانه وعظماء البلاد من عرش السلام (أورشليم) إلى بابل. كما ساق سبعة آلاف من المحاربين الأشداء وألفاً من الصنّاع والحدادين إلى بابل، وولى ملك بابل مثنى عم يهوياكين (اليقين) خلفاً له، بعد أن غير اسمه إلى صدقة (صدقيا).

وكان صدقيا (صدقة) في الحادية والعشرين من عمره حين ملك، ودام حكمه إحدى عشرة سنة في عرش السلام (أورشليم)، واسم أمه حنيظل (حميطل) بنت جرم (أرميا) من لبنة. وارتكب الباطل أمام الله على غرار ما فعل الواقم (يهوياقيم). ولم يكن ما أصاب أورشليم وهودّة إلا نتيجة لغضب الله، الذي نبذهم أخيراً من حضرته. وما لبث صدقيا (صدقة) أن تمرد على ملك بابل. وفي السنة التاسعة لملك صدقيا (صدقة)، في اليوم العاشر من الشهر العاشر، زحف نبوخذ نصر ملك بابل بكامل جيشه على أورشليم وحاصرها، وأقام حولها أبراجاً. واستمر حصار أورشليم حتى العام الحادي عشر من ملك صدقيا (صدقة) وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع من تلك السنة تفاقت المجاعة في المدينة، حتى لم يجد أهلها خبزاً يأكلونه. وفي تلك الليلة فتح صدقيا (صدقة) ورجاله ثغرة في سور المدينة، وتسلسل مع رجاله المحاربين من خلال البوابة القائمة بين السورين نحو حديقة الملك. وكان الكلدانئون/الخلدانئون محيطين بالمدينة. فتوجه صدقيا (صدقة) ومقاتلوه إلى طريق النجد. فتعقبت جيوش الكلدانئين الملك، وأدركته في برية ريحة بعد أن تفرقت قواته عنه. فأسروا الملك واقتادوه إلى ملك بابل المقيم في ربلة (بركة العقيق)، وحرّضوه على القضاء عليه. ثم قتلوا أبناء صدقيا (صدقة) على مرأى منه، وقلعوا عينيه، وقيدوه بسلسلتين من نحاس، وساقوه إلى بابل.

وفي اليوم السابع من الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة من حكم الملك نبوخذ ناصر ملك بابل قدّم نبو زرادان قائد الحرس الملكي من بابل إلى عرش السلام (أورشليم)، فأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم، وكل منازل العظماء. وهدمت جيوش الكلدانئين التي تحت إمرة رئيس الحرس الملكي جميع

أسوار أورشليم، وسبي نبو زرادان بقية الشعب الذي بقي في المدينة، والهاربين الذين لجأوا إلى ملك بابل وسواهم من السكان. ولكنه ترك فيها فقراء الأرض المساكين ليزرعوها ويفلحوها.... ووكل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان (جديلة بن الحكم بن سفيان).... ولكن في الشهر السابع جاء اسمعيل بن نشيا بن أليشمع (اسمعيل بن نشوان ابن السميع) من النسل الملكي، وعشرة رجال معه واغتالوا جديلة (جدليا). وقتلوا أيضاً اليهود والكلدانيين المقيمين معه في المصفاة (الصفاء). فهب جميع الشعب، صغيرهم وكبيرهم ورؤساء الجيوش، وهربوا إلى مصر (الحبشة) خوفاً من انتقام الكلدانيين، وأخذوا جرم (أرميا) معهم، وهناك كانت نهاية حياته.

ويقال إن أكثر الفارين كانوا من قبيلة دان؛ وعبر البحر (ميناء الشعية)، وبأنهم أخذوا معهم تابوت العهد حيث تم إخفاؤه، وما زالت الأساطير تقول بأنه في إحدى كنائس اكسوم إلى اليوم!

بعد ذلك يذكر تاريخ ملوك الحبشة بأن مملكة جعزية قامت هناك. (وهناك رواية أخرى بأن ملوكها من ذرية ابن لسليمان (ع) من ماجدة ملكة سبأ أو من ابنة فرعون التي تزوجها سليمان). وما زالت اللغة الجعزية (وهي لهجة عربية قد يكون أصلها من قبيلة أعجاز هوازن التي قد تكون هي دان التوراتية نفسها) مستعملة لقراءة التوراة عند الفلاشا وعند القوميات المسيحية التي ما زالت تمارس سنة الختان الإبراهيمية! وتحققت نبوءات موسى (ع) بعودة بني إسرائيل إلى مصر وهي الحبشة بالسفن⁽¹⁾، وأن تنتشر لغة كنعان (كنانة) هناك كما تنبأ اشعيا⁽²⁾. وهنا قد يصح تأويل آية ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽³⁾ التي لم يثبت بالنسبة إلى بلاد القبط عبر تاريخها المدون أن بني إسرائيل حكموها؛ ولا تمكن أحد من مفسري القرآن أن يفك لغز الآية. وبقيت اكسوم ملجأً للهاربين من الحجاز حتى فجر الإسلام؛ فكانت كما نعلم أول دار هجرة للمسلمين الأوائل.

(1) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجملة: 68.

(2) سفر أشعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

(3) سورة الشعراء، الآية: 59.

وهكذا سبي شعب هودة من أرضه، وأسدل الستار على تاريخ بني اسرائيل ككيان سياسي وبدأ بعدها تاريخ اليهود، وكان هذا في العام 586 ق. م. لم يأت ذكر لسعيا أو جرم (لأشعيا أو أرميا) في القرآن الكريم فهما من الأنبياء الذين:

﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾⁽¹⁾.
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا⁽²⁾.

أما بالنسبة إلى نهاية مملكة بني اسرائيل فقد نزل فيها في سورة الإسراء:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ • ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَلَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا • إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ • وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا • عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا⁽³⁾.

جاء في الآية الرابعة أن الإفساد يكون في الأرض مرتين أي كأن المقصود هو أن يكون في موضعين من الأرض وليس في زمانين مختلفين فقط وما وصلنا إليه في بحثنا يغطي فقط ما ذهبت إليه الآية الخامسة بالإشارة إلى «إذا جاء وعد أولاهما» وهي تغطي دخول الأثوريين إلى السامرة (عسفان) ودخول الكلدانين إلى اورشليم (مكة) وهما المقصودان بالديار. ثم تشير الآية السادسة إلى فترة ما بعد السبي حتى تأسيس المملكة اليهودية في فلسطين بعد أن أمدهم الله بالأموال والبنين وجعلهم أكثر نفيراً، ولنا عودة إلى هذه الآيات فيما بعد.

(1) سورة غافر، الآية: 78.
(2) سورة النساء، الآية: 164.
(3) سورة الإسراء، الآيات: 4 - 8.

العودة من بابل إلى الحجاز

(538 - 430 ق. م.)

العودة كما جاءت بنصوص من أسفار أنبياء من فترة ما بعد السبي:

النبي الأول: ذوالكفل:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِذْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٣٨﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٣٩﴾﴾⁽¹⁾

﴿وَإِذْ كَرَّ إِسْمَاعِيلُ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٤٠﴾﴾⁽²⁾

ذو الكفل القرآني يُعتقد بأنه نبي الله حزقيال التوراتي. وعلى الرغم من أن رؤى ونبؤات حزقيال كانت واضحة وملیئة بالحياة. فإن قدراً ضئيلاً فقط هو المعروف عن حياة النبي الشخصية. كان من بين آلاف الشباب الذين تم ترحيلهم من هودة إلى بابل عندما استسلم الملك يهوياقيم (الواقم). وحتى قبيل هذه الأيام المأسوية كان حزقيال مستعداً للانتظام في سلك الكهنوت، لكن الله دعاه أثناء سبي بابل ليكون نبياً له بواحدة من أحلك فترات بني اسرائيل.

عن لسان الوحي⁽³⁾:

ثم قال لي: يا ابن آدم، قف على قدميك فأخاطبك. وحالما تكلم دخل في الروح

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 85 و86.

(2) سورة ص، الآية: 48.

(3) سفر حزقيال، الإصحاح 2، الجملة: 1.

وأنهضني على قدمي، وسمعتة يخاطبني: يا ابن آدم، ها أنا باعثك إلى بني اسرائيل، إلى أمة متمردة عصتني، إذ تعدّوا هم وآباؤهم علي إلى هذا اليوم. أنا باعثك إلى الأبناء المتصلبين القساة، فتقول لهم هذا ما يعلنه الرب. فإن سمعوا، أو أبوا لأنهم شعب عاص فإنهم يعلمون على الأقل أن نبياً بينهم، أما أنت، يا ابن آدم فلا ترهبهم ولا تخشى كلامهم وإن كانوا قوارص وشوك لديك. وأنت ساكن بين العقارب فلا ترهب كلامهم، ولا تفزع من محضرهم لأنهم شعب متمرّد. إنما عليك أن تبلغهم كلامي سواء سمعوا أو أبوا، لأنهم متمرّدون.

يا ابن آدم⁽¹⁾، قل لإخوتك وأقربائك وسائر شعب إسرائيل في الشتات معك، الذين قال لهم أهل اورشليم: ابتعدوا عن الإله إذ لنا قد وهبت هذه الأرض ميراثاً. ولكن إن كنت قد مزقتهم بين الأمم وشتتهم بين البلاد. فإني أكون لهم مقدساً صغيراً في الأرض التي تبددوا فيها، لذلك قل لهم: سأجمعكم من بين الشعوب وأحشدكم من الأراضي التي شتتكم فيها وأهبطكم أرض إسرائيل. فعندما يأتون إليها يتزعجون منها جميع أوثانها الممقوتة ورجاساتها، وأعطيهم جميعاً قلباً واحداً، وأجعل في داخلهم روحاً جديدة، وأزيل قلب الحجر من لحمهم، واستبدله بقلب من لحم، لكي يسلكوا في فرائضي ويطيعوا أحكامي ويمارسوها، ويكونوا لي شعب وأنا أكون لهم إلهاً، أما الذين ضلت قلوبهم وراء أوثانهم ورجاساتهم، فإني أجعلهم يلقون عقاب طرقهم، يقول السيد الرب».

وفي اليوم الخامس من الشهر العاشر من السنة الثانية عشرة من سينا⁽²⁾، أقبل إلي ناج من اورشليم وقال: قد تم تدمير المدينة. وكانت يد الرب علي في المساء قبل مجيء الناجي. وفتح الرب فمي في الصباح عند وصوله، فانفكت عقدة لساني ولم أعد أبكم. فأوحى إلي الله بكلمته قائلاً: يا ابن آدم إن المقيمين في خرائب أرض اسرائيل يقولون إن إبراهيم كان فرداً واحداً ومع ذلك ورث الأرض وها نحن كثيرون. وقد وهبت لنا الأرض ميراثاً؛ لذلك قل لهم: أتناكلون اللحم بالدم وتتعلق عيونكم

(1) سفر حزقيال، الإصحاح 11، الجملة: 15.

(2) سفر حزقيال، الإصحاح 33، الجملة: 21.

بأصنامكم وتسفكون الدم، ثم ترثون الأرض! اعتمدتم على سيوفكم، وارتكبتم الموبقات، وزنى كل منكم مع امرأة صاحبه فهل ترثون الأرض. قل لهم، هذا ما يعلنه المولى الإله: حي أنا، إن الذين يقيمون في الخرائب يقتلون بالسيف، والذين يسكنون في العراء أبذلهم قوتاً للوحوش، والممتنعون في الحصون والمغاوير يموتون بالوباء. فأجعل الأرض أطلالاً مقفرة وتبطل كبرياء عزتها، وتصبح جبال إسرائيل جرداء لا يجتاز بها عابر. فيدركون أنني أنا الله حين أجعل الأرض خربة مقفرة من جراء ما ارتكبوه من رجاسات.

وكانت يد الرب علي⁽¹⁾ فأحضرنني بالروح إلى وسط واد مليء بعظام، وجعلني اجتاز بينها وحولها وإذا بها كثيرة جداً، تغطي سطح أرض الوادي، كما كانت شديدة اليبوسة. فقال لي يا ابن آدم أيمكن أن تحيي هذه العظام، فأجبت: ياسيدي ومولاي أنت أعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها: اسمعي أيتها العظام اليابسة كلمة الله: ها أنا أجعل روحاً يدخل فيك فتحيين. وأكسوك بالعصب واللحم، وأبسط عليك جلدأ وأجعل فيك روحاً فتحيين وتدركين أنني أنا الله. وفيما كنت أتنبأ كما أمرت، حدث صوت جلبة وزلزلة، فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمة، واكتست بالعصب واللحم، وبسط عليها الجلد. إنما لم يكن فيها روح فقال لي: تنبأ للروح يا ابن آدم، وقل: فذا ما يأمر به المولى الإله: هيا ياروح أقبل من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني الرب، فدخل فيهم الروح فدبت فيهم الحياة وانتصبوا على أقدامهم جيشاً عظيماً جداً جداً. ثم قال لي: يا ابن آدم، هذه العظام هي جملة شعب إسرائيل، هاهم يقولون قد يبست عظامنا ومات رجاؤنا وانقطعنا. لذلك تنبأ وقل لهم هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا أفتح قبوركم وأخرجكم منها يا شعبي وأحضركم إلى أرض إسرائيل، فتدركون أنني أنا الله حين أفتح قبوركم وأخرجكم منها يا أمتي. وأضع روحي فيكم فتحيون.

وقد أشار القرآن الكريم إلى شيء قريب من هذه الرؤيا الروحية دون أن يحدد شخصية الرائي (والتي يظن البعض أنها عزيز وآخرون أنها أرميا):

(1) سفر حزقيال، الإصحاح 37، الجملة: 1.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾.

النبي الثاني: دانيال

ولد دانيال في منتصف ملك يوشيا (واسية) وشب أثناء إصلاحات هذا الملك، وربما استمع دانيال، أثناء ذلك إلى جرم (أرميا) النبي⁽²⁾، وقد قتل يوشيا سنة 609 ق.م. في معركة ضد مصر، وفي خلال أربع سنوات عادت المملكة الجنوبية، هوذة، إلى طرقها الشريرة. وفي 605 ق.م. أصبح نبوخذ نصر ملكاً على بابل. وفي سبتمبر من ذلك العام اكتسح هوذة وحاصر عرش السلام (أورشليم)، ثم أخذ معه الكثيرين من حكمائها وأجمل نسائها إلى بابل كأسرى، وكان دانيال ضمن هذه المجموعة. واعتاد الكلدانيون بعد انتصاراتهم أن يأخذوا معهم إلى بابل أكثر الناس موهبة ونفعاً، تاركين وراءهم الفقراء فقط ليسكنوا أي أرض يريدون وليعيشوا فيها في سلام. وقد أتاح هذا الأسلوب ولاءً عظيماً لبابل من قبل البلاد المهزومة وضمن إمداداً ثابتاً بالموهوبين والحكماء من أجل الخدمة المدنية. وهناك خدم دانيال في الحكومة نحو 70 عاماً (من 605 إلى 536 ق.م.) أثناء ملك نبوخذ نصر وبلشاصر وكورش. وعاش حتى رأى المسيبين الأوائل يعودون إلى عرش السلام (أورشليم) سنة 538 ق.م. وخلال هذه المدة مجّد دانيال ربه ومجّده الله، حتى أنه كان المتحدث باسم الإله إلى مملكة بابل خلال خدمته مستشاراً لملوكها. واشتهر عنه رؤياه التي هي أشبه بمعراج إلى السماء، وأعطيت لتفاصيلها تفسيرات بنيت عليها أكثر المرويات عن أشياء تحدث في آخر الزمان؛ والتي لن ندخل في سياقها بهذا الكتاب.

(1) سورة البقرة، الآية: 249.

(2) سفر دانيال، الإصحاح 9، الجملة: 2.

النبي الثالث: العزيز

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾^(١).

يبدأ سفر عزرا بسنة 538 ق. م. أي بعد 48 سنة على تدمير نبوخذ نصر لعرش السلام (أورشليم) وهزيمته للمملكة الجنوبية، مملكة هوزة، وسبي بعض أهلها إلى بابل. ومات نبوخذ نصر في عام 562 ق. م. ولأن خليفته لم يكن قوياً، استولى الإخمينيون الفرس على بابل في عام 539 ق. م. قبيل الأحداث المسجلة في سفر عزرا. وكانت سياسة البابليين والفرس سياسة مرنة تجاه المسيبيين، فسمحوا لهم بتملك الأراضي والبيوت والقيام بالأعمال العادية. وقد شغل الكثيرون من اليهود، أمثال دانيال ومردخاي واستير مراكز رفيعة. وقد خطا الملك كورش خطوة أبعد، إذ سمح لجماعات كثيرة، بمن فيهم اليهود بالعودة إلى أوطانهم، وقد توقع أنه بذلك يكسب ولاءهم، بل وأعطاهم المال وأواني الهيكل التي أخذها نبوخذ نصر، وضمن مرسوم العودة أن يتعاون اليهود في إنجاز العمل العظيم بإعادة بناء الهيكل. رافق زربابل، قائد المجموعة الأولى، الآلاف من الأشخاص الذين عادوا إلى الأرض المباركة. وبعد وصولهم بدأوا ببناء المذبح ووضع أسس الهيكل، ولكن واجهتهم مقاومة من السكان المحليين. وأدت حملة من الاتهامات والإشاعات إلى توقف العمل مؤقتاً، بينما كان النبيان حجي وزكريا يشجعان الشعب على المضي في المهمة. وأخيراً أصدر الملك داريوس أمراً باستئناف العمل دون أي عوائق.

داريوس أمرًا باستنساخ النسخ الواردة في
بعض سفر عزرا/ العزيز مكتوب بالآرامية، راجع فصل «نهج البحث عبر الخطوط
العربية القديمة» لقراءة الإصحاح 5 وقد بينت فيه قربه من العربية الفصحى.
يعزى إلى العزيز إعادة إظهار نسخة من العهد القديم كتبها بخط جديد هو الآرامي
القديم (الذي بقي عليه السامريون) بعد أن كانت الكتابة الأصلية بخط المساند/الزبور
على الأرجح. ويبدو أن كل النسخ المسندية/الزبورية بالحجاز قد تم إحراقها لأنه لم
تظهر نسخ بهذا الخط إلا بالحبشة؛ ولا تحتوي إلا على الأسفار الخمسة مما يزيد
الاحتمال أن من نقلها كان من أهل السامرة (الإشاعة أنهم كانوا من قبيلة دان) الذين

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

النبي الثالث: العزير

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

يبدأ سفر عزرا بسنة 538 ق. م. أي بعد 48 سنة على تدمير نبوخذ نصر لعرش السلام (أورشليم) وهزيمته للمملكة الجنوبية، مملكة هوزة، وسبي بعض أهلها إلى بابل. ومات نبوخذ نصر في عام 562 ق. م. ولأن خليفته لم يكن قوياً، استولى الإخمينيون الفرس على بابل في عام 539 ق. م. قبيل الأحداث المسجلة في سفر عزرا. وكانت سياسة البابليين والفرس سياسة مرنة تجاه المسييين، فسمحوا لهم بتملك الأراضي والبيوت والقيام بالأعمال العادية. وقد شغل الكثيرون من اليهود، أمثال دانيال ومردخاي واستير مراكز رفيعة. وقد خطا الملك كورش خطوة أبعد، إذ سمح لجماعات كثيرة، بمن فيهم اليهود بالعودة إلى أوطانهم، وقد توقع أنه بذلك يكسب ولاءهم، بل وأعطاهم المال وأواني الهيكل التي أخذها نبوخذ نصر، وضمن مرسوم العودة أن يتعاون اليهود في إنجاز العمل العظيم بإعادة بناء الهيكل. رافق زربابل، قائد المجموعة الأولى، الآلاف من الأشخاص الذين عادوا إلى الأرض المباركة. وبعد وصولهم بدأوا ببناء المذبح ووضع أسس الهيكل، ولكن واجهتهم مقاومة من السكان المحليين. وأدت حملة من الاتهامات والإشاعات إلى توقف العمل مؤقتاً، بينما كان النبيان حجي وزكريا يشجعان الشعب على المضي في المهمة. وأخيراً أصدر الملك داريوس أمراً باستئناف العمل دون أي عوائق.

بعض سفر عزرا/ العزير مكتوب بالآرامية، راجع فصل «نهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة» لقراءة الإصحاح 5 وقد بينت فيه قرينه من العربية الفصحى.

يعزى إلى العزير إعادة إظهار نسخة من العهد القديم كتبها بخط جديد هو الآرامي القديم (الذي بقي عليه السامريون) بعد أن كانت الكتابة الأصلية بخط المساند/الزبور على الأرجح. ويبدو أن كل النسخ المسندية/الزبورية بالحجاز قد تم إحراقها لأنه لم تظهر نسخ بهذا الخط إلا بالحبشة؛ ولا تحتوي إلا على الأسفار الخمسة مما يزيد الاحتمال أن من نقلها كان من أهل السامرة (الإشاعة أنهم كانوا من قبيلة دان) الذين

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

لا يعترفون بقدسية كل ما جاء بعد موسى (ع). إلا أنه يبدو بأن النسخة الحبشية قد تم العبث بها لاحقاً فتمت «ترجمة» الأسماء لتوافق المفهوم البيزنطي للجغرافيا.

وفي حوالي العام 458 ق.م. أرجع عزرا معظم من بقي من اليهود من بابل، مسلحاً بمرسوم ودعم من أرتخششتا الأول، وكانت مهمته إدارة شؤون البلاد. وعند وصوله علم بالزواج المختلط بين شعب الله وجيرانهم الوثنيين، فمزق ثوبه وشد شعره، وبكى وصلى لأجل الأمة ودعا قومه للتوبة والعودة إلى الجذور ونبذ ما اقترفوه بتفريق أنفسهم عن أزواجهم من الأغيار؛ وهو ما تم! وقد يكون لهذا الحدث صلة بما صار أصيلاً بعبادات الجزيرة العربية من شبه تحريم لزواج القبيليين من غير القبليات، وهو ما لا نرى له مثيلاً في الجدّة داخل المجتمعات الإسلامية الأخرى. وأدت همة العزيز (عزرا) إلى نهضة قومية (إنما مؤقتة) لأنه كان مثلاً يحتذى لليهود، وكان الله قد اختصه بقدرات ثلاث:

أولاً: مواهب أدبية باعتباره كاتباً كرّس نفسه للدراسة الدقيقة لكلمات الله.

ثانياً: فطرة ليتقبل شخصياً ويطيع الأوامر والنواهي التي اكتشفها بالنصوص.

ثالثاً: همة لتعليم الآخرين كلام الله وتطبيقه في الحياة.

واصل خدمته في أيام النبي نحميا، فالله استخدم الاثنين لبدء حركة روحية عمت الشعب بعد إعادة بناء الهيكل وسور المدينة، وهذه كانت آخر نهضة روحية في العهد القديم. ويرجح كثيرون أن يكون هو كاتب سفري أخبار الأيام الأول والثاني. ولفرط ما ترك من آثار إيجابية في ضمير الأمة اعتبروه أباً روحياً بل ابناً لله، وأحاطوا سيرته بهالة من القداسة إلى درجة أنه حتى في أيام النبي العربي محمد (ص) هالهم أن تستنكر الآيات كون العزيز هو ابن الله! ومن عصر العزيز يؤرخ القرآن لحقبة جديدة يبدأ معها الكلام عن «يهود» ويتوقف الكلام عن بني إسرائيل!

النبي الرابع: نحميا (وفي سفره تشابه كثير عما ورد بسفر عزرا)

كان نحميا نديماً للملك أرتخششتا الفارسي في بابل فتوسل إليه للسماح له بالعودة إلى عرش السلام (أورشليم). ولما وصل إليها، وجد المدينة خربة، وقد تهدمت أسوارها واقتلعت أبوابها، فجمع سكانها وأمرهم بإعادة بناء الأسوار وإصلاح الثغرات

والأثلام التي فيها. وعمل أبواباً جديدة، لكنه لقي معارضة شديدة من سنبلط الحوروني (لعل أصله من حوران ييشة) وطوبيا العبد العموني (غنم دوس) وجشم العربي (بني سعد)، إذ عارضوا إعادة بناء الأسوار والأبواب وهددوا بالزحف على المدينة. وعندما علم⁽¹⁾ سنبلط أننا قائمون ببناء السور امتلاً غضباً وغيظاً، وأخذ يسخر من اليهود، وتساءل أمام أقربائه وجيش السامرة: أي شيء يفعله هؤلاء اليهود الضعفاء. هل في وسعهم أن يعيدوا بناء السور. هل يعودون لتقريب الذبائح. هل يكملون البناء في يوم واحد. هل يحيون الحجارة من أكوام الركام (الحطيم) وهي محترقة. وكان طوبيا العموني واقفاً إلى جواره، فقال: إن ما بينونه إذا صعد عليه ثعلب فإنه يهدم حجارة سورهم.

وكان جشم العربي من أشد المعارضين لبناء السور وتحصين المدينة وذلك لأنه كان يرى في هذا العمل إعادة لدولة هودة ولتنصيب نحميا ملكاً على عرش السلام (أورشليم) وبالتالي مشروعاً جديداً قد يجر الولايات على البلاد والعباد. وجشم اسم من الأسماء العربية المعروفة، وهي من قبائل بني سعد. كان ذلك في حوالي العام 444 ق.م. ومن آخر الأسفار التوراتية في قسم النبييم (النبيين) (الأنبياء) سفر ملاخي الذي يعتقد بأنه كتب حوالي العام 430 وكاتبه غير معروف. وبعد ذلك نمر بحقبة طويلة من فتور الوحي تمتد ألف عام كاملة انتهت بمبعث سيد المرسلين (ص) الذي بشر به النبيون من موسى حتى عيسى ابن مريم (ع).

خلاصة: إن عودتهم من بابل كانت شبه تامة لأن هيرودوتس الذي أتى للشرق ومكث من 454 حتى 447 ق.م. متنقلاً من بلاد القبط لصور لبابل ودون تاريخ بلاد الرافدين لم يصادفهم هناك ولم يسمع عنهم أو عن تاريخهم أو كتبهم وديانتهم! كذلك لم يسمع عنهم لا بفلسطين ولا بمصر، ولم يترك لنا أي مسميات لبلدات أو أشخاص ورد ذكرهم بالعهد القديم. والجدير ذكره أن المنطقة الوحيدة التي لم يزرها ولم يكتب عن تاريخها كانت الجزيرة العربية؛ فلا بد أنهم كانوا هناك في عصره.

(1) سفر نحميا، الإصحاح 4، الجملة: 1.

من الهجرة إلى فلسطين حتى سقوط الهيكل الثاني (400 ق.م - 70 م)

ذكرنا أن سفر ملاخي كتب في حوالي العام 430 ق.م. وهذا تاريخ مهم ليس في ذاته بل لأنه آنذاك كنا قد دخلنا عصر التدوين التاريخي على يد من سمي بأبي التاريخ، ففي القرن الخامس قبل الميلاد جاء هيرودوتس (484 - 425 ق.م) وعاش في منطقتنا 7 سنوات وكتب مطولاً عن الفينيقيين وتاريخهم ومر بفلسطين قادماً من بلاد القبط حيث عاش فيها ودون عن لسان كهنة معبد آمون تاريخ مصر القديم المعروف لحقبة تمتد إلى ألفي سنة سابقة. ثم ذهب إلى بابل وأعاد الكرة بأن كتب عن حضارات سومر وأكاد وأثور وبابل وبداية الدولة الفارسية الأولى (الإخمينية) في زمن كانت بابل أعظم مدن الأرض قاطبة. والعجيب أنه مع وجود التوراة مدونة بأيامه لم يأت بتاتاً على ذكر اليهود أو الإسرائيليين أو كتبهم المعروفة، فمن الواضح أنه لم يقابلهم لا ببابل ولا بفلسطين ولا بمصر! وهذا يرجح أن أكثريتهم كانت قد عادت بالفعل إلى الحجاز! والتاريخ سجل عودة آخر المسيبين على يد عزرا حوالي 458 ق.م.، بينما إقامة هيرودوتس في المنطقة كانت بين 454 و447 ق.م.

ذكر هيرودوتس بأن الفينيقيين جاؤوا من سواحل البحر الأحمر وتكلم عن السبثيين وتجارتهم وأورد تفاصيل مملة عن أحلام ملوك مصر وفارس؛ لكنه لم يذكر لنا شيئاً عن مملكة داود وسليمان؛ علماً أن كل التفاصيل كانت جاهزة ومدونة، وكانت المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط التي لم يزرها: جزيرة العرب. ومما لا شك فيه أن اليهود وقتذاك كانوا في أضعف فترة من تاريخهم؛ تاريخ العودة إلى الحجاز وعدم

تقبلهم من جيرانهم والضياع، ولم تكن لهم أية أهمية أو دور على صعيد المسرح الدولي في تلك الحقبة إلى درجة أن شخصاً مثل هيرودوتس لم يسمع ولم يقابل أحداً من علمائهم، بل ولم يطلع على كتبهم ومدوناتهم لأنه لو فعل لوجد فيها معيناً خصباً ومشوقاً وجاهزاً من تاريخ وتطور الوعي والفكر الإنساني. ومن غير المعقول أن يكون قد تعمّد إغفال أخبارهم وهو المشهود له بالموضوعية العلمية.

كيف انتهى التاريخ اليهودي ببلاد الحجاز وكيف بدأ في فلسطين؟

لعل أولى هجرات بني إسرائيل إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً إلى فلسطين، كان مردّها إلى الحروب التي نشأت بين ملوك هوذة وملوك إسرائيل⁽¹⁾ والتي ابتدأت بعد وفاة سليمان (ع). ولا بد أن مثل هذه الهجرات تعززت بالغزوات المتوالية التي شنّها ملوك أثور ثم ملوك بابل على غرب شبه الجزيرة العربية بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد. ففي العام 721 قبل الميلاد قام الملك الآثوري سرجون الثاني بتصفية مملكة إسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية واحتل عاصمتها وهي السامرة أو سمران؛ وهي اليوم عسّفان، واستاق الأعيان من سكانها أسرى إلى نينوى. واستمر حكام بلاد ما بين النهرين يطلقون على منطقة غرب شبه الجزيرة العربية اسم سمران، فبعد سقوط السامرة باثني عشر قرناً نجد العاهل الساساني كسرى أنو شروان يسأل النعمان بن المنذر عن سيف بن ذي يزن القادم من اليمن قائلاً من هذا: أملك سمران؟ وقد أورد محقق كتاب التيجان في ملوك حمير⁽²⁾ بأنها وردت سمران بالشين في ثلاث نسخ وسمران بالسين في نسخة واحدة، وأتبع وهب ابن منبه - وهو حفيد التابعي المعروف وهب بن منبه - مفسراً معنى سمران بقوله: يعني العرب!

في العام 586 قبل الميلاد، قضى الملك البابلي نبوخذ نصر على مملكة اليهود، واقتاد الألوف من رعاياها إلى بابل، حيث وضعوا قيد الأسر. ذكر المؤرخون العرب القدماء، وعلى رأسهم الطبري⁽³⁾ والمسعودي أن بخت نصر (نبوخذ نصر أو نبوخذ

(1) التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، ص 39.

(2) كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه.

(3) تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية، الجزء الأول، ص: 291.

نصر) غزا الجزيرة العربية، ورووا قصص فتوحاته هناك. كان البابليون يسعون للمحافظة على سيطرتهم على غرب شبه الجزيرة العربية، وإلى استباق أية عودة قبطية إلى المنطقة (كتلك التي قام بها (نقي) نحو الثاني قبل ربع قرن)، إلى درجة أن نبونعيد الذي خلف نبوخذ نصر في ملك بابل نقل عاصمته من بابل نفسها إلى تيماء في شمال الحجاز؛ قادماً من طريق لم تكن معروفة سابقاً عبر دومة الجندل كما أكدت النقوش البابلية⁽¹⁾، وقضى معظم أيام ملكه هناك كما هو معروف. أما مصر التي ذكرت في كلمة واحدة على لوحة بابلية من العصر الكلداني بأن نبوخذ نصر دمرها، وعلى قول النبي حزقيال (ذوالكفل) لن تقوم لها قائمة، فربما كانت دولة مطرة أو مطيرة (Metera) في جنوب غربي إريتريا على مقربة من الحدود مع إثيوبيا اليوم؛ لأن أول غازٍ إمبراطوري احتل بلاد الأقباط كان الملك الفارسي قمبيز وذلك في العام 525 ق.م. ويزعم هيرودوتس أن فانس الذي خان سيده عاهل بلاد القبط؛ هرب منه وذهب خلسة إلى قمبيز يحثه على فتح بلاد القبط. وأشار على الملك بأن يستعين بالعرب ليساعدوه على اجتياز الصحراء. وكان الملك يفكر في الصعوبات التي ستعرض جيوشه في قطع سيناء، ومن أهمها قلة المياه. فلما اقتنع الملك قمبيز بصواب رأي فانس وصدقه أرسل رسولاً إلى ملك العرب ليتفاوض معه في الأمر، فوافق على تقديم المساعدات؛ وهياًوا قرباً كثيرة ملأوها بالماء، وحملوها على ظهور الجمال حيث قدموها إلى الفرس⁽²⁾. ولم يسجل هيرودوتس لنا علمه بأي غزو سابق كان لأرض القبط من ممالك بلاد الرافدين.

المهم أن وجوداً يهودياً قوياً لم يبق في فلسطين إلا بعد مغادرة هيرودوتس للمنطقة حوالي عام 447 ق.م. وقبل وصول الإسكندر في الثالث الأخير من القرن 4 ق.م بعد أن ساءت أحوالهم في غرب شبه الجزيرة العربية بزوال الحماية الإخمينية للأقليات فيها. ويات اليهود بفلسطين يتوسمون الخير والأمل في أراض جديدة مزدهرة، وبدأنا نسمع عن «بنت صهيون» و«بنت اورشليم» في فلسطين بدلاً من «ضن» و«عرش

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج 1، ص: 611.

(2) The History of Herodotus. G. Rowlinson p: 211, 213

السلام» القديمتين في غرب شبه الجزيرة العربية، وما من عالم قديم بائس إلا يتوسم الخير في عالم جديد يعقد حوله الآمال. وما زال الناس حتى العصور الحديثة على هذه السّنة فنراهم عند هجرتهم من العالم القديم بأوروبا إلى العالم الجديد يسمّون نيويورك ونيوهامشاير ونيو أورليانز لتعني يورك الجديدة وهامشاير الجديدة وأورليانز الجديدة تيمناً بأسماء المدن القديمة التي تركوها خلفهم عند هجرتهم إلى أمريكا الشمالية.

كان قيام الدولة الإخمينية قد جلب خيراً على اليهود في بابل بالسماح لهم بالعودة وإعادة إعمار الهيكل في عرش السلام (أورشليم) إلا أن احتلال الإخمينيين لمصر أيام قمبيز وتوحيدهم للشرق الأوسط في إمبراطورية واحدة وإنشاءهم لطرق رئيسية محروسة لربط الأقاليم، وقيام أردشير الإخميني بشق قناة تربط ما بين النيل والبحر الأحمر حوّلت طرق التجارة العالمية من جنوب الجزيرة العربية على سواحل بحر العرب في ريسوت وعدن عبر قوافل الجمال لسواحل البحر الأبيض المتوسط بالشمال إلى شواطئ الخليج العربي ومنها إلى بلاد ما بين النهرين وعبر الهلال الخصيب للسواحل الشمالية للمتوسط، وعبر البحر الأحمر إلى مصر. وهكذا وُجّهت ضربات قاضية لتجارة شبه الجزيرة التي كانت تشكل العمود الفقري لحياة الإسرائيليين ومجتمعات قديمة أخرى في غرب شبه الجزيرة العربية كانت قوافل الجمال تمر بها.

ذكرنا عودة الآلاف (قل 43 ألفاً) من أبناء الأسرى الإسرائيليين من العراق مع عائلاتهم إلى غرب الجزيرة العربية تحت قيادة العزيز عام 458 ق.م. وفي نيتهم إعادة بناء مجتمعهم هناك. لكن سرعان ما خابت آمال هؤلاء، إذ وجدوا كل ما حولهم خراباً وقفراً. وأما ما تلا ذلك فلا يمكن تصوّره إلا بالتكهن، لأن الرواية التاريخية للعهد القديم تتلاشى وتنتهي عند هذه النقطة، وينتهي معها تاريخ بني إسرائيل الذين بادوا من الوجود ككيان سياسي بعدما أخفقوا في إعادة بناء وطنهم الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية. أما اليهودية كدين فاستمرت في وجودها هناك وفي اليمن أيضاً حتى العصور الحديثة. واستمرت أيضاً في مناطق أخرى خارج شبه الجزيرة كالعراق وفلسطين وبلاد القبط وغيرها. ويحتمل أن يكون معظم الاسرائيليين

العائدين بالمرحلة الإخمينية إلى شبه الجزيرة العربية قد عاد بعضهم ثانية إلى بلاد فارس والعراق، أو تفرقوا في أماكن أخرى. ومن ذلك الوقت فصاعداً، وحتى تدمير الرومان لهيكل أورشليم الفلسطيني في العام 70 للميلاد، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين، بل وصارت لهم قبله جديدة هي بيت المقدس بالتعبير التلمودي والمسجد الأقصى بالتعبير القرآني. وقبل أن يمر وقت طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت غياهب النسيان. وأكثر من بقي تحول إلى الكفر والعياذ بالله؛ وغير من اسمه أو انتسب بمرور الوقت إلى القوي ممن حوله من القبائل طلباً للحماية. ويجب البحث فيما إذا صارت هوازن وأفرم صار سليم والفران والشاهر جهينة وأفتل غطفان، وربما هوزة أوجدت اسماً يغطي الفترة السابقة من التاريخ فاختارت جرهم وهو من الجيل الرابع ليحمل عبء التاريخ بحلوه ومره ثم ربما هذيل! وربما حدث الشيء نفسه مع اللاويين وريان. وقد تنير نتائج الأحماض النووية الطريق لإعادة اكتشاف ما حدث من سبيل انتساب أقوام إلى قبائل أخرى طلباً للحماية والبقاء.

ومع تدهور الحياة الاقتصادية في جنوب الجزيرة العربية بسبب تحول طرق التجارة، ثم مع ضعف الحياة الزراعية وخصوصاً مع ازدياد التصحر بدأت موجات متتابعة من قبائل الجزيرة العربية ومن القبائل الرعوية بالهجرة إلى بلاد الشام والعراق، ومعها بدأت لهجات سامية تدعى العربية (وهي تكاد تكون متطابقة مع لهجة كنانة الحجازية) تتنافس مع اللغة الآرامية (وهي اللهجة القديمة لشرق الجزيرة وشمالها) بأقاليم مختلفة من الشرق الأدنى⁽¹⁾؛ حيث كانت الأخيرة اللغة الرسمية للمنطقة من زمن الدولة الإخمينية. ومع بداية القرون الأولى من العصر المسيحي كانت اللغة العربية - وهي أصلاً لغة القبائل الرعوية للبادية الشامية - قد بدأت تحل فعلياً مكان اللغة الآرامية في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكذلك في أجزاء من العراق والشام، تاركة فقط جيوباً صغيرة من المتكلمين بالآرامية في هاتين المنطقتين الأخيرتين مع حلول القرن السابع أو الثامن للميلاد.

(1) التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، ص 44.

ومع الهجرات اليهودية المبكرة إلى أراضٍ تتكلم لهجات أو لغات مغايرة صار موتٌ للعبرية التوراتية (شفة كنانة) كلغة محكية بين الجاليات اليهودية المشردة، وأصبحت قراءة الكتب اليهودية مشكلة، وبقيت كذلك منذ ذاك الحين. واللغة العبرية، مثلها مثل كل اللغات السامية، كانت تكتب بأحرف ساكنة لا بد من إضافة إشارات صوتية ملائمة إليها، أو تشديد الأحرف حيث يتطلب ذلك المعنى الصحيح أو المفترض. وبدءاً من المرحلة اليونانية، بدأ اليهود الفلسطينيون والبابليون، الذين لم يعرفوا كيف كانت اللغة العبرية لكتبهم المقدسة تلفظ بالأصل يصوغون الإشارات الصوتية المضافة إليها على الأساس الآرامي، اللغة التي كانوا بها يتكلمون. وكانت نصوص كتبهم المقدسة مليئة بأسماء أماكن لم يكونوا يعرفونها لأنها كانت خاصة بأماكن ومواقع في غرب شبه الجزيرة العربية؛ حيث كان اليهود قد شهدوا منذ حوالي 500 ق. م. تراجعاً في أحوالهم المعيشية إلى حد كان من الصعب معه العثور فيما بينهم على علماء متفرغين لديهم القدرة على ضبط القراءة الجغرافية لأبناء دينهم الفلسطينيين والبابليين. وأكثر من ذلك، فإن يهود غرب شبه الجزيرة العربية استمروا في عيشهم كيهود من الناحية الدينية فقط، وليس كإسرائيليين من الناحيتين القبلية والسياسية. ولا شك في أنهم حافظوا على بعض من ذكرى ماضيهم هناك؛ لاسيما لجهة التشدد بمنع زواجهم من غير قبائل الأسباط، وهو ما استمرت عليه معظم القبائل حتى اليوم.

وبحسب ما ذكره الرحالة الذين زاروا المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان هناك اعتقاد محلي بأن أرض الأنبياء التوراتيين هناك، وبأن اليهود سكنوا في جبال الحجاز، وأنهم كانوا أول من استأنس الجمل.

وعلى الصعيد السياسي أدى الضعف التدريجي الذي أصاب الأمبراطورية الإخمينية؛ والذي بدا ظاهراً مع بدايات القرن الرابع ق. م. إلى نشوء كيانات جديدة، وتشتت يهود شبه الجزيرة بين كائنات محلية جديدة. كما فقدوا شعورهم بالانتماء الخاص كشعب واحد إذ لم يعد هناك ما يجمع شملهم سياسياً. وبدا الاتصال بينهم وبين يهود الخارج ضئيلاً إلى حد أنه لم يعد بإمكانهم أن ينقلوا إليهم بشكل فعال ما كانوا بعد على علم به. وعندما بدأ اليهود الفلسطينيون والبابليون بضبط نصوص التوراة

العبرية بالاشارات الصوتية ابتداءً من القرن السادس للميلاد كانت قد مرت قرون عديدة على الزمن التي كانت فيه لهجة كنانة متداولة فيما بينهم، وكانت أصول اليهودية في غرب الجزيرة العربية نفسها قد دخلت منذ زمن طويل طي النسيان بسبب تخلي من بقي منهم عن عقيدته.

وبالمفارقة مع أحوال اليهود المطبوعة بالتشتت والضياع بغرب الجزيرة العربية اتخذت التطورات في فلسطين مساراً مختلفاً. ففي سنة 330 ق.م. رسمت فتوحات الإسكندر الأكبر نهاية الأمبراطورية الفارسية، واحتل كامل أراضيها لكن القدر عجل في موته قبل أن يمد ظل دولته إلى الجزيرة ففقدت الأقليات الدينية الحماية الأمبراطورية الكافلة لحرية المعتقدات. وبعد موته قسم قادة جيشه أمبراطوريته قسمين: واحدة كانت أمبراطورية البطالسة وكان مركزها في بلاد القبط، وعاصمتها الإسكندرية، والأخرى الأمبراطورية السلوقية التي امتدت من الهند إلى الشام، وكانت عاصمتها أنطاكية. ولم يكن لدى أي من هاتين الامبراطوريتين أي اهتمامات بشبه الجزيرة العربية لفقدان أهميتها السابقة كوسيط في التجارة العالمية، وهو ما زاد الشقة على يهود الجزيرة العربية الذين تعرضوا للقهر والاضطهاد بسبب عدم نسيان الجميع أنهم كانوا السبب وراء الغزوين الآثوري والكلداني والإجلاء القسري للسكان إلى نينوى وبابل.

كانت السيطرة على فلسطين في البداية موضوع نزاع بين البطالسة والسلوقيين، قبل أن يحسم الأمر لمصلحة الأخيرين وتصبح فلسطين خاضعة لحكمهم. لكن البطالمة لم يتخلوا، مبدئياً، عن الأمل باستعادة السيطرة أو النفوذ على فلسطين. وقاموا بالقرن الثالث ق.م بترجمة النصوص العبرية إلى اليونانية بما عرف بالسبعينية لضم الكتاب إلى مكتبة الإسكندرية. وخلال القرن الثاني قبل الميلاد اغتسم اليهود الفلسطينيون فرصة استمرار النزاع على بلادهم فقاموا بثورة ناجحة (بدأت عام 167 ق.م.) وتمكنوا من انتزاع استقلالهم من الحكم السلوقي في سنة 142 أو 141 ق.م. وتمكن قادة هذه الثورة اليهودية، الذين كانوا يتمون إلى هاشميين أي مقدسين لاسم الإله الأعظم (الحشمونيين بالتحريف) من الكهنة أن يسيطروا على اورشليم الفلسطينية. وفي أعقاب سلسلة من الانتصارات العسكرية تمكنوا أيضاً من توسيع

رقعة الأراضي اليهودية بحيث تضم كامل أرض فلسطين والأجزاء الجنوبية من الجليل شمالاً، بالإضافة إلى مرتفعات شرقي الأردن والبحر الميت، واعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لإسرائيل القديمة، واستمرت مملكتهم حتى مجيء الرومان. في هذه الفترة بدأ يغلب تفسير الجغرافيا التوراتية على أن أرض كنعان هي فلسطين ومصر هي بلاد القبط وآرام هي سوريا. وفي سنة 37 ق. م. أعاد مجلس الشيوخ الروماني تنظيم أراضيهم السابقة جاعلاً إياها مملكة يهودية تابعة لروما، ونصّب عليها حريد (هيرودوس) الأدومي / العدناني (توفي سنة 4 ق. م.) ملكاً. وقام هيرودس هذا بتشييد هيكل عظيم في أورشليم الفلسطينية؛ هو الذي تم تدميره فيما بعد عندما خرّب تايئوس الروماني المدينة وشتت سكانها وسكان جوارها من اليهود في سنة 70 بعد الميلاد.

وفي القرن الثاني الميلادي، سنة 136، قام بن كوكبة أحد نماذج الصهيونية القديمة، بثورة مسلحة ضد الرومان، وسجّل عليهم رغم جيشهم الإمبراطوري الجرار انتصارات براقّة في البداية لكن الإمبراطور الروماني إيليو س هدریان قام آخر الأمر بإتمام ما بدأه تيتوس، فحاصر ما كان بقي من القدس، وهدم كل شيء في المدينة، ولم يترك فيها يهودياً واحداً، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله مماثلاً للقاء في معبد الكابيتول. ثم قرر تغيير كل شيء في المدينة، حتى اسمها الذي أصبح مكوناً من اسمه هو واسم الكابيتول معبد جوبيتر الكبير؛ فسماها «إيليا كابيتولينا» ومنع اليهود من دخولها، وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك. ثم سمح لهم بالمجيء إليها يوماً واحداً في السنة للوقوف على جدار بقي قائماً من السور في الجزء الغربي من المدينة؛ وهو الذي يسمّى حائط المبكى ويسميه اليهود «الجدار الغربي». وظل حظر السكن بالقدس قائماً على اليهود قروناً طويلة. ذكر ذلك يوزيوس، المؤرخ المسيحي الذي زار «إيليا» القدس في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، كما ذكره اليهود أنفسهم في تفاسيرهم القديمة «المدراش».

القبلة: ولموقع الهيكل الثاني قداسة ليس عند اليهود والمسيحيين فحسب بل عند المسلمين أيضاً باعتباره أولى القبلتين التي توجه المسلمون إليها بصلاتهم التي

من الهجرة إلى فلسطين حتى سقوط الهيكل الثاني (400 ق.م - 70 م)

فرضت عليهم يوم الإسراء والمعراج؛ وقبل أن تُحوَّل القبلة إلى مكة المكرمة بالسنة الثانية للهجرة أي عام 623 م عندما نزلت سورة البقرة:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

وما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ص) قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى. وفي لفظ آخر: إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي هذا، ومسجد ايلياء. وقد ذكر المسجد الأقصى (وهو الهيكل الثاني أو بيت المقدس بالتسمية التلمودية) في القرآن الكريم بسورة الإسراء (التي تعرف أيضاً بسورة بني إسرائيل):

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ • وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا • ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا • وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا • فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا • ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا • إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا • عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾⁽²⁾.

ومنذ إنشاء الهيكل الثاني ولاحقاً صارت للجالية اليهودية بفلسطين ومدارس طبريا القوامه الدينية والثقافية لا سيما مع القبلة الجديدة التي نعلم بأنه لم يتقبلها يسوع من كلامه للمرأة السامرية؛ فقد أخبرها بأن القبلة الحقيقية ستظهر لاحقاً؛ وهو ما تم بالفعل

(1) سورة البقرة، الآية: 144.

(2) سورة الإسراء، الآيات: 1 - 8.

بعد الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة المنورة. ويعتقد بعضهم بأن يسوع الناصري كان من فئة الأسينيين (النذيريين، الذين يرى د. صليبي بأنهم النصارى) الصوفية التي كانت على خلاف مع الصدوقيين (الربانيين التوراتيين الرسميين) الذين لا يؤمنون بالبعث ويوم الدينونة لخلو النصوص التوراتية من الإشارة إليهما والفريسيين (المفروزين) (الأخبار الذين يتبعون سنن موسى الشفوية). والأسينيون قرييون جداً للصابئة الذين كانوا يؤمنون بإله واحد ويغتسلون يومياً ويتوجهون إلى القبلة المكية في صلاتهم ويستعملون المزامير ككتاب أدعية كما ذكر السدي⁽¹⁾ عنهم.

كما رأينا فإن الوعد الأول لبني إسرائيل كان في غرب الجزيرة العربية حيث جاس الأثوريون والكلدانيون ديار مملكتي إسرائيل وهوذة، أما وعد الآخرة فقد تم في فلسطين بعد أن تجمع فيها يهود الشتات من العراق وغرب شبه الجزيرة العربية ومصر، وبها كان نجاحهم الأكبر في الفترة الهلينية - الرومانية على الصعيد السياسي. وكان الدخول الأول للإغريق في زمن الأمبراطور السلوقي أنطيوخس، والتبشير على يد تايئوس كما أسلفنا:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾⁽²⁾.

كذلك جاء في سورة الاسراء: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾⁽³⁾. وهو عندما يذكرهم بما حل بهم عندما أساءوا: ﴿لَيْسُوا إِلَّا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾⁽⁴⁾ فإنه يذكرهم برحمة الله الموجودة، ولكنه يعود ليحذرهم من المستقبل إذ أنهم إن عادوا للفساد والإساءة في الأرض فإن العاقبة المحتومة ستكون عليهم وسيعيد التاريخ نفسه كرة أخرى. وعندما نزلت الآيات على سيدنا محمد (ص) لم يكن في إيلياء بناء معروف بالمسجد الأقصى، ولا بناء آخر معروف

(1) تفسير السدي الكبير، إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، المكتبة الوقفية للكتب المصورة.

(2) سورة الإسراء، الآية: 6.

(3) سورة الإسراء، الآية: 104.

(4) سورة الإسراء، الآية: 7.

بمسجد الصخرة المشرفة، ولا سائر الأبنية المنتشرة في مساحة المسجد الأقصى، ولذلك فإن أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب (ر) حين جاء إلى القدس عام الفتح سنة 15 هجرية (637 ميلادية) استشار كعب الأحبار (وكان من قبل يهودياً فأسلم): أين يقع المسجد؟ فقال له كعب اجعله وراء الصخرة. فقال له: ضاهيت اليهودية يا كعب. بل نجعله صدر المسجد (الصخرة)، وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها. وكان الروم قد جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبله اليهود، وعليها خرائب معبد جوبيتر الوثني الذي هدم بعدما دخلت روما في المسيحية.

ثم بنى عبد الملك بن مروان المسجدين المعروفين بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى، وبذلك فإن إطلاق اسم المسجد الأقصى على المسجد المعروف الآن هو اصطلاح حادث، وإن جميع المؤرخين والعلماء أطلقوا المسجد الأقصى على ما دار عليه السور وفيه الأبواب، وهو الذي كان معروفاً عند الاسراء والمعراج. وبغض النظر عما كان الاسم الأصلي لأورشليم الفلسطينية في الحقيقة فمن المؤكد أنه قد تم الاعتراف بها كأورشليم داود وسليمان الأصلية في أيام الحشمونيين/الهاشميين، إن لم يكن في وقت أبكر. وفي ذلك الوقت كان قد تم أيضاً اعتبار فلسطين بأنها هي الأرض الأصلية لشعب إسرائيل البائد وللتوراة العبرية. وبات كل المسرح الجغرافي للروايات التاريخية للتوراة يفهم على أنه يضم بشكل رئيسي بلاد الشرق الأدنى الشمالية (العراق والشام وبلاد القبط) وليس غرب شبه الجزيرة العربية والحبشة. وبداية ذلك كان من زمن ما يسمى بالـ «سبتواجينت»، أو السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للكتب المقدسة اليهودية التي تمت في العصر الهليني بإسكندرية القرن 3 ق.م بطلب من الملك بطليموس، حيث وردت الأسماء الطبوغرافية لغرب شبه الجزيرة العربية، مثل كسديم ونهرهم وفرت ومصرهم، ثم أعطيت لاحقاً تفسيرات على أنها على التوالي: كلدانيون وما بين النهرين والفرات وبلاد القبط. وفي كتابات فلافيوس يوسفوس نرى أن التطابق بين الرواية التوراتية وأرض فلسطين كان قد أصبح أمراً مفروغاً منه ومن المسلمات، فنراه يساوي مثلاً بين بيت شان التوراتية وبلدة (Scythopolis) الهلينية بشمال الضفة الغربية التي تعرف اليوم ببيسان. وعلى خطى يوسفوس سار مؤرخ الكنيسة المسيحية يوزيبيوس (المولود في قيصرية والمتوفى عام 340 م.) وهو المعاصر للإمبراطور

الروماني قسطنطين الكبير، فقد أعطى أسماء توراتية لأماكن كانت لها مسميات مختلفة تماماً ووضعها في كتاب (Topica) (مختصر لاسم الكتاب الذي يدور على أسماء الأماكن في النصوص المقدسة) والذي ترجم بتصريف إلى اللاتينية على يد جيروم في العام 420م والذي جعله على ترتيب المعاجم من حيث التسلسل الأبجدي فأضحى الأصل الذي دارت عليه الجغرافيا التوراتية الحديثة. وجاءت أهمية الكتاب الأول في وقت كانت الأمبراطورية الرومانية تجنح نحو اعتناق المسيحية، فكانت خير معين للحجاج الذين، على غرار هيلينا والدة الامبراطور، أرادوا زيارة الأماكن المقدسة والتبرك فيها.

الرواية العربية والدور العدناني

العدنانيون

عدنان هو جد العرب العدنانية المشترك بحسب الإرث الثقافي لدى النسابة والإخباريين مثل ابن إسحق وابن الكلبي، عدا عن ذلك تشح الإشارات إليه في المؤلفات أو الشعر أو في الآثار أو النصوص الدينية القديمة. ويرجع النسابون نبي الله محمد بن عبد الله (ص) إلى عدنان ويزعمون بأنه الجد العشرون له.

اتفق النسابون على أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم (ع) ولكن اختلفوا في عدد الأجداد بين عدنان وإسماعيل⁽¹⁾ بحيث أوصلها بعضهم إلى أربعين جداً! واختلافهم في سلسلة نسبه لإسماعيل كان على عدة أقوال:

(أ) الأطول فيها:

عدنان بن أدد بن هميسع بن هميتع بن سلامان (نبيت) بن عوص بن بوز بن شوحا ابن قموال (وكان بعصر سليمان بن داود) بن كسدانا بن حرانا بن بلداسا بن بدلانا (يدلاف أو رائمة) بن طهبا بن جهمي (جاحم وهو علة) بن تاحش بن ماخي بن عبقر ابن الدعا بن حمدان بن بشماني بن بثراني بن بحراني بن بلحاني بن رعوي بن عاقر ابن داسان بن القادور بن النبيت بن إيامة بن دوس بن مقصر بن زارح بن سمي بن مзира بن جعثم بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام).

(1) البداية والنهاية ج2، خبر عدنان جد عرب الحجاز.

(ب) الأقصر فيها:

عدنان بن أدد بن الهميسع بن أسحب بن نبت بن قيذار بن إسماعيل (ع).
لم يتكلم القرآن عن عدنان ولا عن ذرية إسماعيل (ع)، لكن ورد عن نبي الله محمد (ص) أنه كان يكره الخوض في نسب ما فوق معد العدناني وقوله في الموضوع: كذب النسابون! كما ورد عن أم المؤمنين عائشة (ر)؛ وهي كأبيها أبي بكر الصديق (ر) من نسابة العرب قولها: استقام النسب لمعد بن عدنان! فكان عدنان وهو الجد البارز بالأنساب الأكثر جدلاً! فهل من احتمالات حول نسبه في ضوء النصوص التوراتية؟ يتضح من مراجعة النسب الأطول أعلاه لكل عالم بالأنساب التوراتية بأن واضعها لم يتورع عن صفحة لم يقتبس منها: من سلاسل ذريات آدم ونوح وإبراهيم وقومه الإرميين وذرية إسماعيل (ع)؛ لكن أكثر اقتباساته كانت من ذرية العيص أو أدوم بن إسحق بن إبراهيم (ع) الواردة بسفر التكوين 36!

ملخص سيرة العيص/أدوم/ وذريته بالتوراة

بتكوين 25 الجملة 25:

رزق إسحق (ع) بابنين توأمين: بكره (ع ش و) (يلفظونه عيسو بالتحريف اللفظي للإسم) وسمي كذلك لأنه كان كثيف الشعر عند ولادته؛ ويسمى بالأدبيات العربية العيص وهو لغة النبات الكثيف! ثم أعقبه أخوه الذي سمي بيعقوب (ع). ونشأ الأول صياداً والثاني مزارعاً؛ وفي يوم أتى العيص وكان خائر القوى من الجوع فطلب من أخيه يعقوب أن يطعمه من طبيخ يصنعه قائلاً: أطعمني من الأدام الأدم هذا (العدان العدن بمعنى نعيم جنة عدن) لأنني جائع جداً فطلب منه أن يتنازل له عن حق البكورية! ففعل لكنه حقد على أخيه الذي عاد فخدع أباه ليدعو له بالبركة موهماً إياه بأنه العيص ابنه البكر! فزادت نقمة أخيه عليه وأضمر له شراً. وعلمت أمه ربة التي كانت تحابي يعقوب بالأمر فنصحت يعقوب بالمغادرة لعند خاله بخيران - السليل بوادي الدواسر (وهو من نجد كإقليمي الأفلاج واليمامة) ريثما تهدأ سورة أخيه؛ ففعل لكنه مكث عنده بضعة عشر عاماً وعاد مع نسائه وأولاده وإمائه وماشية كثيرة، أهدى منها لأخيه عند رجوعه نصيباً ظناً منه أنه يسترضيه، لكن العداوة بقيت ناراً تحت الرماد يتوارثها الأبناء. وكما ذكرنا (ص 114) فأرض أبناء العيص كانت بلاد الإحجور في سرة عسير.

وكانت قصة يوسف (ع) وذهابه إلى مصر ثم استدعائه لأبيه وإخوته للإقامة بأرض اكسوم بإذن ملك مصر (الحبشة) الذي كان مركز حكمه بمطرة المجاورة. ثم عاد بهم موسى بعد 4 قرون إلى تهامة حيث مكثوا بالتيه (تهامة عسير وحجر) 40 عاماً، ولما أرادوا عبور السراة رفض إخوانهم من أبناء أدوم/عدنان السماح لهم بالمرور عبر بلاد الحجر فاضطروا للعبور عبر أراضي منهب دوس ببلاد زهران؛ وهناك كان قتال مع سيحان ملك بني عمرو ثم مع وج ملك الطائف قبل دخولهم الأرض المباركة وهي أم القرى وما حولها عن طريق السيل الكبير. وكانت أيام الرضا مع القضاة الذين حكموا بشرع الله حتى عهد الملكية مع شاول/طالوت.

وبقيت العداوة، وصارت حرب بين الأدوميين/العدنانيين وداود (ع)، وكان قاسياً جداً معهم فأخضعهم وقتل منهم الكثيرين. ولم ينسوا الإساءة، فبعد قرون سنحت لهم فرصة قدوم الغازي نبوخذ نصر فتصدوا له بداية ثم صالحوه؛ ربما نكاية ببني يعقوب، بل أورد النبي أرميا أنهم أعانوه! ولا نعود نسمع عنهم بالنصوص حتى عصر (المكابيين) المكيين فنجد بأن الملك حريد الأدومي كان الحاكم على هودة الفلسطينية إبان حكم الرومان على فلسطين وقام بإعادة إعمار المسجد الأقصى بيت المقدس على أكمل وجه بما عرف بالهيكل الثاني والذي بقي حتى دمره تاي توس القائد الروماني بالسنة (70 م.)، وقد أورد آريه كاشر⁽¹⁾ معلومة عن الأدوميين بفلسطين أنهم كانوا مختونين؛ تأكيداً على تراثهم الإبراهيمي.

ذرية العيص

جاء بالتوراة⁽²⁾ أن العيص/أدوم تزوج ابنتين من بنات كنانة:

- 1 - عائذة ابنة عيلان الحوتي فأنجبت له الفايز.
- 2 - اهلية بنت غني بن صبعان (صعب) وهو من الحافيين فأنجبت له: عياش وعلام وقارح؛ فلما رأى امتعاض أبويه لزواجه من كنانيات عاد فتزوج من:
- 3 - بشامة ابنة إسماعيل (ع) وكانت شقيقة نبت؛ فأنجبت له رغال.

(1) Jews, Idumeans, and ancient Arabs, Aryeh Kasher

(2) سفر التكوين، الإصحاح 36، الجملة: 2.

لكنه ظل يشعر بأن أبويه يفضلان أخاه يعقوب (ع) عليه فقرر الهجرة بعيداً عن الجميع؛ فكانت وجهته السراة موطن عسير الحجري بين الباحة وأبها.

ومن ذرية الفايز كان: تيم وعمرو وصفي وخثعم وقنعز. وسرية الفايز تمنية أنجبت له عمليق.

ومن ذرية رغال كان: نخعة وزارح وشيما ومزة.

ويذكر النص أسماء ذرية عسير الحجري أيضاً؛ والذين تغلب عليهم أبناء العيص / أدوم وهجروا بعضهم: لوطان وتمنة وباسل وصعب وغني ودوس وأعصر وديش وحجر وأمامة وغيلان ومناخة وعبل وسيف وأونام وآية وغني، وحمدان وعشبان ووتران وقرن، وباهلة ورغوان وعقان وعايض وأدمة.

ومن أسماء ملوك السراة بالألفية الثانية نجد:

بالغ بن بعير، أيوب بن زارح، حسان التيماني، هدد بن بدد (ربما تكون القراءة الصحيحة لهدد: أدد أو حداد أو أزد لأن معنى الاسم الشجاع)، ثمالة، شلية، الحنان ابن عبقر، هدد آخر، وغيرهم. والملاحظ أن كثيراً من هذه الأسماء التوراتية معروفة جداً بكتب الأنساب العربية؛ وغالبيتها من منطقة السراة.

بالنسبة إلى ديانتهم يبدو أن الأدوميين / العدنانيين استمروا على الحنيفية دين أبيهم إبراهيم (ع) لكن الاصطلاح التوراتي المستعمل للحنفاء أنهم كانوا إسماعيليين، ولا تنسب النصوص أية آلهة أخرى لهم.

زمن معد العدناني

يذكر الطبري⁽¹⁾ بأن عدنان تصدى لبختنصر بمقدمه إلى الحجاز عند ذات عرق لكنه هُزِمَ، فعاد وجمع أكثر العرب من منطقة عربية (غرابة الطائف) إلى حضور وهي وادي الأخيضر تنمة وادي العرج بالطائف فأقام لهم بختنصر (المُعسكر قرب بركة العقيق) كميناً حصدتهم فيه سيوفه فنادوا بالويل؛ وفيهم نزلت:

(1) تاريخ الرسل والملوك، الطبري.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ • فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ • لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ • قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ • فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١﴾.

في قصة الطبري (والمسعودي) العربية عن معد وعدنان ونبوخذ نصر هناك تقاطع لذكر النبي أرميا وكاتبه برخيا (بريك) مع الرواية التوراتية. وسفر أرميا ومراثيه تعتبر مفاتيح تنير لنا الكثير من تاريخ الجزيرة القديم؛ بل وتاريخ المنطقة! فمن يقرأ سفر أرميا يخال له أنه يسمع نبياً أرسل إلى جزيرة العرب وليس إلى أي مكان آخر. وقد تقدمت سيرته بفصل المملكة الجنوبية من هذا الكتاب، لكن ما يهمنا هنا ذكره من قبل أهل الأخبار العرب في معلومات لم ترد عند أهل الكتاب! نقل الطبري عن هشام بن محمد عن الشرقي: أن النبي أرميا جاءه وحي نقله هو لكاتبه برخيا⁽²⁾: أن انت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، فيطأ بلادهم بالجنود، ويقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم، وأعلمه كفرهم بي، واتخاذهم الآلهة دوني، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي. قال: فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل وأخبره بما أوحى الله وقص عليه ما أمره به، وذلك في زمن معد بن عدنان. قال: فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات، ويمتارون من عنده الحب والتمر والثياب وغيرها. فجمع من ظفر به منهم، فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة، ثم نادى في الناس بالغزو، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين، فاستشار بختنصر فيهم برخيا، فقال إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه، فأقبل منهم، فأحسن إليهم. قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات، فابتنوا موضع عسكريهم بعد، فسموه الأنبار. قال: وخلقى عن أهل الحيرة، فاتخذوها منزلاً حياة بختنصر، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار، وبقي ذلك الحير خراباً.

(1) سورة الأنبياء، الآيات: 11 - 15.

(2) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج 1، ص: 351.

أما عن غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فقد أورد الطبري⁽¹⁾ أن معد بن عدنان لما ولد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكريا!⁽²⁾ وعدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه، وعدا أهل حضورا على نبيهم فقتلوه، فلما اجترأوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن؛ فأمر بعض أنبيائه أن يأمرؤا بختنصر - بعد إخرابه المسجد الأقصى وانتسافه بني إسرائيل وإورادهم أرض بابل - أن يدخل أرض العرب فلا يستحيي فيها إنساناً ولا بهيمة، وأن يتسلف ذلك نسفاً فلا يبق لهم أثراً. وتترسل الرواية أن أرميا وبرخيا حملا معد بن عدنان إلى خارج منطقة الصراع حماية له فنشأ مع بني إسرائيل، وأن برخيا كتب له نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرميا، فحفظ نسب معد⁽³⁾. ثم إن عدنان التقى بختنصر بذات عرق، فهزم بختنصر عدنان، وسار في بلاد العرب، حتى قدم إلى حضور متبعاً عدنان؛ وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار عربية إلى حضور، فخندق الفريقان وضرب بختنصر كميناً، فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم، فندموا على ذنوبهم، فنادوا بالويل كما تقدم، ونهي عدنان عن بختنصر ونهي بختنصر عن عدنان. ورجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربية فألقاهم بالأنبار، فقبل أنبار العرب، وبذلك سميت الأنبار. ثم مات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً حياة بختنصر، فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان ومعه الأنبياء، أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها، فحج وحج الأنبياء معه، ثم سأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاخ الجرهمي فقبل: بقي جشم بن جلهمه، فتزوج معد ابنته معانة، فولدت له نزاراً. (انتهى كلام الطبري).

وطالما هناك ربط لقصة بختنصر بالعرب عموماً وعدنان وأرميا خصوصاً فإننا نستطيع استنباط تفاصيل بعض القصة من سفر أرميا، والاستدلال على جغرافية

(1) تاريخ الطبري، ج1، ص558.

(2) ومما قرأت أنه ورد عن ابن الكلبي أن معد العدناني كان أيضاً من المعاصرين لعيسى ابن مريم عليه السلام، ويجب التحقق من صدقية هذه الأخبار قبل استبعادها تماماً. كذلك رأى الدكتور كمال الصليبي في كتابه البحث عن يسوع أن عيسى ابن مريم الذي أرسل إلى بني إسرائيل كان في تلك الفترة وأنه غير الصالح يسوع الذي كان بفلسطين قبل 2000 عام، راجع أيضاً ص198 و199.

(3) البداية والنهاية، ج2، خبر عدنان جد عرب الحجاز.

بعض الأماكن المذكورة من التوراة نفسها. ذات عرق معروفة بأنها الميقات المكي لحجاج العراق، والرس بالقصيم معروفة، أما حضوراً⁽¹⁾ التي تنبأ عنها أرميا بأن تكون مسكن بنات آوى وخربة إلى الأبد، لا يسكن هناك إنسان ولا يجاور فيها ابن آدم، فكانت بحسب قراءتي للتوراة وادي الأخيضر وهو تنمة وادي العرج بالطائف، وعربة التوراتية هي غرابة الطائف. والمسجد لم يكن بيت المقدس الفلسطيني الذي أنشئ لاحقاً بل الهيكل الذي أنشأ سليمان (ع) بمكة!

فعندما نتكلم عن الرس وحضور والغرابة وذات عرق والمسجد فإننا نتكلم عن حملة واحدة لنبوخذ نصر كان مسرحها الجزيرة العربية من نجدها حتى تهامتها، كان من نتيجتها سبي سكانها إلى بابل، ومن ثم في وقت لاحق تدمير الهيكل السليماني. يقول الطبري بإيجاز مبهم: ونُهِيَ عدنان عن بختنصر ونُهِيَ بختنصر عن عدنان، وأن عدنان بقي بأرضه ولم يسبى وقومه إلى بابل! فلعله تم تفاهم بين الفريقين محوره التحالف ضد العدو المشترك من بني إسرائيل الذين كانوا بتهامة الحجاز والطائف. وينقل ابن الكلبي عن ابن عباس (ر) أنه سُئل عن ولد نزار بن معد⁽²⁾ فقال: هم أربعة⁽³⁾ مضر وربيعه وإياد وأنمار، فكثر أولاد معد بن عدنان بن أدد ونموا وتلاحقوا ومنازلهم مكة وما والاها من تهامة وانتشروا فيما يليهم من البلاد وتنافسوا في المنازل والمحال، وأرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد لإخرا بختنصر إياها وإجلاء أهلها إلا من اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليه فيها أحد متنكباً لمسالك جنوده ومستن خيوله فاراً إليها منهم، فاقسموا الغور غور تهامة بينهم على سبعة أقسام لكل قسم ما يليه من ظواهر الحجاز ونجد وتهائم اليمن لمنازلهم ومحالهم ومسارح أنعامهم ومواشيهم.

السؤال: كيف نجا عدنان وقومه من الإجماع؟ الجواب من العهد القديم هذه المرة: فالذي ساعد الكلدانيين على دخول عرش السلام/أورشاليم (مكة) كان

(1) سفر أرميا، الإصحاح 49، الجملة: 33.

(2) صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص: 83.

(3) مروج الذهب للمسعودي: احتكموا لأفعى نجران لتفسير وصية والدهم نزار بن معد؛ مما يشير إلى أنهم كانوا يقطنون على مقربة نسيية من مملكته.

الأدوميون المتحدرون من أدوم (العيص) الذين كانوا يكتنون العداء طوال تاريخهم الطويل لبني إسرائيل! فهناك تطابق شديد يحدو على الاعتقاد بأن العدنانيين هم الأدوميون التوراتيون. ويورد ابن عباس (ر): عدنان بن أدد، وأدد يظهر مرتين في سلسلة أسماء الملوك الذين حكموا الأدوميين الذين كانت بلاد الحجر موطنهم⁽¹⁾ ومعد المعاصر لنبوخذ نصر كان من سلالة عدنان ولم يكن بالضرورة ابنه المباشر، فالراجح كما أسلفنا بأن عدنان الأول كان العيص نفسه ابن إسحق (ع)؛ هذه المعلومة التي تذكر بالجملة المتكررة بتكوين 36: العيص هو عدان أي عدنان! فعنان الأول هو الأخ التوأم ليعقوب (ع) لا غير.

تم السبي وإفراغ البلاد من العباد فنزل العدنانيون وملأوا الفراغ في كل من نجد وتهامة؛ ودخل كثير من القبائل تحت عباءة العدنانيين طلباً للحماية من إجلاء بختنصر إلى بابل.

أما الاعتقاد بأن عدنان من إسماعيل (ع) فمن سبيل انتساب بعضهم إلى جدهم إسماعيل (ع) عن طريق بشامة ابنته مثلما يفعل الأشراف والسادة بانتسابهم إلى النبي (ص) عن طريق ابنته فاطمة. وأيضاً لانتسابهم (العدنانيين) إلى دين إسماعيل (ع) وهو حنيفة إبراهيم السمحة؛ التي استمروا عليها حتى غزوة نبوخذ نصر.

ما بعد غزوة نبوخذ نصر

انتصر قورش الكبير على الكلدان بمعركة أوبيس بالشهر التاسع من العام 539 ق.م ودخل بابل. وأبدى الإخمينيون تعاطفاً مع بني إسرائيل؛ فسمحوا لهم بالعودة إلى عرى/عرش السلام (مكة) وإعادة بناء الهيكل. بداية عادت فئة مع ذر بابل بعد 70 عاماً على سبي بختنصر، ثم كانت عودة لآخرين مع العزيز حوالى 458 ق.م، لكن العائدين جوبهوا بضغط شتى من القبائل المحيطة وخصوصاً من بني جشم مخافة أن تعود مملكة هوزة ومعها خطر الغزو والإجلاء من جديد، لكن كفالة الأمبراطورية الإخمينية لحرية العبادة أمنت للمؤمنين البقاء، بينما فضل

(1) سفر التكوين، الإصحاح 36، الجمل: 35 و39.

آخرون الهجرة إلى مناطق جديدة وخصوصاً بلاد الشام؛ ويبدو أن ذلك تم بعد عصر هيرودوتس (485 - 425 ق.م) الذي لم يذكر خبراً عنهم لا ببابل ولا بفلسطين ولا بمصر إبان مكوثه بالشرق.

ثم كان زمن الإسكندر المقدوني فانتصر على الإخميينيين ابتداء من العام 334 ق.م واكتسح العالم من شرق أوروبا إلى الهند ثم قفل راجعاً إلى الشرق فاحتل بلاد الشام وبلاد الأقباط، وكان ينوي الإكمال ومد ظل سلطانه على كامل الجزيرة العربية واليمن السعيد خصوصاً؛ لكن القدر عاجله وهو في ريعان الشباب فمات بالعراق وحمل ودفن بالإسكندرية في مكان مجهول. وكانت النتيجة حصول الجزيرة العربية على استقلال تام بقي حتى ظهور الإسلام، ومن تبعاته رفع الحماية الأمبراطورية عن الأقليات بالجزيرة ومنها اليهودية؛ فتعرضت هذه لضغوطات من محيطها جعلها إما تتمسك بأرضها وتتخلى عن معتقداتها وإما تفر بدينها إلى أماكن تتوافر فيها حرية العبادة، فكانت هجرات جديدة إلى بابل وفلسطين وبلاد القبط وربما لليمن. ومع عصر الإسكندر نجد روايات عن وجود لهم بيت المقدس وبأنهم استقبلوه وأدخله الكاهن الأكبر إلى هيكلها؛ فكان ذلك أول ذكر غير مؤكد للمسجد الأقصى المذكور بسورة الإسراء القرآنية. وازدهرت الجاليات اليهودية بالعراق وفلسطين وبلاد القبط. ترجم العهد القديم إلى اليونانية بالإسكندرية في القرن 3 ق.م، إلا أن الجالية بفلسطين كانت أكبر همة من جاليات بلاد القبط وبلاد الرافدين بالتجمع وتكوين كيان سياسي شبه مستقل لها؛ خصوصاً بعد قيام هوزة وهو من أسرة هاشمية (حشمونية بالتحريف) والملقب بالمكاوي (المكابي بالتحريف أيضاً) في العام 140 ق.م بثورة ناجحة ضد السلوقيين إثر تدنيهم بيت المقدس وهو الهيكل الثاني الذي أنشأته الجالية بفلسطين للصلاة وتقديم النسك لله (بديلاً عن الهيكل الأول الذي أنشأه سليمان (ع) بمكة في قديم الزمان). واسم هاشم معناه الاسم؛ في إشارة إلى اسم الله الأعظم، فالهاشميون هم المقدسون لذلك الاسم ولا علاقة له بتهشيم الخبز للحجيج كما توهم بعضهم!

وفي القرن الأول ق.م عيّن الرومان هذه المرة شخصاً هو حريد (هيرود) الأدومي / العدناني (أمه بنت شيخ عربي ومن أسماء إخوته: فيصل ويوسف) ملكاً على هوزة،

فقام بإعادة بناء الهيكل بناءً عظيماً استغرق 30 عاماً ليعود الرومان فيدمروه في العام 70م على يد تايئوس ابن القيصر فسباسيوس. ثم تم تدمير أورشليم بأكملها بعد ثورة بن كوكبة في القرن الثاني الميلادي وتشيد مدينة رومانية سميت إيليانا كابيتولينا (إيلياء بالعربية) ثم معبد لجوبيتر تم تدميره في القرن الرابع عند دخول روما في المسيحية؛ ل يبقى الحال على ما هو عليه حتى الفتح الإسلامي وقدم الخليفة عمر ابن الخطاب (ر) والبدء بتنظيف التلة بعد الصلاة فيها وإقامة المسجد العمري أمام الصخرة لارتباط المكان بإسراء ومعراج النبي محمد (ص)؛ وكان قبلة المسلمين الأولى وبقي ثالثاً للحرمين الشريفين بمكة والمدينة حتى عصرنا الحالي.

فقام بإعادة بناء الهيكل بناءً عظيماً استغرق 30 عاماً ليعود الرومان فيدمروه في العام 70م على يد تاي توس ابن القيصر فسباسيوس. ثم تم تدمير أورشليم بأكملها بعد ثورة بن كوكبة في القرن الثاني الميلادي وتشيد مدينة رومانية سميت إيليانا كابيتولينا (إيلياء بالعربية) ثم معبد لجوبيتر تم تدميره في القرن الرابع عند دخول روما في المسيحية؛ لبقى الحال على ما هو عليه حتى الفتح الإسلامي وقدم الخليفة عمر ابن الخطاب (ر) والبدء بتنظيف التلة بعد الصلاة فيها وإقامة المسجد العمري أمام الصخرة لارتباط المكان بإسراء ومعراج النبي محمد (ص)؛ وكان قبلة المسلمين الأولى وبقي ثالثاً للحرمين الشريفين بمكة والمدينة حتى عصرنا الحالي.

خاتمة

إذاً بين أيدينا اليوم حضارتان ولدتا من رحم واحدة ثم افترقتا:
الحضارة الأولى: مع آلاف هجّروا قسراً من الحجاز إلى نينوى في العصر الآثوري/
الأشوري، ثم في العصر الخلداني/الكلداني لبابل، وسمح لهم بالاستمرار في
اعتناق - معتقداتهم والاحتفاظ بوثائقهم التاريخية الماثورة، ثم سمح للكثير
منهم بالعودة إلى الحجاز بأيام الدولة الإخمينية المتسامحة. استمرت الحماية
الامبراطورية للأقليات لكن الأمر تغير مع انتصار الإسكندر وموته قبل امتداد حكمه
للجزيرة العربية فتعرضت الأقليات ومنها الموسوية لضغوطات من محيطها أدت
بالقابضين على دينهم للهجرة مجدداً للمناطق الخاضعة لسلطة الحكم اليوناني
الذي كفل حرية المعتقد، فوصلت جاليات لفلسطين وبلاد القبط والعراق. هذه
الفئة أنشأت الهيكل الثاني بيت المقدس بفلسطين وهو المسجد الأقصى القرآني.
مع مرور الوقت نسيت هذه الفئات لغتها الأم وانقطعت صلاتها مع الأرض الأم
فدعت الحاجة إلى ترجمة النصوص الماثورة للغات الحية في المهاجر الجديدة.
كانت المبادرة الأولى من الملك بطليموس راعي مكتبة الإسكندرية فجمع بالقرن
3 ق.م. 70 عالماً ملماً باللغة الأصلية وقام بترجمة أولى للنصوص إلى اللغة
اليونانية. عن هذه الترجمة تمت الترجمة للآرامية ورأينا تفسير الجغرافيا يبدأ هنا
على أن بلاد كنعان كانت أرض فلسطين وأرض مصر كانت بلاد القبط وإرم كانت
سوريا! وحذت الترجمة اللاتينية حذو الإرمية، ثم تبعها السريانية.
وفي بداية العصر الإسلامي قام يهود طبريا بمحاولة لإحياء لغة النصوص الأصلية

مستفيدين من تسامح الحكم العربي في فلسطين، لكن علماء النصوص الماثورة قرأوها قراءة حرفية غافلين أنها مدونة بخط العزم المختزل لا بإملاء سيبويه؛ فلم تأت القراءة على الوجه الأكمل مما ساهم في زيادة الغموض بين المقروء والأسماء الحقيقية للمواقع والأقوام، وجاءت اللغة الجديدة القديمة لتكون لغة سامية بعيدة عن اللغة الأم. التحقت بهذه المجموعة في الشتات فئات ما كانت أصلاً من ذرية نبي الله يعقوب/إسرائيل عليه السلام؛ خاصة من مملكة حدياب المشرقية ولاحقاً من مملكة الخزر التي هُجرت من روسيا وأوكرانيا إلى أوروبا الشرقية بفعل الغزو المغولي⁽¹⁾، مكوّنين أكثرية الإشكناز. أما السفارديم بالأندلس والمغرب فكانوا من رعايا الكيانات الأمازيغية السياسية بشمال إفريقيا التي سبقت الفتوحات الإسلامية، وصارت هذه الجماعات الملتحقة بمرور الوقت هي الأغلبية. وقد قيص لبعض هذه الفئات بسبب نشاط أبنائها العلمي والاقتصادي أن تتبوأ مراكز مرموقة في دول القرار العالمية حتى تمكنت من إنشاء كيان قومي خاص بها على أرض فلسطين إبان الانتداب البريطاني في الشرق بالنصف الأول من القرن العشرين الميلادي. وقد راجع عالم الجينات الأميركي كلوسوف (الروسي الأصل) الجينات اليهودية، فوجد نسبة من الكهنة منهم يتمون لـ 11 المفترضة لإبراهيم (ع).

• الحضارة الثانية: وهي الأغلبية الساحقة من ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب (ع) أي أكثرية بني إسرائيل الأوائل: بقيت في بيئتها الأصلية، في الجزيرة عموماً والحجاز خصوصاً، واستمرت في تطورها الطبيعي بعدما أحرقت كل رابط لها بالماضي الديني ودخلت في مرحلة من الكفر نسيت فيها كل التراث التوحيدي الموسوي؛ ما عدا بعض من عاد لاحقاً منهم بعد الإضطهاد الروماني. ولعل بعضهم أبطن الإيمان مثلما حدث مع المسلمين بالأندلس إثر محاكم التفتيش، لكن تبين أن هذه الأمور لا تدوم أكثر من خمسة أجيال. ثم من الله على الجميع ببعثة المصطفى (ص) التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور، وجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. ويرى شلومو ساند بأنه حتى الغالبية التي بقيت

(1) اختراع الشعب اليهودي، شلومو ساند.

بفلسطين خارج بيت المقدس عادت ودخلت بالإسلام مع الفتح العربي⁽¹⁾. دلت دراسات الأحماض النووية على أن أغلب أهل الجزيرة العربية هم على قرى وثيقة جينياً من نبي الله إبراهيم، فبكل المقاييس هم أمته وذريته الأقربون من بين كل الناس، فالله وعده بأن تكون الأرض المباركة لذريته ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾⁽²⁾. هذه الفئة كانت بالحجاز منذ الجاهلية الأولى حتى نزول شريعة موسى، ثم عصر الهيكل الأول المكي ثم عصر الجاهلية الثانية حتى بزوغ الدعوة المحمدية. قد يرى أحدهم في فتح هذا الموضوع تسليط أعين اليهود على أقدس بقاع المسلمين لا سيما بعد ما نشره البعض منهم⁽³⁾ لكنه في الحقيقة دعوة للرجوع إلى قبلة إبراهيم الحقيقية التي توحد ولا تفرق، القبلة التي تنبأ يسوع للسامرة بإعادة الكشف عنها، والتي هي بيت الله الحرام بمكة؛ لا القدس ولا نابلس. كما أن هذا العمل ركز على توضيح أن ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب بأغليبيتها بقيت في الأرض المباركة من آلاف السنين ولم تغادرها، فأى دعوى لا تراعي هذه الحقيقة هي باطلة بالبراهين المقدمة. والإيمان بقبلة محمد والتوجه إليها يستتبعه الإيمان بأنه خاتم المرسلين والنبي المنتظر، وبأن شريعته هي المتممة لشريعة موسى. وبعدها كان العهد القديم لبني إسرائيل خصوصاً فإن العهد الأخير جاء مفتوحاً للعالمين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽⁴⁾. بالشريعة الجديدة لا تحديد لقومية والكل مشارك في العهد الإلهي الأخير، وملة إبراهيم صارت تشمل كل من كان حنيفاً مسلماً لله. والعرب بأغليبتهم ما زالوا لا يقرّون لليهود اليوم بأي أحقية في أية أرض عربية لا بفلسطين ولا خارجها، ورأى الدكتور كمال الصليبي أن الظروف التي تلت الحرب العالمية الأولى وأدت لقيام الكيان الصهيوني كانت استثنائية ولن تتكرر⁽⁵⁾، والعدل يكون بوضع الأمور في نطاقها الصحيح. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل يا رب على عبدك نبي الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام.

(1) اختراع الشعب اليهودي، شلومو ساند.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 47.

(3) Return to Mecca, Dennis Lipkin.

(4) سورة الأعراف، الآية: 158.

(5) كمال الصليبي في حوار مع زياد منى، دراسات قدس.

المصادر والمراجع

الكتب المقدسة

1. القرآن الكريم - مطبعة المدينة النبوية.
2. الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

المصادر العربية

1. أبجدية القرآن من مملكة سبأ - محمد عقل - دار المحجة البيضاء.
2. أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة - د. أحمد بن سعيد قشاش - دار الانتشار العربي - الطبعة الأولى 2018م.
3. الآثار الإسلامية في مكة المكرمة - د. ناصر بن علي الحارثي - الطبعة الأولى - الرياض - 2009م.
4. الإبدال معجم ودراسة، أدما طريبه، مكتبة لبنان، 2005م.
5. اختراع الشعب اليهودي، شلومو ساند، الأهلية للنشر.
6. الأدب الشعبي - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1982م.
7. أطلس السيرة النبوية - د. شوقي أبو خليل - دار الفكر - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى - 2002م.
8. أطلس خرائط المملكة العربية السعودية - المهندس زكي محمد علي فارسي - 1422هجرية.
9. أطلس خرائط مكة المكرمة - د. معراج بن نواب ميرزا - هيئة المساحة الجيولوجية السعودية - جدة - 1426هجرية.
10. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير - الحسن الهمذاني - الكتاب العاشر - المطبعة السلفية - القاهرة - 1368هـ.

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

11. أودية مكة المكرمة - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1985م.
12. البحث عن يسوع، كمال الصليبي، فراءة جديدة للأناجيل، دار الشروق، عمان - الأردن، 1999م.
13. البداية والنهاية لابن كثير - دار الفكر - بيروت - 1982م.
14. بنو شهر - أحمد علي ركبان الشهري - الطبعة الأولى - 2011م.
15. بين مكة واليمن - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1982م.
16. بين مكة وبرك الغماد - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1996م.
17. بين مكة وحضرموت - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1982م.
18. تاريخ آثار مكة والمدينة - أصغر قائدان - ترجمة الشيخ إبراهيم الخزرجي - دار النبلاء - بيروت - الطبعة الأولى - 1999م.
19. تاريخ الطبري - دار المعارف - الطبعة الثانية 1967م.
20. تاريخ مكة، الأزرقى.
21. تاريخ هيرودوت - ترجمة عبد الإله الملاح - هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث 2007م.
22. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الحافظ القرطبي، دار الفكر.
23. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة - مصر.
24. تفسير السدي الكبير.
25. التوراة السامرية - أبو الحسن الصوري - دار الجيل - الطبعة الأولى - 2007م.
26. التوراة جاءت من جزيرة العرب - كمال الصليبي - مؤسسة الأبحاث العربية - الطبعة الثانية - 1986م.
27. جغرافية التوراة - مصر وبنو إسرائيل في عسير - زياد منى - رياض الريس للكتب والنشر - الطبعة الأولى - كانون الثاني - 1998م.
28. جغرافية المملكة العربية السعودية - الجزء الثاني - إقليم جنوب غرب المملكة - د. عبد الرحمن صادق الشريف - دار المريخ - الرياض - 1984م.
29. حارات مكة - عبدالله محمد أبكر - الطبعة الأولى - 1428هـ.
30. حروب داوود - كمال الصليبي - دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة العربية الأولى - 1990م.
31. خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل - كمال الصليبي - دار الساقى - 1998م.
32. خير - عاتق بين غيث البلادي - دار النفائس - 2003م.

33. الرحلة النجدية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1982م.
34. الرحلة اليمنية للشريف البركاتي - تحقيق عاتق بن غيث البلادي - دار النفائس - 2005م.
35. رسائل الرسول - سعيد حسين - دار الهادي - بيروت - الطبعة الأولى - 2000م.
36. زمزم شراب الأبرار - دار ابن سينا للنشر - الرياض - 1997م.
37. السبثيون وسد مأرب - محمود جلال العلامات - تهامة - جدة - الطبعة الأولى - 1984م.
38. ستة أشهر في الحجاز - تأليف جون كين - ترجمة سارة هادي - دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الأولى 2011م.
39. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر المزامير.
40. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - الحافظ الفاسي - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الأولى - 2008م.
41. صحيح مسلم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت 2014م.
42. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تأريخ المستبصر لابن المجاور، شركة دار التنوير للطباعة والنشر.
43. صفة جزيرة العرب للحسن الهمداني - تحقيق الأكوع الحوالي - مطبعة الأرشاد - صنعاء - الطبعة الأولى - 1990م.
44. صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر هجري - عبدالله محمد أبكر - مؤسسة علوم القرآن ومنازل للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - 2009م.
45. على ربي نجد - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1986م.
46. على طريق الهجرة - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1993م.
47. العهد القديم العبري - ترجمة بين السطور - الأبوان بولس الفغالي وأنطون عوكر - الجامعة الأنطونية - 2007م.
48. في طريق الميثولوجيا عند العرب - محمود سليم الحوت - دار النهار للنشر - الطبعة الثانية - بيروت - 1979م.
49. قلب الحجاز - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1985م.
50. كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة - عزام السلمي - دار الكتب العلمية - بيروت - 1990م.

51. كتاب الأصنام، أبو المنذر هشام الكلبي.
52. كتاب الإكليل - تصنيف الحسن الهمداني - الجزء الثامن - تحقيق الأكوخ الحوالي - مطبعة الكاتب العربي - دمشق - 1979م.
53. كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه.
54. الكتابة العربية والسامية - د.رمزي بعلبكي - دار العلم للملايين - الطبعة الأولى - 1981م.
55. كذبة السامية وحقيقة الفينيقية - فرج الله صالح ديب - دار نوفل - الطبعة الأولى - 1998م.
56. الكعبة المشرفة والحجر الأسود - د.محمد عبد الحميد الشرقاوي ود. رجائي شوكت الطحلاوي - دار الفكر العربي - القاهرة - 2008م.
57. اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية - تشيم رابين - ترجمة د. عبد الكريم مجاهد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - 2002م.
58. محمد في الكتاب المقدس - عبد الأحد داوود - ترجمة فهمي شمّا - دارالضياء للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - 1985م.
59. المحيط الجامع في الكتاب المقدس - الشرق القديم - الخوري بولس الفغالي - المكتبة البولسية - جمعية الكتاب المقدس - الطبعة الأولى - 2003م.
60. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام، محمد الخياري، مطابع الأيوبي، الرياض.
61. مختصر سيرة ابن هشام - دار النفائس - بيروت الطبعة الثالثة 1981م.
62. مروج الذهب للمسعودي - دار الأندلس - الطبعة الثالثة - 1978م.
63. مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طيارة - دار العلم للملايين - الطبعة الحادية عشرة - كانون الأول 1982م.
64. معالم مكة التاريخية والأثرية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1983م.
65. معجم أسماء العرب - جامعة السلطان قابوس - مكتبة لبنان - 1991م.
66. معجم أسماء مكة - عبد الله بن محمد الأبح الزهراني - دار الطرفين - 1431هـ.
67. معجم البلدان والقبائل اليمنية - إبراهيم أحمد المقحفي - دار الكلمة للنشر والطباعة

- والتوزيع - صنعاء - الجمهورية اليمنية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - 2002م.
68. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - حمد الجاسر - دار اليمامة - الرياض - الطبعة الأولى - 1977م
69. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1982م
70. معجم قبائل الحجاز - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1983م.
71. معجم قبائل المملكة العربية السعودية - حمد الجاسر - دار اليمامة - الرياض - المملكة العربية السعودية - 1980م.
72. معجم معالم الحجاز - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى 1984م.
73. المعجم اليمني في اللغة والتراث، مطهر علي الإرياني، دار الفكر، دمشق.
74. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثانية - كانون الأول 1979م.
75. المهرة ولهجاتها، علي محسن.
76. المواقع الجغرافية في فلسطين - الأسماء العربية والتسميات العبرية - شكري عراف - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى - بيروت - 2004م.
77. موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية - دار الملك عبد العزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية - الرياض - 1424هـ
78. الموسوعة اليمنية - مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة العفيف الثقافية - الطبعة الثانية - 2003م.
79. نداء السراة - اختطاف جغرافيا الأنبياء - جمعية التجديد الثقافية الإجتماعية - مملكة البحرين - دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - الطبعة الأولى 2006م.
80. نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد - دار الوراق للنشر - الطبعة الأولى - 2007م
81. نشيد الأناشيد - د. محمود شريح - دار نلسون - بيروت - الطبعة الأولى 2008م.

المصادر الأجنبية

1. Atlas of the Bible – Reader's Digest's – 1981.
2. Frankincense and Myrrh – Nigel Groon – Longman – London and Newyork – Librairie du Liban 1981.
3. Hebrew in its West Semitic Setting – A. Murtonen – Leiden – 1986.
4. Introduction to Biblical Hebrew – Thomas O. Lambdin – Harvard University – Darthon – Longman and Todd – London – 1973.
5. Islam in Ethiopia – Jay.S.Trimingham – Frankcass and Company Limited – UK – 1965.
6. Jews, Idumaeans, and ancient Arabs.
7. Old Testament – Hebrew and English – The British and Foreign Bible Society – 1992.
8. Return to Mecca, Dennis Avi Lipkin, A.k.A Victor Mordecai.
9. Smith's Bible Dictionary – Revell Company – April – 1984.
10. Sundials, Design, constraction, and uses, Denis Savoie.
11. The Bible Unearthed – Israel Finkelstein and – Touch Stone – 2002.
12. The book of Herbrew Script. Ada Yardeni.
13. The British Library, Oak Knoll Press.
14. The Camel and the Wheel – Columbia University Edition 1990.
15. The Illustrated Bible Dictionary – M.G.Easton – Crescent Book – 1989.
16. The Lost Cities of Africa – Basil Davidson – Atlantic Monthly Press 1970.
17. The making of the Old Testament – Edited by Enid B. Mellor – Cambridge at the University Press – 1972.
18. The Samaritan Chronicle II – John McDonald – Walter Dev Gruyter and Company – Berlin – 1969.
19. Undiscovered Asir – Thierry Mauger – Stacy International – 1993.

المصادر الأجنبية

1. Atlas of the Bible – Reader's Digest's – 1981.
2. Frankincense and Myrrh – Nigel Groon – Longman – London and Newyork – Librairie du Liban 1981.
3. Hebrew in its West Semitic Setting – A. Murtonen – Leiden – 1986.
4. Introduction to Biblical Hebrew – Thomas O. Lambdin – Harvard University – Darthon – Longman and Todd – London – 1973.
5. Islam in Ethiopia – Jay.S.Trimingham – Frankcass and Company Limited – UK – 1965.
6. Jews, Idumaeans, and ancient Arabs.
7. Old Testament – Hebrew and English – The British and Foreign Bible Society – 1992.
8. Return to Mecca, Dennis Avi Lipkin, A.k.A Victor Mordecai.
9. Smith's Bible Dictionary – Revell Company – April – 1984.
10. Sundials, Design, constraction, and uses, Denis Savoie.
11. The Bible Unearthed – Israel Finkelstein and – Touch Stone – 2002.
12. The book of Herbrew Script. Ada Yardeni.
13. The British Library, Oak Knoll Press.
14. The Camel and the Wheel – Columbia University Edition 1990.
15. The Illustrated Bible Dictionary – M.G.Easton – Crescent Book – 1989.
16. The Lost Cities of Africa – Basil Davidson – Atlantic Monthly Press 1970.
17. The making of the Old Testament – Edited by Enid B. Mellor – Cambridge at the University Press – 1972.
18. The Samaritan Chronicle II – John McDonald – Walter Dev Gruyter and Company – Berlin – 1969.
19. Undiscovered Asir – Thierry Mauger – Stacy International – 1993.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي ... مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	30
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ... هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾	54
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى ... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	55-56
﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ... أَنَايَسَ مَشْرَبَهُمْ﴾	60
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	63
﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ ... وَمَا كَاذُوا يَفْعَلُونَ﴾	71-70
﴿لَا ذُلُّ لَنَا فِي سَأْلِ الْمَعِينِ وَلَا نَسْتَعِينُ ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُقَالُوا﴾	71
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾	111
﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾	125
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ... أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	127
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾	135
﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ... هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾	140
﴿قَدْ نَرَى ثِقْلَ بَاطِلِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ... وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾	144
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي ... فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	246
﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	248
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ... كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	249
﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ... عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	251
﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى ... لِيُظَمِّنَ قَلْبِي﴾	260

سورة آل عمران

الآية	الصفحة
33	67
59	65
183	207
184	45

سورة النساء

46	46
163	45
163	167
164	153
164	224

سورة المائدة

13	142، 46
21	105
20-22	154
22	138
23	173، 138
24-26	154
97	190

سورة الأنعام

38	195
79-75	100
84	171، 115
86	208
91	142
133	66
153-151	154، 153

سورة الأعراف

64	77
69	80
72	81
74	86

الآية	الصفحة
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا... قَوْمِ كَافِرِينَ﴾	93
﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	143
﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ... قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾	221
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ... قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾	145
﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ... وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾	132-133
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ... فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	133
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ... أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾	137
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا... وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	148
﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ... دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾	138-140
﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ... دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾	142
﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ... إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾	143-144
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	145
﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ... يَظْلِمُونَ﴾	153، 198
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	151
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	155-156
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	158
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	160
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ... وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾	257
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	149
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	149
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	30
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	122
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ... وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾	29
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	23
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	148
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	209
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	87
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ... وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾	92
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	98
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	74
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	42-40
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	74
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ... وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾	41-43
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	74
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	44
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	80
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	50
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ... وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾	81
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	58
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	19
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	69
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	107
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ... وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾	71
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	82-83
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾	107
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	87، 143
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	89

سورة يوسف

الآية	الصفحة
41	132
49	133
54	127
69-72	103
70	121، 130
72	121
72	130
94	104

سورة الرعد

17	49
----	----

سورة إبراهيم

4	116
15	159
37	101
47	257

سورة النحل

43-44	45
-------	----

سورة الإسراء

1-8	241
4-8	224
6	242
7	242
55	45
104	242

سورة الكهف

60	128
60	137، 148

سورة طه

9-13	143
14	141
15	141
42-47	144

الصفحة	الآية	
145	77-78	﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى ... مَا غَشِيَهُمْ﴾
155	80	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ ... الْمَنِّ وَالسَّلَوى﴾
151	88-91	﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا ... إِلْبَنَا مُوسَى﴾
67	118	﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾
		سورة الأنبياء
249	11-15	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ... حَصِيداً خَامِدين﴾
65	30	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾
103، 101	71	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾
225	85-86	﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ ... مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
209	87-88	﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ ... نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾
122	98	﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾
45	105	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
		سورة الحج
108، 101	26	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾
97	78	﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ ... الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾
		سورة المؤمنون
67، 66	12	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾
		سورة النور
65	45	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾
		سورة الفرقان
77	37	﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾
181	45-46	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ ... قَبْضاً يَسِيراً﴾
181	46	﴿ثُمَّ قَبْضُنَا إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾
		سورة الشعراء
132	49	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ... وَلَا صَلَّيْنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
145	52	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾
145	53-59	﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ ... بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
147	57-59	﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
223، 197، 134، 125	59	﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
147، 145	60-62	﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ .. رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾
146	63-67	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى ... أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
80	128-135	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ... عَظِيمٍ﴾

الآية	الصفحة
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾	132-134 87
﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ... وَأَطِيعُونَ﴾	146-150 86
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأَوَّلِينَ﴾	184 67
﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾	196 45
سورة النمل	
﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ... رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	44 185
﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	48-52 88
سورة القصص	
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	4 142
﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	22 142
﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ... رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	29-30 143
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ... مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	38 145
﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ... مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	38 131
سورة العنكبوت	
﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾	14 132
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	20 65
﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا... إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾	31-32 106
سورة سبأ	
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا... تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	10-11 175، 174
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾	12 186
سورة فاطر	
﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾	25 45
سورة الصافات	
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾	77 77
﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	123-132 207
﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	137-138 107
﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	139-142 209
﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ... إِلَى حِينٍ﴾	143-148 209
سورة ياسين	
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	82 65

سورة ص

الآية	الصفحة
26	171
21-26	179، 178
48	225، 207

سورة غافر

23-24	144
29	153
31	144
39	153
78	224

سورة الشورى

13	77
----	----

سورة الزخرف

51	144، 131
----	----------

سورة الأحقاف

21	79
----	----

سورة الذاريات

10	122
----	-----

سورة الطور

1-6	37، 27
-----	--------

سورة النجم

50-51	81
54 - 53	107

سورة القمر

10-12	132
10-14	74
43	45
52	45
54	173

سورة الحاقة

6-8	81
-----	----

سورة نوح

الآية	الصفحة
14	66
13-14	67
17	65
21-24	73

سورة النبا

7	130
---	-----

سورة النازعات

24	131
----	-----

سورة الأعلى

18-19	116، 37
19	29

سورة الفجر

6-12	82
10	130

فهرس الإقتباسات من التوراة وسائر أسفار العهد القديم

سفر التكوين

الإصحاح	الجملة	الصفحة
1	5-1	28
2	8	67
3	24	68
4	16	68
4	25	69
5	3	69
8	4	75
9	3 وما بعدها	77
10	1	102 ، 79 ، 76
10	6	122
10	8 وما بعدها	91
10	11	91
10	13	123
11	10 وما بعدها	85
11	11	86
11	14	89
11	32	98
12	6	102
12	10	121
12	14 وما بعدها	103
13	14	105
14	15	93

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

106	3	16
106	25-24	19
107	28	19
108	2	22
113	24-20	22
108	2	23
98	11-10	24
109	2	25
110	12	25
110	33	25
92	1	29
110	بالكامل	31-29
16	23	31
98	34-33	31
111	1	33
111	20	35
247 ، 112	بالكامل	36
252	39 و 35	36
111	بالكامل	37
111	11 وما بعدها	43

سفر الخروج

الصفحة	الجملة	الإصحاح
142	8	1
141	6	3
156 ، 130 ، 17	38	12
23	9	13
149	17	13
146 ، 127 ، 16	21	13
149	14	15
150	8	17
154	2	19
42	1	34

مهرس الإقتباسات من التوراة وسائر أسفار العهد القديم

سفر اللاويين

الصفحة	الجملة	الإصحاح
16	3	11

سفر العدد

الصفحة	الجملة	الإصحاح
17	28	13
156	30-21	21
156	35-32	21
18	بالكامل	24، 23، 22
155	بالكامل	33
126	3، 5	33
146، 124	5 وما بعدها	33
149	8	33
158	3	34
158	6	34
158	7	34
158	10	34

سفر التثنية

الصفحة	الجملة	الإصحاح
156	4	1
158	7	1
180	21-20	2
156	37-24	2
156	13-1	3
23	8	6
23	18	11
205	30	11
205	12	27
205	13	27
159	68-58	28
223، 128، 17	68	28
159	6-5	34

سفر يوشع

الصفحة	الجملة	الإصحاح
205	33	8
161	11-1	11
162	بالكامل	15
163	بالكامل	16
163	بالكامل	17
163	بالكامل	18
163	9-1	19
164	16-10	19
208	13	19
164	23-17	19
164	31-24	19
164	39-32	19
164	46-40	19
165	بالكامل	21
48	26	24
165	30	24

سفر القضاة

الصفحة	الجملة	الإصحاح
167	9	3
168	15	3
168	31	3
143	11	4
168	بالكامل	4 و 5
168	بالكامل	6 و 7 و 8
168	22	7
205	7	9
169	بالكامل	9 و 10

فهرس الاقتباسات من التوراة وسائر أسفار العهد القديم

169	1	10
169	3	10
169	بالكامل	11 و 12
169	11	12
169	13	12
169	بالكامل	13-16

سفر صموئيل (سؤال 1)

الصفحة	الجملة	الإصحاح
170	بالكامل	1
172	1	4
94	5-6	8
172	16	13
171	1	16
172	1	17
109	10	27
172	1	31

سفر صموئيل (سؤال 2)

الصفحة	الجملة	الإصحاح
95	9	8
180	1	24

سفر الملوك الأول

الصفحة	الجملة	الإصحاح
180	33	1
185، 173	10	2
19	23	4
185	25	4
188	بالكامل	5-9
188	37	6
19	12	9

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

186	26	9
18	13-1	10
18	22	10
191	25	10
148	1	11
125	19	11
94	25-23	11
203	25	12
203	29	12
203	33	15
204	15	18
205	20	18
207	15	19
204	43	20

سفر الملوك الثاني

الصفحة	الجملة	الإصحاح
208	25	14
20	8	19
183	8	20
20	11-8	20
128 ، 43 ، 36 ، 17	8	22

سفر أشعيا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
217	5	10
218	28	10
218	11	11
223 ، 95 ، 41 ، 32	18	19
218	1	20
219	1	36
219	9	37
183	7	38

فهرس الإقتباسات من التوراة وسائر أسفار العهد القديم

سفر أرميا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
220	1	1
220	16	6
221	8	24
220	1	27
221	5	35
251	33	49

سفر حزقيال

الصفحة	الجملة	الإصحاح
225	1	2
226	15	11
226	21	33
227	1	37

سفر يونا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
208	1	2

سفر الأمثال

الصفحة	الجملة	الإصحاح
30	31-10	31

سفر أيوب

الصفحة	الجملة	الإصحاح
118، 117	1	1
117	15	1
117	17	1
118	19	1
118	11	2
118	19	6
118	23-21	10
116	25	19
118	2	32

فهرس الإقتباسات من التوراة وسائر أسفار العهد القديم

سفر أرميا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
	1	1
220	16	6
220	8	24
221	1	27
220	5	35
221	33	49
251		

سفر حزقيال

الصفحة	الجملة	الإصحاح
225	1	2
226	15	11
226	21	33
227	1	37

سفر يونا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
208	1	2

سفر الأمثال

الصفحة	الجملة	الإصحاح
30	31-10	31

سفر أيوب

الصفحة	الجملة	الإصحاح
118، 117	1	1
117	15	1
117	17	1
118	19	1
118	11	2
118	19	6
116	23-21	10
118	25	19
	2	32

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

سفر دانيال

الصفحة	الجملة	الإصحاح
228	2	3

سفر عزرا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
63 - 57	بالكامل	5

سفر نحميا

الصفحة	الجملة	الإصحاح
213	1	4

سفر أخبار الأيام 2

الصفحة	الجملة	الإصحاح
216	1	12

فهرس الأعلام

أ

- ابن شيت: 69.
 ابن عباس: 23، 46، 145، 177، 197، 251، 252.
 ابن عوف: 75.
 ابن كثير: 48، 108.
 ابن الكلبي: 72، 245، 250، 251.
 ابن لهيعة: 179.
 ابن المجاور: 123، 147.
 ابن مسعود: 31.
 ابن مشيط: 68.
 ابن ميمون: 47.
 ابن ناصر الدين الدمشقي (الحافظ): 85.
 ابن نوح: 74.
 ابن هشام: 170.
 أبو الأسود الدؤلي: 27.
 أبو بكر الصديق: 246.
 أبو داود: 74.
 أبو سلام: 178.
 أبو عامر أبو الأزد: 110.
 أبو الكلام آزاد: 204.
 أبو مالك: 169.
 أبو هريرة: 241.
 أبين: 213.
 أترمة: 71.
 آحاز: 20، 211.
 آدم: 25، 65، 66، 67، 68، 69، 101، 119، 195، 246.
 أرييه كاشر: 247.
 آسى (ملك): 126، 213.
 أبان: 168.
 إبراهيم (ع): 11، 16، 19، 23، 24، 25، 29، 33، 37، 41، 50، 52، 67، 75، 79، 89، 92، 93، 94، 95، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 105، 106، 107، 108، 109، 113، 114، 116، 117، 118، 119، 121، 122، 123، 126، 129، 133، 134، 141، 143، 150، 158، 170، 188، 189، 190، 191، 192، 206، 246، 248، 252، 256، 257.
 أبرم = إبراهيم
 ابن إسحاق: 175، 179، 252.
 ابن تيمية: 23، 46.
 ابن خلدون: 80، 82، 89، 116، 135.
 ابن الزبير: 196.
 ابن سالم: 68.
 ابن سليمان: 223.

- الأسود بن مسعود بن مغيث الثقفي: 72.
 أشعيا: 20، 34، 41، 217، 218، 219، 223، 224.
 أفرم: 163، 201.
 أقرح: 247.
 آل هو بن براك الله البازي: 118.
 إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان: 35، 94، 113، 170، 202، 205، 206، 207، 240.
 242.
 أليسع: 35، 94، 207.
 أم إبراهيم: 104.
 أمامة: 113.
 امرؤ القيس: 44.
 أميم: 109.
 أمين: 215.
 أنطيوخس: 242.
 أهاب: 202، 207، 213، 214.
 أهلية بنت غني بن صبعان: 112، 247.
 أوتنابشتيم: 71.
 أوزيريس: 132، 144.
 أياد: 113.
 أياس: 203، 214.
 إيليا = ألياس
 إيلوس هديران: 240.
 أيوب: 36، 115، 116، 117، 118، 119.
 أيوب بن زارح: 248.
- ب**
- باز: 113.
 بالغ بن بعير: 248.
 بتيل (أوربقة): 113.
 البخاري: 23، 46، 241.
 بختنصر: 174، 198، 199، 204، 234، 248، 249.
 250، 252.
 برادك بلادن: 183.
- إثمار بن هارون: 128.
 أثور بانيال الأثوري: 71.
 أحمد بن سعيد قشاش: 67، 68، 129.
 أحي (أخيا): 201.
 أحيذ: 168.
 أحيرام: 18، 19، 175، 185، 186.
 أخاذ = آحاز
 أخزاعة: 202.
 أدد: 125، 252.
 إدريس: 144، 207.
 أدوم بن إسحاق بن إبراهيم: 246، 247، 248.
 أراشة بن عتر بن وائل بن معد العدناني: 94.
 أراشة بن مراد: 93، 94.
 أرتحششتا الأول: 230.
 أردشير الإخميني: 236.
 أردشير الأول: 36.
 إرم بن سام بن نوح: 76، 79، 82، 116.
 أرميا: 34، 197، 199، 219، 220، 222، 223، 224، 227، 228، 249، 250، 251.
 الأزرقى: 79، 176، 190.
 أسبيل (أم حارم الضالة): 202، 207.
 استير: 229.
 إسحق: 98، 99، 103، 107، 108، 109، 110، 111، 113، 129، 206، 245، 256، 257.
 أسد يهوذا = هيلاسيلاسي
 إسرائيل: 206.
 إسرائيل فلنكشتين: 21.
 أسرحدون الأشوري: 99.
 الإسكندر المقدوني: 188، 192، 204، 235، 239، 253، 255.
 إسماعيل (ع): 73، 92، 95، 101، 106، 108، 109، 110، 121، 162، 198، 245، 246، 252.
 إسماعيل بن نثيا بن السميع: 223.

- البراق بن أبي النعم: 168.
برخيا: 249، 250.
البرزالي: 85.
برعو: 105.
بشامة بنت إسماعيل: 113، 247.
بشر: 29.
بطليموس: 39، 47، 139، 158، 192، 243، 255.
بعثة: 202.
بكر: 29.
البكري: 176.
بلحة (جارية): 110.
بلخع (صنم): 73.
بلدد الشحي: 118.
بلدس: 113.
بلشاطر: 228.
بلعوم بن بعير: 18، 157.
بليق بن عصفور: 157.
بن حداد: 94.
بن كوكبة: 240، 254.
بن يمان: 111، 163، 165، 168، 201.
بنت جليم: 218.
بنحاس = فنيس.
بوركهارت: 196.
- ت**
- تاتبوس: 240، 242، 247، 254.
تُبُع: 105، 176.
تبين: 202.
تراقه TiraKah: 126.
ترتان: 218.
ترهاقة: 219.
تشم رابين: 41.
تغلات بلاسر: 94، 99، 210.
تميم: 76.
- تمنية: 248.
توماس كيث: 182.
تومال: 71.
تيم: 112، 248.
تيمن: 110.
- ث**
- ثقيف: 109.
ثور: 109.
- ج**
- جاسر بن إرم: 76، 79.
جاشم العماليق: 109.
جالوت: 172.
جبريل: 69.
جدعان بن عياش أبي العذرة: 168.
جدليا بن أخيقام بن شافان = جديلة بن الحكم ابن سفيان.
جديس بن سام بن نوح: 41، 79.
جديلة بن الحكم بن سفيان: 223.
جرم = أرميا.
جرهم: 162، 163، 165.
جشم العربي: 231.
جشم بن جلهمه: 250.
جلجامش: 71.
جميع: 113.
الجميلة بنت السبع: 178.
جندب بن ركاب: 221.
جندب العربي: 99.
جواد علي: 235، 249.
جوبيتر (الإله): 240.
جون كين: 196.
جيروم: 244.

ح

الحارث بن مضااض الجرهمي: 179، 198، 250.
الحارثة (ملك الأنباط): 99.
حارم: 202، 214.
الحاكم بأمر الله الفاطمي: 196.
حام: 76، 79، 91، 102، 122.
حاييل بن إرم: 79.
حباب القناوي: 143.
حبقوق: 34، 220.
حجر = إحجور.
حجي: 34، 229.
حداد: 110.
حدقة (الملك حزقيا): 20، 183.
حذقة: 214، 219.
حريد (الملك): 188، 240، 247، 253.
حزائيل: 94، 99، 207.
حزقيال (ذو الكفل): 34، 35، 225، 235.
حسان التيماني: 248.
الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: 72.
حفص: 95.
حمد الجاسر: 26.
حمدان: 113.
حمية: 42، 142، 143.
حمير بن شكيم الحافي الكناني: 165.
حميطل بنت جرم = حنيطل بنت جرم.
حنوك = حنوح: 69.
حنون (ربان): 18، 187.
حنيطل بنت جرم: 109، 222.
حواء: 69.
حوالة: 68، 178.
حي بن نمس: 202، 207.
حيدة: 113.

خ

خالد بن الوليد: 80.
خنعم: 112، 248.
خلود: 12.
خيران = أحيرام.

د

داحس: 113.
داروين: 65.
داريوس: 228، 229.
دمة: 110.
دانة: 110.
دانيال: 35، 215، 228، 229.
داود (ع): 20، 34، 35، 41، 42، 92، 94، 95، 109، 112، 125، 158، 162، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 185، 188، 191، 197، 197، 247، 243، 201، 197.
دجن (دعجان): 169، 172.
الدعبل: 110.
دلاف: 113.
دليلة: 169.
دنيس شافوا: 180.
دودان: 109.
دوس: 113.

ذ

ذابح: 168.
ذراح: 113.
ذئب (الأمير): 168.

ر

راعي بن سراج: 89.
رائمة: 113.
ربعان: 125، 126، 201.
ربعان بن عياش: 208، 216.
ربعان الثاني: 203، 208.
ريقة بنت نحور: 109، 110، 113.
رجعم بن سليمان: 126، 213، 216.

رخل (زوجة يعقوب): 98، 110، 111.

رزان بن الأيادي الإرمي: 94.

رعمسيس: 126.

رغال: 246، 248.

رمية: 29.

الريان بن الوليد: 134.

ز

زارح: 248.

زغلول النجار: 209.

زكريا (رجل): 203.

زكريا (ع): 34، 229.

زليفة (جارية): 110.

زمران: 109.

زمرة: 202.

زياد منسي: 32.

زياد منى: 257.

زئيف هرتسوغ: 21.

س

السابق: 109.

سارة: 12، 52، 99، 106، 107، 109، 134.

سالم: 109.

سام بن نوح: 41، 71، 76، 79، 91، 116.

سامر: 204.

ساوى: 27.

سبأ (الملكة): 18.

السدي: 242.

سراج بن نحور: 89.

سرجون الثاني: 99، 105، 218، 234.

السعدي: 19.

سعود (الملك): 190.

سعياء: 29.

سفيان (الكاتب): 129.

سفيان: 17، 109.

سلام (أو شلوم): 203.

سلمان: 168.

سليم بن منصور: 163.

سليمان (ع): 12، 17، 18، 19، 20، 25، 35، 41،

93، 94، 112، 125، 134، 148، 158، 170،

174، 175، 179، 185، 186، 187، 188،

189، 190، 191، 197، 213، 216، 221،

223، 234، 243، 245، 251، 253.

سماتك Samatek: 126.

سمعان: 163، 164.

سمؤال: 109، 162، 167، 170، 171، 172.

سمؤال الثاني: 175، 178، 180.

سميث: 21، 69.

السميدع بن هوبر: 174، 176، 179.

سنان (الأشل): 134.

سنبلط الحوروني: 231.

سنجر بن عناة: 168.

سنحاريب: 20، 126، 219.

السهيلي: 108.

سواع (صنم): 73، 201.

سيبويه: 11، 256.

سيحان (الملك): 156، 173، 247.

سيسري: 168.

سيف بن ذي يزن: 234.

ش

شاؤل: 110، 150، 170، 171، 172، 247.

شباك Sebichas: 126.

الشحي: 109.

الشرقي: 249.

الشعبي: 72.

شعيا: 164، 183.

شعيب: 87.

ظ

ظافر النعمتي: 118.
ظبيان بن كدادة المرادي: 72.

ع

عائق البلادي: 165، 174.
عاد بن إرم بن سام بن نوح: 79، 118.
عارم (ملك هوذة): 202.
العاذر (مولى الخليل): 93، 109.
عاص: 113.
عالية: 202.
عامر: 112.
عاموس: 34.

عائذة ابنة عيلان الحوتي: 112، 247.
عائرة: 169.
عائشة: 246.
العباس بن عبد المطلب: 86.
عبد الإله الملاح: 21.
عبد الله بن أبي بكر: 175.
عبد البعل: 202، 206.
عبد الملك: 29.
عبد الملك بن مروان: 243.
عبيد: 109.

عبيد بن الأبرص: 40.
عبيدان بن هلال الفرعتاني: 169.
عبيدة: 29، 34.
عجيل: 113.
عترو (كاهن): 142.
عتيب آل ملك السعديين: 202.
عتيبة: 110.
العشر: 202، 213.
عجاج: 150.
عجلان: 168.

شكم بن حمير الحافي: 111.

شلمناصر: 203، 211.

شلمنصر الثالث: 99.

شمبليون: 30.

شمة: 113.

شمسان: 169.

شمسة: 105.

شمعون بن كوكبا: 47.

شيبان: 109.

شيرين (جارية): 104.

شيشق الأول (الملك): 125، 215، 216، 217.

شيما: 248.

ص

صالح بن جديس بن سام بن نوح: 37، 41، 85،
86، 87، 89، 97، 106، 114، 116، 123، 152.

صالح العباسي: 86.

صبغان: 112، 113.

صدقة بن واسية: 29، 219، 220، 221، 222، 250.

صدقيا = صدقة بن واسية

صفي: 112، 248.

صفينا: 34، 220.

صموئيل الأول: 34، 36.

صموئيل الثاني: 34.

ط

طابخة: 113، 170.

طالوت = شاول

الطبراني: 197.

الطبري: 12، 113، 167، 234، 248، 249، 250.

طريح بن أبرم: 89.

طسم: 109.

طليع: 169.

طوبيا العبد العموني: 231.

طي أبو عرم: 95.

- عدّان (عدنان): 92.
عدلا: 214.
عدنان بن أد بن هميسع بن سلامان: 246، 245، 247، 251، 252.
عدوان: 109.
عراد الكناني: 22.
عرن عدن: 113.
عرنة الباسي: 180.
عروة (القائد): 178.
عزة: 214، 217.
عزرا: 21، 35، 36، 41، 46، 48، 114، 121، 192، 227، 229، 230، 233، 236.
العزى: 201.
العزیز = عزرا
عساكر: 29.
عسلق: 168.
عسير الحجري الكناني: 112، 113، 248.
عقان: 113.
عكاش: 110.
عكاشة: 29، 172.
علقمة: 29.
علام: 112، 247.
علوان: 169.
علي بك العباسي: 196.
علي بن أبي طالب (ع): 197.
علي محسن: 39.
علي/عالي (الكاهن الأكبر): 29، 172.
عمر بن الخطاب: 27، 29، 197، 243، 254.
عمرو: 29، 202، 248.
عمرو بن الحارث: 171.
عمرو بن لحي: 73، 163، 202.
العماليق: 177.
عمليق: 112، 248.
عميسة: 214.
عنزة بن أسد: 113.
عوج (الملك): 156.
عوض: 113.
عياش: 112، 247.
عيثان إل: 167.
عيسى (رجل): 171.
عيسى ابن مريم: 198، 199، 207، 231، 250.
العيص: 92، 113، 246، 247، 252.
عيص: 110، 111، 112، 246.
عيلان: 112، 247.
غ
غبر بن صالح بن جديس بن سام بن نوح: 41، 76، 87، 97.
غراب (الأمير): 168.
غفار بن مليل: 39، 40.
غني بنت ضبعان بن عسير الحجري: 112.
غني: 113.
غوثن بن حام: 94.
الغوثن بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر: 170.
غيث: 112، 247.
غيلان: 76، 79.
ف
الفاسي: 173، 174.
فاطمة (ع): 252.
فالج بن غبر: 41، 76، 89.
فانس: 105، 235.
الفايز: 112، 247، 248.
الفايز التيمني: 118.
فتيح الجلذاني: 169.
فرج الله ديب: 32، 40.
الفرزدق: 44.
فرعون: 103، 111، 121، 124، 125، 127، 128، 129، 131، 132، 134، 142، 144، 146.
149، 152، 153، 216، 223، 235.

كعب بن لؤي بن غالب: 198.
 كلب: 29.
 الكلبي: 73.
 كلوسوف (العالم): 165، 256.
 كليب بن جفنة: 136، 138.
 كمال الصليبي: 11، 12، 13، 15، 23، 24، 26،
 32، 33، 199، 216، 217، 237، 250، 257.
 كميل (أبو إرم): 113.
 كنانة: 11، 27، 32، 41، 165.
 كنانة بن حام: 41.
 كنعان = كنانة.
 كنعان: 27، 32.
 كهلان: 93.
 كوثنان: 167.
 كورش (ذو القرنين): 192، 204، 228، 229، 252.
 كورنيليوس فان دايك: 13.
 كوش بن حمي: 122، 126.

ل

لاوذ: 79.
 لبن (خال يعقوب): 92، 98، 110.
 لبيد: 44.
 اللمكي: 69.
 لوط: 103، 105، 106، 143.
 ليثة: 110.
 لية: 98.

م

ماء السماء: 110.
 ماجدة (ملكة سبأ): 148، 223.
 ماريّا (جارية): 104.
 ماشي: 79.
 مشي: 215، 222.
 محمد (ص): 23، 25، 26، 27، 29، 45، 49، 69،
 72، 73، 75، 86، 104، 113، 124، 130،
 175، 176، 184، 191، 202، 230، 231،
 240، 242، 245، 246، 252، 254، 256.

فسباسيوس: 254.
 فضل الربيعي: 32.
 فقح بن رمليا = فقيه بن رملة.
 فقيهي: 203.
 فقيه بن رملة: 203، 210.
 فلافيوس يوسفوس: 243.
 فنيش بن هارون: 128.
 فؤاد أفرام البستاني: 40.
 فيد = يافث.
 فيصل: 253.
 فيلبي: 28، 41.

ق

قادر: 110.
 قارح: 112، 247.
 قاسط: 41، 76، 79، 80، 85، 89، 97، 113.
 قتادة: 134.
 قدموس السوري: 39، 40.
 قرن: 113.
 قريش: 165.
 قسطنطين الكبير: 244.
 قشير بن كعب بن صعصعة: 93.
 قصي بن كلاب: 165.
 قطرة (زوجة إبراهيم): 109، 118.
 قطن بن غبر: 41، 94.
 قمبيز الفارسي: 104، 105، 129، 235، 236.
 قمش (الإله): 180.
 قنان: 68، 85.
 قنص: 112.
 قنعر: 112، 248.
 قيس: 109.

ك

كاهل (إله): 91، 92.
 كسرى أنوشروان: 234.
 كعب: 108.
 كعب الأحبار: 243.

188، 189، 197، 199، 223، 230، 231،

242، 257.

موسى الحراني: 75.

موسى بن ميمون: 11.

ميخا: 34.

ميشع: 110.

ميكال: 172.

ن

نبت: 110، 246، 247.

النابعة الذبياني: 21، 93.

ناحوم: 34.

ناصره بلحارث: 109.

ناهس: 113.

نبو زرادان: 222.

نبو نعيد: 235.

نبوخذ نصر: 12، 49، 105، 113، 119، 134، 159،

162، 173، 188، 192، 193، 197، 199،

204، 215، 221، 222، 228، 229، 234،

235، 247، 249، 252.

النجاشي: 122.

نحاسة بنت الناطن: 221.

نحميا: 35، 36، 230.

نحور (أخو إبراهيم): 98، 113.

نخعة: 248.

نخو الثاني: 235.

نديب: 202.

نزار بن معد: 250، 251.

نشوان: 223.

النعمان بن المنذر: 234.

نعمة Nimah: 100.

نفائة: 110.

نقي Neka: 126.

نمرود بن الغوث: 91.

النهرواني: 173، 174.

نوح: 12، 25، 26، 33، 36، 49، 69، 71، 72، 73،

محمد الخزاعي: 195.

محمد منصور: 11، 12، 13.

محمود شريح: 13.

مدان: 109.

مدنة: 109.

مردخاي: 229.

مرة بن لؤي بن غالب: 165.

مريم (أخت موسى): 138، 147.

مزة: 113، 248.

المسعودي: 12، 21، 80، 89، 118، 234، 249.

مسلم: 241.

مصر بن حام: 123.

المضااض (الملك الجرهمي): 176.

مطهر الأرياني: 40.

معانة: 250.

معاوية: 83.

معاوية بن دودان: 109.

معد بن عدنان: 25، 26، 113، 167، 246، 250،

251.

معكت (معكة): 113، 213.

المقوقس: 27، 104، 124.

المكاوي: 253.

ملاخي: 34، 231، 233.

مناحي: 203.

منسي: 162، 163، 165، 168، 215.

مهلائيل بن قنان بن الناس بن شدا بن آدم: 72.

موسى بن عمران: 11، 12، 16، 17، 23، 27، 35،

36، 41، 42، 43، 44، 48، 50، 69، 112،

115، 116، 119، 121، 124، 126، 127،

128، 129، 130، 131، 132، 134، 135،

137، 138، 139، 141، 142، 145، 146،

149، 150، 151، 152، 153، 156، 157،

159، 162، 165، 167، 169، 173، 176،

واسع = هوشع
الواسع بن عيلة = هوشع بن أيلة
واسية (الملك): 17، 36، 43، 126، 128، 215،
219، 220، 228.

الواقم = يهو ياقيم
وتين: 214.
وج عبد الحق (أو عبد الحي): 157، 173، 247.
ود (إله): 92، 93.

الود عزز: 92، 94، 95، 177.
ورش: 95.

ورقة بن نوفل: 69.
الوكيل: 215.

الوليد بن مصعب: 134.
وليم البرايت: 16، 98، 99، 119، 129.
وهب بن منبه: 23، 46، 198، 234.

ي

يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن
آدم: 73.

يافث: 76، 79.

ياقوت الحموي: 195.

ياهو بن نمشي = حي بن نمس
يحيى بن زكريا: 250.

يربعام بن يوأش = ربعان بن عياش
يشوع: 164.

يعقوب (ع): 16، 26، 41، 845، 92، 98، 99، 103،
108، 110، 111، 112، 121، 122، 129،
167، 246، 247، 248، 252، 256، 257.

يغوث: 73.

اليقين = يهو ياكين
يهوذا: 219.

يهوشافاط: 213.

يهو ياقيم بن يوشيا: 219، 220، 222.

يهو ياكين: 215، 219، 221، 222.

75، 76، 79، 80، 83، 85، 87، 91، 101،
106، 113، 115، 132، 246.

نور الدين المستقيم: 182.

نون بن أمية: 208.

نيبور السومري: 71.

نيل سيلبرمان: 21.

ه

هاجر: 12، 101، 106، 107، 109، 121.

هارون: 17، 42، 44، 128، 129، 136، 152، 155،
165، 201.

هامان: 131.

هبل = عبد البعل

هدد بن بدد: 248.

هذال = حزائيل

هرمز: 71.

هشام بن محمد: 249، 250.

هنيعل: 40.

هود: 36، 37، 44، 41، 79، 80، 81، 82، 83، 87،
89، 106، 115، 116، 118، 119، 143، 152،
201.

هودة بن قريش الجزائري: 11.

هودة بن يعقوب: 43، 142، 161، 165، 172،
173، 198، 253.

هوشع بن أيلة: 34، 126، 211.

هيرودس الكبير: 99، 104، 109، 240.

هيرودوت = هيرودوتس: 20، 21، 36، 39، 41،
83، 93، 169، 188، 231، 233، 234، 235،
253.

هिला سيلاسي: 125، 134، 148.

و

الواخذ: 202، 214، 215، 219.

الوازع: 109، 214.

يونس (ع): 20، 34، 35، 208، 209، 210.
يوئيل: 34.

Anu (ملك الآلهة): 100.

Damuzi (إله): 100.

Enki (إلهة الحكمة): 100.

Enlil (ملك الهواء): 100.

Ninurta (إله الحرب): 100.

OSORKON (ملك): 125.

SECONCHIS (ملك): 125.

Tahepenea (الملك): 125.

TEHRAK (الملك): 125.

Zerah (الملك): 126.

يهوداع = الوازع

يوزيبوس: 243.

يوزيوس: 240.

يوسف (ع): 36، 103، 111، 112، 118، 121،

127، 129، 130، 132، 133، 134، 142،

144، 149، 161، 163، 165، 167، 197،

247.

يوسفوس (مؤرخ): 36.

يوشع بن نون: 33، 35، 42، 44، 48، 50، 136،

138، 159، 161، 162، 164، 165، 167،

173، 203.

يوشيا = واسية

يونان = يونس

فهرس الأماكن والبلدان

أ

- إدمة = بلقرن
أديمة: 106، 107.
أراضي أفرايم: 157.
أراضي بني عمليق: 136.
أراضي بني شكيم: 163.
أراضي الجرهميين: 110.
أراضي خزاعة: 163.
أراضي دان: 157.
أراضي السميدع: 163.
أراضي الصريرات: 168.
أراضي ضرس: 163.
أراضي عشيرة: 164.
أراضي العيسى: 164.
أراضي القناوين: 110.
أراضي منسي: 157، 163.
أراضي منهب (موآب): 18، 157، 159، 173.
أراضي نفتالي: 157.
أراضي نقرى: 163.
أراضي هذيل: 110، 162، 163.
أراضي هوذة: 157، 163.
الأردن: 16، 18، 47، 99، 135، 136، 240.
أرض أفتل: 211.
أرض الأرانب: 40.
أرض الأقباط: 127.
- آرام: 91، 92، 95، 139، 240.
آرام بيت رحاب: 93.
آرام دمشق: 93.
آرام ضبة: 92.
آرام مكعت: 93.
آرة: 164.
آسيا: 39، 192.
آسيا الصغرى: 19.
آشور = أثور
آل فروان: 129.
الأبطح: 162، 174.
أبهة: 18، 68، 150، 155، 162، 178، 182.
أبو سنبل: 104.
أثور: 68، 91، 94، 192، 203، 208، 211، 218، 219، 233، 234.
أثينا: 21.
أثيوبيا: 17، 123، 125، 132، 133، 197، 235.
الأحسبة: 164.
الأخدود: 146.
الأخضر الأسفل: 210.
أخضر العرج: 164، 168.
أدانة: 146.

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

إسرائيل: 21، 126، 169، 172، 173، 175، 180،	أرض البلادية: 164، 168، 169.
201، 204، 207، 208، 210، 211، 213،	أرض ثار: 110.
214، 216، 218، 221، 226، 227، 234،	أرض جوشن: 161.
242، 243، 257.	أرض حوالة: 110، 162.
الإسكندرية: 27، 47، 83، 124، 139، 192، 239،	أرض سبأ: 73.
243، 253.	أرض سبط بنيامين: 220.
أسوان: 121.	أرض السواد: 81.
أشدود: 218.	أرض الصفاء: 39.
الأسطاط: 164.	أرض عاد: 117.
أضم: 105، 107، 111، 112، 149، 155، 156،	أرض غطفان: 211.
173، 175، 180.	أرض الغوث: 68.
أعالي الحجاز: 43.	أرض الفروان: 109.
أغري داغ = جبل أرارات	أرض الفروم: 165.
الأغوار التهامية: 156، 163.	أرض الفليته: 163.
أفريقيا: 16، 18، 19، 39، 105، 119، 123، 127،	أرض الكنانة: 41، 104، 105، 121، 124، 130،
132، 146، 185، 186، 187، 256.	131، 158.
أفريقيا الشرقية: 186.	أرض كتعان: 41.
الأفلاج: 246.	الأرض المباركة: 136، 148، 157، 158، 257.
أقداس: 164.	أرض مر: 102.
الأقصر: 216.	أرض مناهب دوس: 156.
إقليم البحرين: 75.	أرض النفعة: 211.
الإقليم الشرق الأوسطي: 21.	أرض نود: 68.
إقليم قنا: 150، 168، 174.	أرض النيل: 121.
أكاد: 233.	أرض وج: 72.
أكسوم: 44، 111، 112، 122، 124، 127، 134،	أرفاد: 218.
146، 197، 223.	إرم ذات العماد: 81، 83.
أم البرك = محطة السقيا	أرمينيا: 19، 75.
أم رحمان = مكة	أرواد: 40.
أم رعط: 155.	أريبي: 105.
أم روح = مكة	أريتريا: 103، 122، 124، 129، 235.
أم زحم = مكة	أريحا: 21، 157.
أم صبح = مكة	أريندو: 71.
أم القرى = مكة المكرمة	إسبانيا: 40.

213، 215، 221، 222، 223، 225، 228،
229، 230، 231، 234، 235، 236، 239،
249، 250، 253.

الباحة: 68، 248.

بادية الشام: 46، 158، 237.

بارق: 143.

باريس: 39، 131.

الباسه = مكة

البتراء: 46، 47، 99.

بثرة = جبل إبراهيم

بجيلة: 69.

بحر أبو سكينه: 207.

البحر الأبيض المتوسط: 20، 39، 40، 121، 157،
186، 188، 236.

البحر الأحمر: 18، 20، 44، 74، 122، 127، 128،

129، 137، 138، 139، 148، 154، 155، 157،

158، 162، 185، 186، 187، 233، 236.

بحر العرب: 19، 20، 39، 40، 118، 128، 137،

148، 186، 236.

بحر القلزم: 39.

البحر الكبير = البحر الأحمر

البحر الميت: 46، 106، 157، 240.

بحر سكينه: 137، 155.

بحر صوفة = بحر الأحمر

بحر عمان: 128، 137.

البحرين: 27، 136، 137، 146، 148، 149.

البدع: 136.

البر الآسيوي الإفريقي: 123، 134، 136، 159.

البر الغربي: 17.

البر المصري: 127، 134.

البر اليمني: 127، 147.

براقش: 43.

برج إيفل: 131.

أم كوئي = مكة

أم لج: 158.

إمرة: 82.

أملج: 164.

أميركا: 16، 49.

أميركا الشمالية: 236.

الأناضول: 82.

الأنبار: 249، 250.

الأندلس: 47، 256.

أنطاكية: 239.

أنواط = مدينة عناثوث

أورشليم: 12، 20، 21، 36، 41، 171، 173، 184،

188، 197، 203، 215، 217، 218، 219،

220، 221، 222، 223، 228، 231، 235،

236، 240، 243، 251، 254.

أوروبا: 22، 71، 192، 236، 253.

أوروبا الشرقية: 256.

أوغاريت: 42.

أوغندا: 182.

أوفير: 186.

أوكرانيا: 256.

إيران: 71.

إيكمت: 127، 144.

إيلات: 138، 186.

إيليانا كاييتولينا: 254.

ب

الباب الأعظم: 190.

باب بني شية: 190.

باب جدة = باب السمك

باب السمك: 174.

باب المنذب: 123، 127، 128، 134، 136، 137،

146، 147، 148، 218.

بابل: 21، 36، 39، 41، 46، 48، 71، 81، 83، 91،

94، 114، 162، 173، 182، 188، 192، 198.

بلاد زهران: 76، 105، 178، 180، 247.
 بلاد سفيان: 168.
 بلاد الشام: 19، 39، 93، 99، 119، 192، 237، 252.
 بلاد شنعار: 81.
 بلاد العرب: 49، 111، 202.
 بلاد عذرة: 93.
 بلاد غرب المتوسط: 22.
 بلاد فونيقا: 39.
 بلاد القبط: 16، 17، 18، 19، 21، 22، 27، 41، 42، 43، 71، 93، 98، 99، 104، 105، 119، 121، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 131، 132، 133، 134، 139، 158، 183، 187، 197، 204، 215، 223، 231، 233، 235، 236، 239، 240، 243، 253، 255.
 بلاد كنانة: 133.
 بلاد ما بين النهرين: 100، 152، 234.
 بلاد النيل: 22، 104، 130.
 بلاد يهوذا: 217.
 البلد = مكة
 بلد الله تعالى = مكة
 البلد الأمين = مكة
 بلد حباب حمو موسى: 129.
 البلد الحرام = مكة
 البلدة = مكة
 بلدة إدامة: 125.
 بلدة العقيق: 68.
 بلدة فنوءل: 203.
 بلدة قبر النبي هود: 79.
 بلدة الوجه: 19.
 بلقرن: 178.
 البنة: 86.
 بني عمق: 155.

رميناء: 17.
 لبرقا: 164.
 لبرك: 149، 155، 158، 199.
 ركة = حابر
 ركة جروول: 174.
 ركة سلوان: 174.
 ركة عشيرة: 158.
 ركة العقيق = ريلة
 مديني: 129، 137، 142، 143، 155.
 بيرية: 136، 138، 150، 155.
 رية بنو غنم: 157.
 رية سنا = فرعة سنان
 رية ضن (الضنك): 155، 158.
 رية فروان: 95.
 ريده: 32، 82.
 ريطانيا: 28.
 ريمس: 146.
 لبصرة: 82، 183.
 لبطاح: 174.
 طن أراط: 77، 80، 91.
 طن الفقي: 81.
 عداد: 82.
 لبقوم: 110.
 مكة = مكة
 بلاد الإحجور، حجر: 112، 178، 246.
 بلاد الأزد: 93.
 بلاد الأنباط العرب: 47.
 بلاد البحر الإريثيري: 39.
 بلاد ثمود: 87.
 بلاد الحثيين: 19.
 بلاد دوس: 207.
 بلاد الرافدين: 16، 41، 71، 82، 92، 94، 98، 99، 100، 129، 182، 183، 192، 204، 231، 235.

برصيناء: 17.

البرقا: 164.

البرك: 149، 155، 158، 199.

بركة = حابر

بركة جروول: 174.

بركة سلوان: 174.

بركة عشيرة: 158.

بركة العقيق = ربله

برمدينى: 129، 137، 142، 143، 155.

البرية: 136، 138، 150، 155.

برية بنو غنم: 157.

برية سنا = فرعة سنان

برية ضن (الضنك): 155، 158.

برية فروان: 95.

بريدة: 32، 82.

بريطانيا: 28.

بريمس: 146.

البصرة: 82، 183.

البطاح: 174.

بطن أراط: 77، 80، 91.

بطن الفقي: 81.

بغداد: 82.

البقوم: 110.

بكة = مكة

بلاد الإحجور، حجر: 112، 178، 246.

بلاد الأزد: 93.

بلاد الأنباط العرب: 47.

بلاد البحر الإريثيري: 39.

بلاد ثمود: 87.

بلاد الحثيين: 19.

بلاد دوس: 207.

بلاد الرافدين: 16، 41، 71، 82، 92، 94، 98، 99.

100، 129، 182، 183، 192، 204، 231، 235.

بلاد زهران: 76، 105، 178، 180، 247.

بلاد سفيان: 168.

بلاد الشام: 19، 39، 93، 99، 119، 192، 237.

252.

بلاد شنعار: 81.

بلاد العرب: 49، 111، 202.

بلاد عذرة: 93.

بلاد غرب المتوسط: 22.

بلاد فونيقا: 39.

بلاد القبط: 16، 17، 18، 19، 21، 22، 27، 41.

42، 43، 71، 93، 98، 99، 104، 105، 119.

121، 124، 125، 126، 127، 128، 129.

131، 132، 133، 134، 139، 158، 183.

187، 197، 204، 215، 223، 231، 233.

235، 236، 239، 240، 243، 253، 255.

بلاد كنانة: 133.

بلاد ما بين النهرين: 100، 152، 234.

بلاد النيل: 22، 104، 130.

بلاد يهوذا: 217.

البلد = مكة

بلد الله تعالى = مكة

البلد الأمين = مكة

بلد حباب حمو موسى: 129.

البلد الحرام = مكة

البلدة = مكة

بلدة إدامة: 125.

بلدة العقيق: 68.

بلدة فنوءل: 203.

بلدة قبر النبي هود: 79.

بلدة الوجه: 19.

بلقرن: 178.

البنّة: 86.

بني عمق: 155.

البيت الأسف: 127، 144.

برميناء: 17.	بلاد زهران: 76، 105، 178، 180، 247.
البرقا: 164.	بلاد سفيان: 168.
البرك: 149، 155، 158، 199.	بلاد الشام: 19، 39، 93، 99، 119، 192، 237، 252.
بركة = حاير	بلاد شنعار: 81.
بركة جروول: 174.	بلاد العرب: 49، 111، 202.
بركة سلوان: 174.	بلاد عذرة: 93.
بركة عشيرة: 158.	بلاد غرب المتوسط: 22.
بركة العقيق = ريلة	بلاد فونيقا: 39.
برمديني: 129، 137، 142، 143، 155.	بلاد القبط: 16، 17، 18، 19، 21، 22، 27، 41، 42، 43، 71، 93، 98، 99، 104، 105، 119، 121، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 131، 132، 133، 134، 139، 158، 183، 187، 197، 204، 215، 223، 231، 233، 235، 236، 239، 240، 243، 253، 255.
البرية: 136، 138، 150، 155.	بلاد كنانة: 133.
برية بنو غنم: 157.	بلاد ما بين النهرين: 100، 152، 234.
برية سنا = فرعة ستان	بلاد النيل: 22، 104، 130.
برية ضن (الضنك): 155، 158.	بلاد يهوذا: 217.
برية فروان: 95.	البلد = مكة
بريدة: 32، 82.	بلد الله تعالى = مكة
بريطانيا: 28.	البلد الأمين = مكة
بريمس: 146.	بلد حباب حمو موسى: 129.
البصرة: 82، 183.	البلد الحرام = مكة
البطاح: 174.	البلدة = مكة
بطن أراط: 77، 80، 91.	بلدة إدامة: 125.
بطن الفقي: 81.	بلدة العقيق: 68.
بغداد: 82.	بلدة فنوول: 203.
البقوم: 110.	بلدة قبر النبي هود: 79.
بكة = مكة	بلدة الوجه: 19.
بلاد الإحجور، حجر: 112، 178، 246.	بلقرن: 178.
بلاد الأزد: 93.	البنة: 86.
بلاد الأنباط العرب: 47.	بني عمق: 155.
بلاد البحر الإريتيري: 39.	البيت الأبيض: 127، 144.
بلاد ثمود: 87.	
بلاد الحثيين: 19.	
بلاد دوس: 207.	
بلاد الرافدين: 16، 41، 71، 82، 92، 94، 98، 99، 100، 129، 182، 183، 192، 204، 231، 235.	

تهامة: 19، 25، 43، 44، 69، 73، 76، 95، 105،
107، 108، 109، 112، 122، 129، 136،
138، 139، 149، 150، 155، 156، 168،
173، 174، 175، 176، 177، 186، 198،
217، 251.

تهامة بني شهر: 158.

تهامة الحجاز: 12، 25، 115، 216.

تهامة عسير: 139، 150، 207، 247.

تهائم اليمن: 251.

تيماء: 118.

التيه: 17، 22، 130، 134، 135، 139، 141، 154،

155، 173، 247.

تیه أبین: 83.

تیه سیناء: 23.

ث

ثبير مزينة: 164.

ثرا: 164.

ثراد: 68.

الثعالبية: 164.

ثنية نقرى: 163.

ج

جازان: 158، 211، 219.

الجامعة الأميركية: 12، 13، 15.

جامعة أم القرى: 189.

جامعة جون هوبكنز الأميركية: 119.

الجائزة: 149، 161، 168، 169، 172، 177.

جائزة الليث: 76.

جبال تهامة: 112، 158، 161، 162، 168، 172،

205.

جبال تهامة الحجاز: 20، 154، 238.

جبال تهامة العليا: 158.

جبال قدس: 168، 210.

بيت الله الحرام: 18، 23، 176، 179، 190، 192،
193، 216، 257.

بيت إيل: 102، 203، 205.

بيت عبد الدايم: 176.

البيت العتيق = مكة

البيت الكبير = قصر الحكم

بيت معكة: 210.

بيت المقدس: 25، 188، 192، 237، 240، 257.

بئر الشبابة = بئر زمزم

بئر زمزم: 107، 109، 112، 179، 189، 190، 198،
207.

بئر شباع: 185.

بيروت: 13، 15، 26.

بيرين: 111.

بيسان: 243.

بيشان: 68، 156، 165.

بيشة: 68، 94.

ت

تبوك: 86، 157.

تثليث: 92، 94.

تخوم الكنانى: 76.

تدمر: 46، 47، 93.

تربة: 92، 111، 178، 203.

ترشيش: 186، 208.

ترصة: 203.

ترعة ثقيف: 156.

تركيا: 16، 49، 92.

تره = مكة

تريم: 43.

تل العمارنة: 22، 42، 128.

تل مروان: 162.

تلة الدوير الفلسطينية: 20.

تمنع: 39، 43، 44.

تمن: 157.

- جبال قرا: 119.
 جبعة: 163.
 جبعة شاول: 218.
 جبعون: 161.
 جبل آل فروان: 174.
 جبل إبراهيم: 105، 107، 157.
 جبل أحد: 75، 158.
 جبل أرارات: 75.
 جبل التهوى: 155.
 جبل ثبير: 168.
 جبل جرزيم: 204، 205.
 جبل جلدان المناصف: 92، 94.
 جبل الجودي: 75، 77، 80.
 جبل حراء: 106، 179.
 جبل حرب: 135، 136، 207.
 جبل حصن: 74، 93.
 جبل الحوراء: 155، 158.
 جبل حير: 155.
 جبل الدمة: 205.
 جبل الرحمة: 111.
 جبل ريمان المجادرة: 155.
 جبل سيناء: 129، 136، 154، 174.
 جبل شدا: 67.
 جبل شعر: 162.
 جبل شمنصير: 203.
 جبل صيفر: 155.
 جبل صهيون: 174، 218، 235.
 جبل الضنك: 155.
 جبل طارق: 187.
 جبل الطور: 27، 129، 137، 150.
 جبل طويق: 75، 91، 92، 118.
 جبل العارض: 75، 85، 91.
 جبل عفار: 168.
 جبل عفف: 156.
 جبل عيبال: 204، 205.
 جبل غيلان: 75.
 جبل الفران: 169، 203.
 جبل فرعة سنان: 198، 199.
 جبل قادش: 216.
 جبل قبيس: 173، 174، 185، 189، 198.
 جبل الكامل = جبل الكرمل.
 جبل الكرمل: 205.
 جبل لبن الأسفل: 188.
 جبل لبن الأعلى: 188.
 جبل لوذ: 73.
 جبل ماسيس: 75.
 جبل المقدس = جبل الطور.
 جبل موسى: 135، 136.
 جبل نبو = جبل إبراهيم.
 جبل هذيل: 161.
 جبلة: 172.
 جبيل (الخليج العربي): 40.
 جبيل (اللبنانية): 40.
 جحصة: 156.
 الجحفة: 164، 169.
 الجدار الغربي: 240.
 جدة: 73، 74، 213.
 جدم: 168، 172.
 جرش: 73.
 جزائر الباليارد: 40.
 جزائر البحر: 218.
 الجزائر البريطانية: 40.
 الجزيرة السورية: 40.
 جزيرة سيناء: 17.
 جزيرة العرب: 11، 12، 15، 19، 21، 22، 25، 26، 29، 30، 33، 39، 41، 43، 44، 49، 50.

الحاطمة = مكة	71، 72، 77، 81، 82، 91، 94، 97، 98، 100،
حابر: 97.	101، 112، 118، 119، 123، 126، 129،
حائط بني غير: 81، 87، 97، 98.	170، 186، 191، 192، 204، 230، 233،
حائط المبكى: 187، 240.	234، 235، 236، 237، 238، 239، 242،
حائل: 43، 192.	243، 249، 251، 253، 257.
حبرون: 161، 173، 175.	الجزيرة الفراتية: 95.
الحبشة: 19، 39، 44، 103، 104، 11، 112، 122،	جزيرة المحرق البحرينية: 40.
124، 125، 129، 133، 134، 139، 146،	الجمرة: 102، 110، 163، 203، 205.
148، 152، 158، 169، 197، 215، 216،	جلجل = جليل
219، 223، 229، 243، 247.	جلدان: 111، 157، 169، 211.
الحجاز: 11، 12، 16، 17، 18، 21، 42، 44، 49،	جلعاد: 16، 92، 157.
72، 74، 94، 102، 103، 105، 116، 123،	جلق: 93.
127، 129، 134، 146، 162، 167، 178،	جلق الشام: 83.
182، 193، 204، 216، 223، 225، 233،	الجليل: 20، 161، 164، 240.
234، 248، 251، 255، 256.	جليل الشام: 204.
حجل بللحمر: 68.	الجناب: 103، 105.
الحجر الأسود: 13، 195، 196، 197، 198، 199،	الجنوب العربي: 19، 39، 40، 41، 187.
حجر اليمامة: 85، 86، 136، 247، 252.	الجنوب الفرنسي: 40.
الحجون: 180.	جوا اليمامة: 86.
حرات العقيق: 107.	جوبا: 131.
حران: 16، 92.	جوحان: 68.
حرة البقوم: 92.	جوزان = جازان
حرة بني سليم: 163.	الجوف: 187.
حرة رهاط: 20، 163، 211.	الجي الريع: 174.
حرة السلميين: 161.	جي بن هنوم: 174.
حرة المناصف: 92، 94، 110.	جي سين = ضنك
الحرم = مكة	جبيوتي: 186، 189.
الحرم الإبراهيمي: 99.	جبة حفر = حفير
حرم الله تعالى = مكة	جيحون: 174.
الحرمة = مكة	جيزان: 122، 156.
حريشة: 168.	
حريضة: 155.	
حصن جعدة: 86.	

ح

حابل: 69.

حاران = خيران

- حضر موت: 16، 40، 76، 79، 123.
حضور: 161، 210، 250، 251.
الحضر (مدينة): 82.
حفير: 163، 164، 208.
حقال: 168.
حكاك: 164.
حلب: 47.
حليح (مدينة): 211.
الحلقة: 162، 164.
حلية: 168.
حماة = حمى
حماطة: 95.
حمى: 164، 217، 218.
حمى ضبة: 95.
حنين: 162.
الهوراء: 164.
حوران بيثة: 231.
حوطه سدبر: 81، 87، 97.
الحوية: 111، 161، 169، 201، 203، 205.
حوية الطائف: 102، 165، 205.
الحيرة: 39، 46، 204، 249.
- خ**
- خبت كباد: 155.
خربة: 251.
الخرج: 81، 86.
الخرم: 161، 164.
الخرمة: 94.
الخشاش: 219.
خشبان: 156.
خضرا: 155.
خضراء حجر: 86، 87.
الخضرة: 81، 86.
نضيرة: 210.
- الخليج العربي: 39، 75، 137، 208.
خليج العقبة: 128، 137، 157.
خليص: 164، 204.
الخليل: 106، 109.
خميس البحر: 129، 174.
خميس مشيط: 155.
خير: 164.
خير الكدكد: 155.
خيران: 92، 98، 101، 109، 110، 115، 219، 246.
خيوان (قرية): 73.
- د**
- دادان العلا: 164.
دار الكتاب المقدس: 28.
دثن: 111.
دجلة: 82، 83.
درب البخور الشرقي: 82.
درب الجودي: 75، 91.
درب زبيدة: 55، 82، 106، 205.
درب الفيل: 106.
الدرعية: 75، 91.
دعمت (مملكة): 122.
دفقة: 155.
دمشق: 43، 93، 94، 218.
دمنة السرحات: 165.
دوس زهران: 107.
دوقة: 163، 164.
دومة: 110.
دومة الجندل: 73، 235.
ديار بني خالد: 97.
ديار ثمود: 85، 86.
ديار جدبس: 80، 81، 97.
ديار سليم: 203.

- حضر موت: 16، 40، 76، 79، 123.
حضور: 161، 210، 250، 251.
الحفر (مدينة): 82.
حفير: 163، 164، 208.
حقال: 168.
حكاك: 164.
حلب: 47.
حليح (مدينة): 211.
الحلقة: 162، 164.
حلية: 168.
حماة = حمى
حماطة: 95.
حمى: 164، 217، 218.
حمى ضبة: 95.
حنين: 162.
الهوراء: 164.
حوران بيثة: 231.
حوطة سدير: 81، 87، 97.
الحوية: 111، 161، 169، 201، 203، 205.
حوية الطائف: 102، 165، 205.
الحيرة: 39، 46، 204، 249.
- خ**
- خبت كباد: 155.
خربة: 251.
الخرج: 81، 86.
الخرم: 161، 164.
الخرمة: 94.
الخشاش: 219.
خشبان: 156.
خضرا: 155.
خضراء حجر: 86، 87.
الخضرمة: 81، 86.
خضيرة: 210.
- الخليج العربي: 39، 75، 137، 208.
خليج العقبة: 128، 137، 157.
خليص: 164، 204.
الخليل: 106، 109.
خميس البحر: 129، 174.
خميس مشيط: 155.
خيبر: 164.
خير الكدكد: 155.
خيران: 92، 98، 101، 109، 110، 115، 219، 246.
خيوان (قرية): 73.
- د**
- دادان العلا: 164.
دار الكتاب المقدس: 28.
دثن: 111.
دجلة: 82، 83.
درب البخور الشرقي: 82.
درب الجودي: 75، 91.
درب زبيدة: 55، 82، 106، 205.
درب الفيل: 106.
الدرعية: 75، 91.
دعمت (مملكة): 122.
دفقة: 155.
دمشق: 43، 93، 94، 218.
دمنة السرحات: 165.
دوس زهران: 107.
دوقة: 163، 164.
دومة: 110.
دومة الجندل: 73، 235.
ديار بني خالد: 97.
ديار ثمود: 85، 86.
ديار جديس: 80، 81، 97.
ديار سليم: 203.

- ديار عاد: 87.
ديار عتيبة: 168.
ديار مذحج: 93.
ديدان = العلا
- رنية: 92.
رهاط: 163، 201، 203، 218.
روضة بني سيد: 107.
روضة الحازمي: 81.
روضة السدير = روضة الحازمي
الروقة: 164.
روما: 40، 47، 187، 188، 240، 243، 254.
الروثة: 164.
الرياض: 75، 81، 86.
الرياض الشرقية: 97.
الرياض الشمالية: 97.
الريث: 155.
ريحة: 161، 205.
ريسوت: 186، 236.
ريم: 155.
رثم: 164.
رثم المطيري: 164.
- ز
الزبير: 82.
زهران: 207.
زيمبابوي: 186.
الزيمة: 205.
- س
الساحل الإفريقي: 123، 147.
الساحل السينائي: 157.
ساراي: 103.
الساق = مكة
السامرة (سامراء): 82، 201، 202، 204، 208،
211، 213، 218، 224، 229، 231، 234.
سبأ: 18، 118، 125، 185، 187، 191، 223.
سبسطية: 204.
السبوحة = مكة
ستارة: 164.
- ذ
ذات عرق الميقات: 113.
ذرة: 164.
ذو الحليفة: 164.
ذو طوى: 176.
- ر
رابغ: 164، 169، 216.
الرأس = مكة
رأس شمرا: 42، 128.
رأس محمد: 128، 137.
رأس مسندم: 128، 137.
الرامة: 218.
ربع الحجون: 174.
الربع الخالي: 79.
ربلة: 158، 222، 248.
ربوع العين: 105، 107، 108، 109، 111، 112،
161، 173، 175، 180.
الرتاج = مكة
رجبة: 93، 217.
رحبي = رجبة
رصف: 219.
رفود: 129، 137، 155، 219.
رفيدة: 137، 150، 155.
الرقعي: 82.
رمان: 164.
الرمة: 82، 113.
رمت جلدان: 94.
رمت المصفى = رمت جلدان

ص

صبياء: 109، 158، 185.

صبيب: 68.

صحراء الدناكل: 127.

صحراء الدهناء: 82.

صحراء سيناء: 104، 135، 152.

صحراء ضنكان: 174.

الصحراء الليبية: 121.

صحراء مدين: 128.

صحراء النقب: 106، 186.

صرواح: 43.

صعيد عرفة: 111.

صفرة بني حسن: 106، 107.

الصفاء: 43، 223.

الصفاح: 163.

الصفراء: 164، 219.

صفينة: 158.

الصلاح = مكة

صور العمانية: 40، 185، 186.

صور اللبنانية: 18، 19، 20، 21، 40، 221.

الصومال: 123، 129، 147.

صيدون: 221.

الصين: 71.

صيون = سيثون

ض

ضبة: 94، 95، 177.

ضرس: 204.

ضرعاء: 164.

الضعن: 164.

الضفة الشرقية: 44، 122.

الضفة الغربية: 21، 44، 122، 243.

ضنك: 129، 149، 174، 235.

ضنكان: 199.

ضميم: 168.

ط

طارخ: 155.

الطارفي: 162.

الطائف: 72، 74، 76، 77، 92، 103، 115، 154.

156، 157، 158، 162، 168، 169، 188.

205، 247، 248، 251.

طبرية: 11، 47، 255.

طحاحين محاييل: 155.

الطور: 75.

طور سيناء = جبل المقدس

طية = مكة

طية (القصر): 105، 216.

ظ

ظفار: 39، 76، 119.

ع

عاذر: 156.

العارض: 80.

عارض اليمامة: 75.

العالم العربي: 28.

عالية نجد: 75.

عائرة: 157.

عامر: 106.

عدن: 67، 68، 83، 236، 246.

العذراء = مكة

عرّ داود: 175.

العراق: 20، 46، 47، 93، 98، 100، 119، 183.

192، 210، 236، 237، 242، 243، 251.

253، 255.

عربة (منطقة): 248، 250.

العرج: 111، 155، 156.

ص

صبياء: 109، 158، 185.

صبيب: 68.

صحراء الدناكل: 127.

صحراء الدهناء: 82.

صحراء ميناء: 104، 135، 152.

صحراء ضنكان: 174.

الصحراء الليبية: 121.

صحراء مدين: 128.

صحراء النقب: 106، 186.

صرواح: 43.

صعيد عرفة: 111.

صغرة بني حسن: 106، 107.

الصفاء: 43، 223.

الصفاح: 163.

الصفراء: 164، 219.

صفينة: 158.

الصلاح = مكة

صور العمانية: 40، 185، 186.

صور اللبنانية: 18، 19، 20، 21، 40، 221.

الصومال: 123، 129، 147.

صيدون: 221.

الصين: 71.

صيون = سيثون

ض

ضبة: 94، 95، 177.

ضرمس: 204.

ضرعاء: 164.

الضعن: 164.

الضفة الشرقية: 44، 122.

الضفة الغربية: 21، 44، 122، 243.

ضنك: 129، 149، 174، 235.

ضنكان: 199.

ضميم: 168.

ط

طارخ: 155.

الطارقي: 162.

الطائف: 72، 74، 76، 77، 92، 103، 115، 154،

156، 157، 158، 162، 168، 169، 188،

205، 247، 248، 251.

طبرية: 11، 47، 255.

طحاحين محاييل: 155.

الطور: 75.

طور سيناء = جبل المقدس

طيبة = مكة

طيبة (القصر): 105، 216.

ظ

ظفار: 39، 76، 119.

ع

عاذر: 156.

العارض: 80.

عارض اليمامة: 75.

العالم العربي: 28.

عالية نجد: 75.

عائرة: 157.

عامر: 106.

عدن: 67، 68، 83، 236، 246.

العذراء = مكة

عرّ داود: 175.

العراق: 20، 46، 47، 93، 98، 100، 119، 183،

192، 210، 236، 237، 242، 243، 251،

253، 255.

عربة (منطقة): 248، 250.

العرج: 111، 155، 156.

التوراة الحجازية: تاريخ الجزيرة المكنوز

الغالة: 218.	عرج الطائف: 161، 164.
الغبرة: 155، 156.	العُرش = مكة
غرابة الطائف: 248، 251.	العرضان: 162.
غزة: 18، 161.	العرضيات/العرضية: 69، 178.
غميقة: 172، 175.	عرفة: 111، 168، 170، 171، 172، 174، 216.
غوث: 218، 219.	عرن = وادي عرنة
الغور: 205.	العرنين: 156.
غور الباسيين: 175.	العروش = مكة
غور تهامة: 251.	العروض = جبال تهامة
غور حبران: 172.	عري السلام = مكة
غيلان: 218.	العريش = مكة
ف	عسفان: 163، 202، 204، 208، 213، 224، 234.
فاران = مكة	عسير: 12، 33، 68، 91، 112، 137، 156، 182، 248.
فارس: 36، 233، 237.	العسيلة = جبعة شاول
الفالق الأفريقي: 146.	عشم: 164.
الفاو: 43، 91، 92، 94، 95، 98، 101.	عصيون جابر: 138، 155، 156، 186.
فتروس: 218.	العفار: 186، 189.
فدان آرام: 98.	العقبة: 136، 138.
فدن: 92.	عقبة ضلع: 158، 162.
الفرات: 22، 46، 82، 83، 98، 116، 158، 243، 249.	عقيق الباحة: 68.
فرشاط = فتروس	عكاظ: 207.
فرعة الجزل: 158.	العلا: 85.
فرعة سنان: 129، 137، 150، 155، 174.	عمان: 69، 79، 83، 186.
الفروم: 163.	عودة سدير: 75، 77، 80، 91، 115.
الفسطاط: 124.	العوسجة: 82.
فلاسة = فلاستيين: 149، 169، 171، 172، 177.	عوية = عياث
فلسطين: 11، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22.	العي: 102.
24، 25، 33، 41، 42، 47، 98، 99، 102.	عياث: 218.
106، 108، 112، 126، 128، 133، 136.	عيفان: 161، 163، 205.
138، 139، 169، 175، 186، 187، 192.	عين سلمى: 174.
193، 199، 204، 224، 231، 232، 234.	عينين: 158، 164، 210.
235، 237، 239، 240، 242، 253، 255.	
256، 257.	غ

فبع اللبانية (قرية): 40.

فيلة: 104.

فينيقيا: 128.

ق

القادس = مكة

قادش برنيع: 129، 136، 137، 138، 155، 216.

القارة الأفريقية: 186.

القاهرة: 124.

قبرص: 40.

قبرية جبل التهوى: 137.

قبع: 218.

قبع العسيلة = جبعة

قبع الليث: 161.

قبنان: 18، 39، 43.

قحمة: 155.

القدس: 18، 20، 21، 187، 240، 243، 257.

قديمة عقيل عامر: 92.

قديمة العوامر: 110.

قرطاجة: 40.

قرن: 161، 218.

قرن المنازل: 158، 162، 164.

قرن ظبي: 106، 107.

قرنو: 43.

قرية بني سدوس: 81، 86، 87.

قرية ثمود: 44.

قرية جودة: 75.

قرية الحائر: 97.

قرية الحباب: 143.

قرية الحمس = مكة

قرية الدار: 161.

قرية داود: 175.

قرية سدم = قرية سيدان بني سيد

قرية سيدان بني سيد الزهرانية: 107.

قرية عروان: 42، 162، 163، 176.

قرية المجاهدين: 162، 176.

قرية النمل = مكة

قرين عرفة: 149، 162.

قصر أرز اللبين: 19.

قصر الحكم Ripu: 127.

قصر سليمان بن داود: 81.

قصر الشموس: 86.

قصر طليحان: 39.

قصر معتق: 86.

القصيم: 32، 82، 116، 118، 251.

القطب الشمالي: 182.

قطوراء: 179.

قمران: 46.

قناة: 164.

قناة السويس: 17، 127، 128، 146.

القنعاء: 164.

القنفذة: 138، 163.

قنونا: 164.

القوز: 138.

القوقاز: 71، 76.

قيصرية: 243.

قيمة = كيمت

ك

كيبك = قبع

الكدة: 138، 161.

كدسة بلعير = قادش برنيع

كراء: 76.

كركميش: 217.

كريت: 40.

كساب: 188.

كشب: 161.

- المروة: 108.
مزدلفة: 196.
المساهرة: 155.
المسجد الأقصى: 21، 25، 187، 237، 241، 242، 243، 255.
مسجد إيليا: 241.
المسجد الحرام = مكة
مسجد الصخرة: 243.
مسجد الكعبة: 241.
المسئلة: 174.
مصدرة (أي قلعة): 173، 175.
مصر: 17، 19، 21، 22، 23، 32، 41، 42، 103، 104، 105، 107، 109، 111، 112، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 130، 131، 133، 134، 136، 139، 141، 142، 144، 145، 147، 148، 149، 152، 156، 158، 159، 197، 214، 215، 216، 218، 219، 223، 228، 231، 235، 247، 255.
المصفاة = الصفا
مطار الباحة: 68.
مطرة: 103، 111، 112، 123، 129، 134، 197، 235.
المعابد الجنوبية: 104.
معابد الكرنك: 104.
معابد النيل: 130.
المعاذ = مكة
معبد آمون: 233.
معبد جوبيتر الكبير: 240، 243، 254.
معبد عشتار: 83.
معبد الكابيتول: 240.
معبد الكرنك: 216.
المعطشة = مكة
- المعلاة: 173، 174، 180، 189، 190، 191.
المعيصم: 162.
مغارة المكفيلة: 99.
مغارة غيران: 179.
المغرب: 256.
المغمس: 172، 218.
مفازة صيهد اليمنية: 43.
مقبرة الحجون: 173، 180، 185.
المقدسة = مكة
مكة المكرمة: 12، 20، 23، 24، 25، 27، 42، 55، 69، 79، 83، 92، 95، 101، 102، 103، 106، 108، 109، 112، 139، 149، 161، 162، 173، 163، 174، 175، 177، 179، 182، 183، 184، 187، 190، 192، 196، 199، 203، 204، 213، 215، 216، 217، 219، 224، 230، 241، 251، 252، 254.
مكتبة الإسكندرية: 255.
المكنان = مكة
الملحاء: 158.
مملكة إسرائيل: 126.
المملكة الأردنية الهاشمية: 157.
مملكة جعزية: 223.
المملكة الجنوبية: 213، 228.
مملكة حدياب المشرقية: 256.
مملكة الخزر: 256.
مملكة داود: 158، 233.
مملكة سليمان: 158، 163، 201، 213، 233.
المملكة الشمالية: 201، 203، 210.
المملكة الوسطى: 104.
مملكة هوذة: 126، 163، 175، 176، 180، 202، 204، 207، 213، 218، 219، 222، 224، 225، 228، 231، 234، 237، 242.
مناجم الفيروزي: 42.

- المناحي: 111.
المناطق الساحلية: 17.
المناهب: 207.
منخفض حرص: 75.
منطقة بني حضاريت: 137.
منطقة حرب: 135.
منطقة رجال ألمع: 155، 137.
منطقة الرفود: 136، 150، 178، 219.
المنطقة الشرقية: 91، 98.
المنطقة الغورية: 163.
منطقة كباد: 137.
المنطقة الوسطى: 104.
منى: 162، 170، 174.
موآب: 18، 221.
ميتاني: 216.
ميسان: 111.
الميقات المكي: 251.
ميناء جدة: 126.
ميناء الشعبية: 223.
ميناء النبي سليمان = عصيون جابر
- نجد الجنوبية: 79.
نجد السراة: 110.
نجد الطائف: 111، 161، 162، 165، 168، 211.
نجد عسير: 68، 81، 91، 110، 177، 207.
نجد قشير: 93.
نجران: 43، 93، 94، 95، 118، 122، 177، 187.
207، 249.
النجف: 249.
نخب: 168.
نخلة الشامية: 163.
نخلة اليمانية: 162.
النقب: 157.
نقرة الغراب = مكة
نمرة = نيمر
نهر الأزرق: 131، 144.
نهر البيض: 131، 144.
نهر خابور: 211.
نهر الرदन: 21.
نهر عطبرة: 131، 144.
نهر النيل: 131، 133، 144، 146، 147، 152، 236، 158.
نهر النيلين: 131.
نوب = نباوة
نينوى: 20، 81، 91، 201، 203، 208، 210، 219.
234، 239، 255.
نيو أورليانز: 236.
نيوهاكشاير: 236.
نيويورك: 236.
- ه
الهدا: 163، 188.
الهضبة الإثيوبية: 127، 131.
هضبة الحبشة: 44، 124، 125، 133، 144.
الهلل الخصيب: 16، 236.
- نابلس: 204، 257، 205.
النادرة = مكة
الناسة = مكة
النامية = مكة
نباوة: 218.
نبوح = قنة
نجد: 16، 21، 68، 80، 85، 87، 88، 91، 92، 100، 103، 113، 115، 123، 129، 157.
162، 192، 246.
نجد الباحة: 68.
نجد بلجرشي: 93.
نجد بلحارث: 111.
نجد ثقيف: 143.

همدان: 73.

الهند: 18، 19، 39، 185، 186، 196، 239، 253.

هوازن: 93، 197.

هوذة الفلسطينية: 247.

هونغ كونغ: 186.

هيكل أورشليم: 237.

هيكل بعل: 214.

هيكل سليمان: 42، 187، 188، 251.

و

وادي أبراد: 93.

وادي إبراهيم: 174، 179.

وادي الأخيضر: 248، 251.

وادي أراط: 75.

وادي أضم: 108، 168، 217.

وادي أمق: 216.

وادي الباطن: 82.

وادي بيشان: 157.

وادي بيثة: 68.

وادي تثليث: 68.

وادي تربة: 92.

وادي تمن: 157.

وادي الجزل: 154.

وادي جلال: 20.

وادي حابر: 97.

وادي حضرموت: 43.

وادي حلي: 129، 143، 163.

وادي حمض: 158.

وادي حنين: 217.

وادي خشان: 206.

وادي رنية: 68، 94.

وادي الدواسر: 43، 92، 94، 98، 101، 103، 109.

110، 113، 115، 157، 158، 165، 177.

185، 246.

وادي الرفاعيين: 174، 176، 179.

وادي الرمة: 81، 116، 118.

وادي الزبارة: 163.

وادي ساية: 164.

وادي سدر: 108، 109.

وادي سدير: 75.

وادي الشحوط: 217.

وادي شرب: 161، 210.

وادي الشرى: 110، 150.

وادي الصحراء: 174.

وادي صلبوخ: 97.

وادي الصوير: 164.

وادي ضرعاء نعمان: 169.

وادي طوى: 129، 173، 176، 185.

وادي طيه = وادي حلي

وادي عر: 175.

وادي العرج: 105، 107، 173، 210، 248، 251.

وادي عردة: 156.

وادي عرفة: 177.

وادي عرنة: 162، 216.

وادي عمق: 217.

وادي الغالة: 167.

وادي غران: 163، 204.

وادي فح: 172.

وادي الفرات: 158.

وادي الفرع: 169.

وادي فرعة الجزل: 158.

وادي الفققي: 75.

وادي القرى: 85، 158، 185.

وادي قنا: 95، 110، 129، 137، 142، 143.

وادي القنفذة: 164.

وادي الليث: 173.

ي

ي	وادي المجذومين: 204.
يانوح: 210.	وادي المحرم: 161.
يبة: 155.	وادي مر الظهران: 201، 74.
يثرب: 83.	وادي مربة: 129.
يزرعيل: 204.	وادي مرة: 155، 149.
يشحت = وادي الشحوط	وادي مركوب: 163.
يششور: 216.	وادي المصريين: 158.
يلملم: 168، 164.	وادي نخلان: 185، 162، 158، 154، 109.
اليمامة: 91، 89، 87، 85، 80، 77، 75، 44، 43.	وادي نخلة: 168.
92، 97، 98، 115، 116، 118، 246.	وادي نعمان الأراك: 171.
اليمن: 16، 17، 20، 21، 33، 39، 43، 44، 72.	وادي النيل: 22، 122، 126، 144.
73، 76، 94، 98، 111، 112، 123، 127.	وادي وج: 77، 157.
129، 133، 147، 148، 152، 158، 162.	وادي يبة: 174.
219، 234.	وادي يلملم: 217.
ينبع: 164، 73.	وبار: 83.
ينمر: 216.	الوجه: 138، 76.
اليونان: 20، 39، 75، 123، 124، 183.	ودان: 203.
	وراح: 157.
	ورقان: 164.



هذا الكتاب

كشف جديد يلخّ على ثلاثة أقانيم تعدّل الدراسات التوراتية الغربية برمتها:

- 1- أن أم القرى وما حولها هي الأرض المقدسة التي كتب الله لإبراهيم؛ لا فلسطين.
 - 2- أن بني إسرائيل عرب بائدة كانوا على الحنيفية ثم على شريعة موسى (ع) ثم على الكفر - بعد غزوة نبوخذ نصر - ثم أصبحوا على الإسلام مع محمد (ص)، وأن غالبية يهود اليوم بمن فيهم الذين بفلسطين لا ينتمون لإبراهيم (ع) بحسب دراسات الأحماض النووية.
 - 3- أن نصوص التوراة وعلى رأسها ألواح موسى (ع) دوّنت بلغة عربية قديمة هي لهجة كنانة الأولى التي سكنت تهامة الحجاز منذ الألفية 3 قبل الميلاد، وبخط جزم تخالف إملاؤه قواعد سيبويه في الكتابة.
- ولئن كان للد. كمال الصليبي كَرّ البصر في جغرافية التوراة فإنه قيّض للد. محمد منصور أن يعيد النظر في لغتها وفي جغرافيتها؛ فكشف عن تراث عظيم موغل في تاريخ العرب، ولا غنى عنه لفهم حاضر الأمة العربية بحيوية موروثة.

د. محمود شريح

ISBN 978-9953-93-326-9



9 789953 933269